

الكتاب وجبهات نظر

Weghat Nazar - Volume 7 - Issue 87 - April 2006

مجلة شهرية، العدد السابع والثمانون، السنة السابعة، إبريل ٢٠٠٦، الثمن عشرة جنيهات

على صفحـة الجـوار / محمد حسـانين هـيكل

قـلـمـات المـسـلمـين العـالـمـة

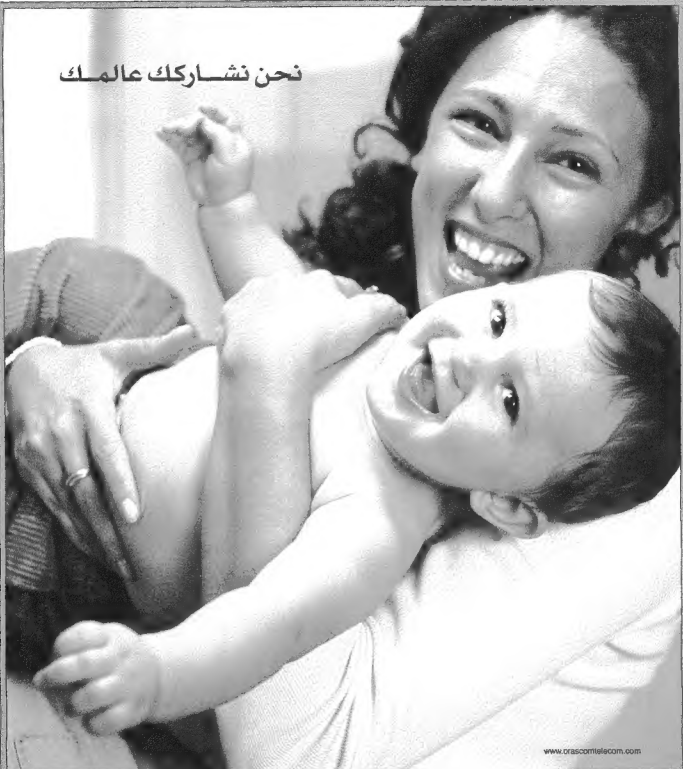
الأفغانى يرد على ريشان / مجدى عبد الحافظ

البرلمان على مفترق طرق / سلامة أحمد سلامة ١٧ مارس / وديع الألفى / أيمن الصياد



2006
خامس
الطريق

نحن نشاركك عالمك



www.orascomtelecom.com

ORASCOM
TELECOM

Feel the World

أبراج نيل سيتي - البرج الجنوبي
كورنيش النيل
رملة بولاق
القاهرة - مصر
تلفون: ٠١ ٥٠٠ ١٠٠ ٢٠٢
فاكس: ٠١ ٥٠١ ١١٥ ٢٠٢

منذ أن تأسست، وبعد خمس سنوات من نجاحها في مجالات الـ GSM وبنى الاتصالات وخدمات الإنترنت - لعبت أوراسكوم تيليكوم دوراً رائداً في عالم الاتصالات. لقد أثبتت أوراسكوم تيليكوم وضعها كشركة لها ريادتها في الشرق الأوسط من خلال تطويرها المستمر في عمليات الـ GSM المختلفة لتوفر أعلى مستويات الجودة في خدمات الاتصالات. ولأنها تعمل دائماً على توسيع شبكة أعمالها وتقديم أحدث تكنولوجيا الاتصالات - استطاعت أوراسكوم تيليكوم بكل خبر أن تحفز اسمها في سبع دول في المنطقة كأحد زوايا الاتصالات في عالم اليوم. وقد استوعبت شبكتنا أكثر من ٢٠ مليوناً من المستخدمين في: الجزائر (جازي)، ومصر (موبينيل)، وباكستان (موبيلينك)، والمراق (عراقنا)، وبنجلاديش (باتالاجينك)، وتونس (تونيديا)، وزيمبابوي (تيسيل زيمبابوي).



حقوق نشر
جميع المواد والرسوم
محفوظة

كتب العدد :

- أحمد فؤاد سليم .. فنان وثائق تشكيكي.
- أمل الخير .. كاتبة سورية وأحلة.
- أيمن الصبيح .. صحفي.
- جمال محمد غيطاس .. محرن تكنولوجيا المعلومات بالأهرام ورئيس تحرير مجلة لغة العصر.
- جهاد فاضل .. كاتب وناقد لبناني.
- حمدي عزام .. دبلوماسي مصري سابق.
- خيري منصور .. كاتب عربي.
- سلامة أحمد سلامة .. صحفي.
- سامي حسين .. صحفية.
- عماد القزالي .. صحفي.
- مايكل فرانتيس جيبسون .. ناقد فني بصحيفة هيرالد تريبون الدولية.
- مجدي عبد الحافظ .. أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة بجامعة حلوان.
- محمد عدنان سالم .. ناشر سوري.
- محيي الدين اللاذقاني .. كاتب سوري.

رسوم العدد للصفحة

محمد حجي - سعد الدين شحاته - أحمد اللباد



يحظر النسخ أو الطبع أو التصوير على دعوات ورقية
أو غير الحاسيات لكل أو بعض المقالات المنشورة أو أجزاء
منها، بغير إذن كتابي مسبق من الناشر.



المراسلات :

الشرق المصرية للنشر العربي والدولي
٢ ميدان طلعت حرب - القاهرة، جمهورية مصر العربية
ت : ٢٤٢٠١٩٠ / ٢٤٢٠١٩٢ / ٢٤٢٠١٩٦ - فاكس ٢٤٢٠١٨٨ - ٢٤٢٠٢٠٢
البريد الإلكتروني (التحرير) : e-mail-info@alkatob.com

الاشتراكات :

السنة الواحدة (ثلاثة عشر عدداً) شاملة اجرة البريد : داخل مصر ١٠٠ جنيه مصري -
اتحاد بريد عربي ٦٠ دولاراً أمريكياً - أوروبا وأمريكا ٧٠ دولاراً أمريكياً - أمريكا
وكندا ٨٠ دولاراً أمريكياً - باقي دول العالم ١٠٠ دولاراً أمريكياً.
إدارة الاشتراكات : ٨ شارع سيوهيه المصري - ص ب : ٣٣ البانوراما - مدينة نصر
عائتق : ٠٢٢٢٩٩ - فاكس : ٠٢٥٥٥٦١ - subscription@wehannazar.com

ثمن النسخة :

في مصر ١٠ جنيهات مصرية، السعودية ١٥ ريالاً، الكويت ١٠٥ ديناراً - الإمارات
١٥ درهماً - مملكة البحرين ١٠٥ ديناراً - قطر ١٥ ريالاً - سلطنة عُمان ١٠٥ ريالاً - لبنان
٥٠٠٠٠ ليرة - سوريا ١٥٠٠ ليرة - الأردن ديناراً ونصف، ليبيا ديناراً - الجزائر ٢٠٠ ديناراً
- المغرب ٢٠ درهماً - تونس ٥ مناهيز - اليمن ٣٠٠ ريال، فلسطين ٢ دولارات.
Austria, France, Germany and Italy: EURO 6 - United Kingdom £ 3 - USA \$ 5.

طبع بمطابع الشرق بالقاهرة

محتويات العدد :

- ٤ • سلامة أحمد سلامة
- ١٠ • نون : رحلة إلى طهران .. إيران على مفترق طرق ..
- ١٠ • جهاد فاضل
- ١٠ • الجواهرى : قراءات عراقية طائفية ..
- ١٦ • خيرى منصور
- ١٦ • البطريكية العربية والنظام المحرم ..
- ٢٢ • مجدي عبد الحافظ
- ٢٢ • رد الأفغانى على رينان : الترجمة الأولى الكاملة .. بين الشرق والغرب ..
- ٢٨ • سلمى حسين
- ٢٨ • البشير قبل الأرباح .. المازق العلوى .. منظمة التجارة ..
- ٣٢ • عماد الفزالي
- ٣٢ • مصر فى .. رسائل فلووير ..
- ١ • فلووير فى مصر : ترجمة، صلاح صلاح
- ٢ • مصر فى عيون الغرباء .. تأليف : تروت عكاشة
- ٣ • رقية الرحالة الأوروبيين لمصر : تأليف : إلهام دهنى
- ٤ • حريم محمد على باشا .. تأليف : صوفيا كين بول، ترجمة : عزة كرامة
- ٣٨ • محمدى عزم
- هل هو موجود حقاً ؟ .. هذا الكائن الافتراضى ..
- Die Rückkehr der Geschichte.. Die Welt nach dem 11 September
- and die Erneuerung des Westense
- يوشكا فيشر
- ٤٤ • أحمد فؤاد سليم
- الصورة أيقونة الحياة والموت ..
- ٥٠ • مايكل فرانتيس جيبسون
- فن آدم جتين .. القديم .. جديداً ..
- مقدمة كتاب : آدم جتين، إعداد : منى خزندار
- ٥٦ • محيي الدين اللاذقاني
- رغم المرض والموت .. زينة تبحث عن الجمال ..
- ٥٨ • أمل الخير
- جمال المكتبات ..
- زينة والبعث عن الجمال .. تأليف : أمل الخير
- ٦٢ • جمال محمد غيطاس
- هل يعرف العرب مجتمع المعلومات ؟ .. فجوة العقل ..
- ٦٨ • رسائل
- محمد عدنان سالم
- ٧٠ • الترجمة فعل حضارى ..
- إصدارات جديدة ..
- ٧٢ • محمد حسنين هيكل
- ٧٨ • وثائق ..
- أيمن الصبيح
- ٨٢ • قراء : ١٧٠ مارس .. حبوب اللقاح .. وعواصف الخمسين ..

نوء

سلامة أحمد سلامة

رحلة إلى طهران

إيران على مفترق طرق..



خامنهـى



نجاد

والأجساد، يرتقون سفح الجبل هبر المسالك الضيقة في نزهة آخر الأسبوع، لا يستطيع المرء أن يجمع بين المشهدين في لحظة واحدة. ولكنك تحار أمام الوجوه المتعددة للمشهد الإيراني على إطلاقه، تلك التي تصنع هذه التركيبة المعقدة لتسيج الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في إيران. أشبه بالآلوان والرسوم الدقيقة التي تميز السجاد الإيراني الفاخر في اصطفهان وشيراز. أو أشبه بتلك التصاوير والمنمنمات المليئة بالزخارف النباتية والزهور المتشابكة مرسومة فوق القباب والجدران في القصور والمساجد العريقة، التي تزخر

من عيد الثوروز، الذي يحتفل فيه الشعب الإيراني بالربيع والنور. عيد شمسي ورسمي. لم تستطع سطوة النفوذ الديني أن تطفئ بهيجته الزاغقة فوق سائر الأعياد الإسلامية، وحين يهبك المساء تتناثر على سفح الجبل سلاسل لامعة من الاضواء المتجمعة من القصور والفيلات والبيوت. فلا يذهب بك الخيال إلا إلى سويسرا ومناظرها الخلابة. ولكن لو اتيج لك أن ترتقي الطريق صاعداً إلى السفح، حيث تتناثر المقاهي والمطاعم، سوف تشهد الوجه الآخر من إيران، أرتال من الشباب فتياً وفتيات، يغطون رؤوسهم بالكاد، وتشابك الأيدي منهن

اختزلها الشعب الإيراني في أعماقه، تجاه العالم الخارجي وتجاه القوة العظمى التي حرضت ومولت وسلحت نظام صدام حسين ليشن حربه ضد إيران عام ١٩٨٠، حين وجدت الثورة الإسلامية نفسها وجهاً لوجه مع الشيطان الأكبر، في أعقاب احتجاز الدبلوماسيين كرهائن في السفارة الأمريكية في طهران لفترة طالت حتى بلغت ٤٤٤ يوماً. غير بعيد في الأفق القريب المحيط بالعاصمة المكتظة بالناس والسيارات والسيارات والسيارات، تتحلق سلاسل الجبال المتخفة قممها بتلوج بيضاء، لم تكن قد دابت قبل أيام قليلة

أول ما يقع عليه بصرك لدى الخروج من مطار الإمام الخميني بمعمارة الحديث، ذلك المجمع الضخم الذي يضم ضريح الإمام وملحقاته، تتلألأ قبابه الذهبية تحت أشعة الشمس من بعيد، وترتفع مأذنة الأربع إلى غنان السماء.. علامة لا تخفيها العين على الطابع الديني الذي ينتظر في هذا البلد. وحين تمر في طريقك بالمهدان الكبير الذي يضم نصب الشهداء تخليداً لتلك عشرين الألوف الذين ضحوا بأرواحهم دفاعاً عن الثورة الإسلامية في الحرب العراقية الإيرانية، فلا بد أن تدرك عمق مشاعر الحزن والمرارة والحزن التي



يحثل المشروع النووي الإيراني مكانة خاصة في مشروع النهضة. تلتقي فيها الثوابت، مع المشروعات السياسية والاقتصادية والعسكرية. التي تستهدف امتلاك التقنية النووية المتقدمة بكل الوسائل



الأدوم وأحدث أزياء المؤنسة ومساخيق التجميل المتنافسة مع بلد إسلامي، لا يخفى الاحتشام في الملبس والمظهر شيئاً من جمالها. وإن كانت لآسلاف مازالت عاجزة عن الوصول إلى مكانتها المناسبة في قوانين الأحوال الشخصية والمدنية.

ولعل هذه التركيبة المعقدة هي التي تعكس في شخصية أحمدى نجاد ذلك التداخل المحير بين ما هو عقائدي ثوري وما هو استراتيجي تنموي. بين الإيمان بالعدالة والتنمية وإنتاج العلم الوطني، وبين الجهاد المقدس ضد الاستكبار، والدفاع عن الحقوق الطبيعية والقانونية لإيران، وإذا كانت أمريكا تدعو إلى إقامة «الشرق الأوسط الكبير»، فإن طهران، التي ظلت مدرجة على القائمة الأمريكية لمحور الشر، تدعو إلى إقامة «شرق أوسط إسلامي» يدعم الثورة ضمن وجودها في محيط لتكتل إسلامي.

[٣]

ومن هنا يحثل المشروع النووي الإيراني مكانة خاصة في مشروع النهضة، تلتقي فيها الثوابت العقائدية والاستراتيجية، مع المشروعات السياسية والاقتصادية والعسكرية، التي تستهدف امتلاك التقنية النووية المتقدمة بكل الوسائل الممكنة، وفي القلب منها الإصرار على تخفيض اليورانيوم في المنشآت الإيرانية. وتستند إيران في إصرارها على استكمال مشروعها النووي إلى أسباب عديدة:

١- أولاً: أن إيران وقعت على معاهدة حظر الانتشار النووي التي تكفل لها الحق في تطوير برنامجها النووي، ثم وقعت طواعية على البروتوكول الإضافي لهذه المعاهدة الذي يجعلها الملتزمة الوكالة الدولية للطاقة الذرية حتى التفتيش المباهة على أي منشأة نووية إيرانية. وحتى عندما أخفأت بالشرع في تجارب التخريب، دون إخطار مسبق للوكالة، فإن اكتشاف الأمر أتاح لفتنسي الوكالة التأكيد

لقد أصبح أحمدى نجاد ظاهرة مثيرة، وخاصة بعد خطابه الحاد الذي القاه في مؤتمر العالم بدون صهيونية ودعا فيه إلى محو إسرائيل من الوجود. ثم أعقب ذلك بتصريحاته عن الحركة اليهودية وتشكيكها فيها، والتي أثارت ضده قوى كثيرة في الغرب، وأزعجت بعض العناصر المعتدلة داخل إيران نفسها. ويبدو أن وصول أحمدى نجاد إلى الرئاسة بتأييد شعب من الفقراء والضعفاء والمهمشين، جعله يعتقد بإمكان المضى في سياسته لإحياء الأفكار التي دعا إليها الإمام الخميني، بالصلى إلى إقامة حكومة عليوية إسلامية. وهو يستند في ذلك إلى آسائين، أحدهما عقائدي يتمثل في الخطاب الشعبي التقليدي. والآخر وطني قومي يتمثل في القيم التراثية وإحياء الشاعر الفقيه، عن طريق امتلاك القوة التكنولوجية بالدفاع عن النظام الإسلامي، والأخذ بأساليب التقدم والعلوم والوسائل التكنولوجية الحديثة.

ولا يمكن في خضم هذه الأوضاع المتعقبة إغفال دور عنصرين بارزين، وصاعدين في المجتمع الإيراني، سوف يتوقف حسم معركة المستقبل عليهما: دور الشباب الذي خرج من عباءة النظام الإسلامي المتشدد بتنظيماته الثورية الحديثة إلى أفق أرحب، يتطوع في الحرة والشغافية والمشاركة السياسية ومعارضة الديمقراطية، ويمتد ويتزاحم على مقايض الانتخابات، ويمتد أن تفتتح أمامه أبواب التواصل مع الغرب. ودور المرأة الإيرانية التي لم تستسلم للقيود والتقاليد الصارمة التي فرضها النظام عليها في مبادئها، بل استطاعت بعد سنوات التكيف أن تسبق طريقاً وسطاً، بين عقائد كثيرها من حقوقها وحريراتها. دون أن تصطدم بالأوامر والنواهي التي تشبث بها المرجعيات المحافظة. فضل مجالات العمل وفي وسائل الإعلام والمهنيا والفن، وفي كثير من الفعاليات السياسية والأدبية والثقافية الخارجية تمثل المرأة نقلاً يرجع لقرار على آخر. وهي حاضرة بقوة في المجتمع وفي الشارع. مزيجاً متعاشياً بين الشادور

الجميع أن يغزو في الانتخابات الأخيرة لرياسة الجمهورية مرشح الجناح الأصولي من التيار المحافظ محمود أحمدى نجاد بأغلبية ساحقة.

وقد اختلفت التفسيرات في تحليل هذه البردة. أو بالأصح ما يعتبره الغرب لكسة إلى العواء في النظام الإيراني. ولكن المؤكد أن التطور السياسي شهد تشكل مجتمع سياسي جديد، مازال يتحرق طريقه بين مفهومين. كما أشار إلى ذلك المحلل السياسي الإيراني محمد فوجاني. هما «الإسلامية» و«الجمهورية». ويأتي مفهوم «الإسلامية» تعبيراً عن القوى التي تؤمن بالبحر، بمفهومه الإسلامي القديم، وتجسد فيه هذه القوى ملاذاً من التيارات الغربية المسيطرة قوانين العولة. بينما يعبر مفهوم «الجمهورية» عن توجهات الإصلاحيين الذين يشيرون الفكر الجمهوري أو منعب «الاختيار»، الذي يسمي إلى استيعاب إنجازات الحضارة الغربية. وينعش هذا التحليل إلى أن فوز أحمدى نجاد جاء نتيجة لانفصال الشخصية الإسلامية عن القواعد الشعبية التي تؤمن بالبحر والتي تعلقت بولاية الفقيه. ومن ثم فإن إصرار أحمدى نجاد على تجرع الدواء الذي قدمته ولاية الفقيه، سوف يلقى - طبقاً لهذه التوقعات - رفضاً سريعاً من مجتمع إيراني تعرض لتقلبات وتغيرات قلقت إلى مرحلة جديدة ذات خصائص مختلفة، تفكر إلى معالجة حديثة لمعضلات الفكر الإسلامي وتطبيقاته.

[٢]

هناك في إيران توجه بعشرات الأسلة المطروحة حول الطريق الذي يسلكه أحمدى نجاد، وما إذا كان يسلك مساراً مغايراً لتكلسل الطبيعي لتطور نظام الحكم. وهل سينجح في مواجهة المشاكل الداخلية والتحديات الخارجية التي تهدد بعزل إيران، أم تنتهي سنوات حكمه بانحجار كبير يطيح بالنظام الإسلامي وإنجازاته.

بها الساحات والميادين والأزقة في أركان المدن الإيرانية، تغييراً من لترات فارسي عريق موغل في القدم.

[١]

من الواضح أن إيران الحاضر مع بدايات الألفية الثالثة، قد اختلفت كثيراً عن إيران التي شهدت بدايات الثورة الإسلامية ونظام ولاية الفقيه في الثمانينيات من القرن الماضي. وأن الثورة التي صاحبت حكم الإمام الخميني حين كانت البلاد مازالت تحسرس طريقها لإقامة دولة تصليغ صبغة الإسلام وحكامه وتقاليد علي أنقاض حكم الشاه، وتخلص من خصوصها بنون رجعة، وتواجه حصاراً ضيقاً إسلامياً وإعلامياً من جانب الغرب، قد تجاوزت الآن مرحلة المراهقة الفكرية والانطلاق الذهني، وشقت طريقها عبر سلسلة طويلة من التجارب المريرة، التي تراوحت بين التشدد الإسلامي الكامل والانفتاح النسبي على نظام دستوري إسلامي، بين مخاض يسمح بقد مشغول من حرية الرأي والمعارضة، وأجواء تميزت بالعصران بين تيارات مختلفة، حاول الفقه ورجال الدين أن تكون لهم فيها دائماً اليد العليا، ولا تقلت من أيديهم مقاييد السلطة.

وهي هذه الأثناء أوجرت الانتخابات عديدة طبقاً للتقاليد الديمقراطية البرلمانية لا تتضمّن الزاماً، وتداولت ثباتات مختلفة داخل النظام وعلى أطرافه، اتسمت لجبهيات وروافد متباينة، ما بين الإصلاحيين، والديمقراطيين، والمعتدلين، والديمقراطيين، والأصوليين المتشددين من أتباع خط الإمام، وكان المفترض والمنطوق أن تنجّه إيران بعد مرحلة الإصلاح التي قادها محمد خاتمي ثمانية سنوات، لتقلصت خلالها الطبيعة الثورية للنظام الإسلامي الحاكم، ودخلت البلاد مرحلة الإعمار بعد سنوات الحرب المدمرة مع العراق... إلى مزيد من الديمقراطية والليبرالية وتفعيل المجتمع المدني ومن ثم الانفتاح على الغرب. ولكن المفاجأة التي أذهلت

إيران على مفترق طرق..

السياسي بين إيران وإسرائيل منذ الحظاظ الأولى للثورة عام ١٩٧٩ حين طرقت الديبلوماسية البعثية السورية الإسرائيلية من طهران وحولتها الثورة إلى مقر المنظمة التحريرية الفلسطينية.

وقد وصف على خامنئي المرشد الأعلى للجمهورية الأمم المتحدة في هذا السياق، بأنها مصنع لإنتاج ورق يحمل قرارات لا قيمة لها. ولا ينسى الإيرانيون كيف وقعت الأمم المتحدة سائكة لا تبدي حراكاً حين شن صدام حسين هجومه المفاجئ على إيران عام ١٩٨٠ بتحريض أمريكي. ومن ثم فإن القيادات الإيرانية تذكر أنها لو تراجمت خطوة واحدة عن التمسك بحقها في التقنية النووية، فسوف تخسر كل شيء كما قال أحمدي نجاد.

[٥]

غير أن هناك مؤشرات كثيرة لا يمكن إغفالها، على أن إيران لم تتوقف طوال السنوات الأخيرة عن تحسين قدراتها العسكرية في مجال تطوير الصواريخ الطاعية، ثم جاء البرنامج النووي الإيراني ليضاعف من إمكاناتها للدرد على أي محاولة لردع، باعتباره حجر الزاوية لشرع النهضة الذي رسم طريقه الإمام.

وفي تصريحات نشرها روحاني المسؤول السابق عن الملف النووي الإيراني في جريدة Rahbord الإيرانية، يدافع فيها عن سياسته خلال فترة التفاوض مع الترويكاف الأوروبية ووكالة الطاقة النووية الدولية، ألمع إلى أن السياسة الإيرانية في ذلك الوقت قامت على أساس إخفاء نشاطها النووي، وأن هذه المحاولات كانت للتعمية على الأوروبيين. فبينما كانت المفاوضات مستمرة كانت إيران قد نجحت في إنجاز مرحلة مهمة في عملية الوقود النووي، وهي تحويل التكة الصفراء إلى غاز اليورانيوم وهي المرحلة السابقة على التخصيب في معاملها بأصفهان. وعندما سمحت السلطات الإيرانية لمفتشي الوكالة بزيارة منشآتها في نطنز وأراك، عثر المفتشون في نطنز على عدة مئات من

حماس. وهو دور تعتقد واشنطن أنه يعرقل التسوية السلمية ويشجع الإزباب. فضلاً عن تغلغل النفوذ الإيراني في العراق بحكم سيطرة الشيعة على الأوضاع الراهنه هناك، وارتباطه بالمصالح الإيرانية القائمة على خصوصيات ديموجرافية واقتصادية ومذهبية قوية بمعظم الشعوب الخليجية.

وفي الوثيقة التي صدرت أخيراً عن استراتيجية الأمن القومي، والسياسة الدفاعية الأمريكية، التي أعادت تحديث عقيدة الضربات الوقائية أو الاستباقية، اختص بوش التهديد النووي الإيراني باعتباره التهديد الأكبر الذي يهدد الولايات المتحدة في المستقبل. واتهمت إيران بدعم المنظمات الإرهابية، وتهديد إسرائيل، وتخريب العملية الديمقراطية في العراق، وقالت الوثيقة ما نصه: إن الولايات المتحدة ما زالت في بدايات مرحلة طويلة من النضال، يشبه النضال الذي واجهته في بوكر الحرب الباردة. وقد شهد القرن العشرون انتصار الحرية على تهديدات الفاشية والشيوعية. غير أننا نواجه الآن نزوع عقيدة شمولية جديدة تهددنا. لا تستند إلى فلسفة علمانية، ولكن إلى تحريفات دين فخور بجهلته، بمعنى الإسلام!!

ولا يحول الإيرانيون كثيراً على الأمم المتحدة والمواثيق الدولية للدفاع عن أنفسهم، في ضوء التهديدات الأمريكية التي أعلنت بصراحة أنها لن تسمح لإيران بإجراء عمليات التخصيب النووي، كما أن إسرائيل لم تخف استمداها، من خلال ترتيبات عسكرية واستخباراتية وإعلامية، لاستخدام القوة العسكرية ضد المنشآت النووية الإيرانية، إلا فشلت الجهود الدبلوماسية، فقد بدأ الصدام

والتوجس إزاء العالم الإسلامي، وأنها لن تدخر سراً في الجبولة دون حصول أي دولة إسلامية على مثل هذا الإنجاز العملي المتفوق في مجال الطاقة النووية. حيث يراد لهذه الدول أن تظل مستودعاً للنفط يجرى استغلاله واستنزافه لحساب الغرب والدول الصناعية، وألا تقوم فيها صناعات متقدمة يمكن أن تضرها بالتصدير والخروج على الهيمنة الأمريكية. ولم تكن الحرب على العراق غير جزء من هذا المخطط، أصغبه تجريد ليبيا ما كانت قد حصلت عليه من مواد نووية بإشراء من السوق السوداء، وبعبارة أخرى فإن وصول التقنية النووية إلى العالم الإسلامي، بهذا المخطط الأمريكي، لا يقل خطورة عن وقوع أسلحة نووية في أيدي القاعدة أو بن لادن. ويؤكد هذه الحجة أن الرئيس بوش لم يتردد في توقيع اتفاق للتعاون النووي مع الهند، بينما تجاهل باكستان على الرغم مما بين الدولتين من توافيق ويرغم الدور الذي يلعبه نظام برونز متصرف في مطاردة طالبان وملاحقة بن لادن والتعاون مع آلة الحرب الأمريكية.

[٤]

لا يخفى الإيرانيون مخاوفهم من المخططات الأمريكية، ولديهم أسباب قوية لذلك، لا تقتصر فقط على المشروعات الأمريكية لشرق الأوسط الكبير، ولكنها تتعلق بمجموع الأوضاع المشابهة في المنطقة والتي تحكمها تطورات الصراع العربي الإسرائيلي، والدور الذي تلعبه إيران في علاقاتها الداعمة لسوريا وحزب الله في لبنان والفصائل الفلسطينية وعلى رأسها

من أن عمليات التخصيب لم تتجاوز الحدود المسموح بها ضمن إطار التطبيق في الأغراض السلمية. ومع ذلك فقد استجابت إيران بعد ذلك لطلب الترويكاف الأوروبية (فرنسا وبريطانيا والمانيا) بخصوف أمريكية، وعملت عملية التخصيب لفترة مؤقتة، كشرط لمفاوضات سرعان ما أخفقت. تستهدف إيجاد حلول دبلوماسية تعمل إيران من خلالها على التعاون النووي في مجالات الاستخدامات السلمية.

❖ ثانياً: أن إيران تنظر إلى دول عديدة تجرى عمليات التخصيب المتطورة لليورانيوم، دون إثارة أزمة معها من جانب أمريكا أو الوكالة. ومن هذه الدول البرازيل واليابان وهولندا وألمانيا، فضلاً عن دول أخرى تجاوزت التخصيب السلس لليورانيوم وانتجت أسلحة نووية. أبرزها إسرائيل والهند وباكستان، ولأنها لم توقع على معاهدة حظر الانتشار النووي، ومع ذلك فقد وقعت واشتلت أخيراً اتفاقاً للتعاون النووي مع الهند، يعتبر من وجهة النظر الدولية تقويضاً كاملاً للاتفاقيات منع الانتشار النووي، لأنه ينطوي على مخالفة صريحة، لكن في الدول غير المتأزمة وتعالق الدول المتزامة وتضيق الخناق عليها.

❖ ثالثاً: أن الموقف المتشدد مع إيران ينطلق من الصراع المستمر بينها وبين أمريكا، منذ سقوط الشاه، لأسباب سياسية، ومنذ أحداث سبتمبر ٢٠٠١ أعادت أمريكا - طبقاً لوجهة النظر الإيرانية التي عبر عنها لاراجاني الأمين العام لمجلس الأعلى للأمم المتحدة - مصادقة مشروعها الأمني، وطرح نظاماً أمنياً جديداً يغطي العالم بأسره. حاولت من خلاله تغيير الجغرافيا السياسية للمنطقة، من خلال مشروع الشرق الأوسط الموسع الذي وضعت فيه سوريا وإيران على قائمة الدول المخارفة التي تهدد المصالح الأمريكية وأمن إسرائيل.. وذلك في الوقت الذي تحارص فيه أي جهود لإخلاء الشرق الأوسط من أسلحة الدمار الشامل.

❖ رابعاً: أن لدى القيادات الإيرانية اعتقاداً راسخاً بأن الولايات المتحدة الأمريكية قد اشتجعت منذ أحداث سبتمبر موقفاً مشوباً بالاحتر

ما هو موقف الدول العربية من هذا

الصراع؟ وهل تنحاز إلى الخيار الأمريكي مثلاً

في مشروع الشرق الأوسط الكبير، الذي تريد

أمريكا من خلاله تمزيق المنطقة؟

إيران على مفترق طرق..

بكل مقدماته ونتائج اعتماداً على أنظمة حكم سنية لا تلتق بالشيعة، ولا يابتهون كثيراً للنشأ الباطني الذي يستحتم على العرب أن يدفعوه، ليس فقط بوضع شروطهم النفطية في خدمة الهيمنة الأمريكية، ولا بالتسليم لإسرائيل بكل معايناتها وخراطمها وتمويلها البكولي، ولكن أيضاً بتطويع نظمهم السياسية والاقتصادية ومناهجهم وطرائق تفكيرهم وثقافتهم، للنمذاج التي يجري تصميمها في معاهد البحوث الأمريكية والغربية.. وهم يرون أن الدليل الآخر الذي تقوده إيران أن تقضي لنشأه إلى الإطاحة بالنظم العربية، وتسليمها على طبع من الشروة النفطية لنظام إسلامي متخلف أو لحركات أصولية تعيش، مازالت في القرن الخامس عشر، ومثل هذا الطرح يتناول على دعوى للنفوذ واليأس من قدرة الشعوب العربية على اختيار طريقها، أي طريق آخر يقطع مع عناصر النفقة والتقدم وتفاعلات التغيير التي تضطرهم إلى أحشاء الشعوب العربية، وقد اخذوا يروجون لهذه القولات بقوة لتناكح على أن الديمقراطية ليست هي كل شيء وأن الانتخابات الرئاسية ليست وحدها السبيل إلى قيام نظم سياسية أصلاحية، بعد أن أسفرت الانتخابات في مصر وفلسطين عن نتائج لا تروق لهم.. الأمر الذي دعا واشنطن إلى التراجع عن مشروعها لنشر الديمقراطية في الشرق الأوسط، وعن فكرة تغيير الأنظمة الحاكمة في المنطقة، خوفاً من نظم معادية للولايات المتحدة، وقد دفعها ذلك إلى قلب مخططاتها رأساً على عقب لترتد إلى أعتاقها من الترويج للديمقراطية، إلى القول بديكتاتورية عسكرية، كما كان الحال من قبل.

فهل يمكن أن يكون الطريق الثالث هو إصلاح العلاقات العربية الإيرانية، والتغلب على الشكوك المتبادلة، والتسسيق بين المصالح العربية والإيرانية، والتسليم بأن إيران جزء من نموج المنطقة، لن يتحقق أمنها بدون إيران، التي غدت قوة إقليمية هذا هو السؤال الذي تطرحه تطورات اللحظة الراهنة؟

هو إصلاح العلاقات العربية الإيرانية، والتغلب على الشكوك المتبادلة، والتسسيق بين المصالح العربية والإيرانية، والتسليم بأن إيران جزء من نموج المنطقة، لن يتحقق أمنها بدون إيران، التي غدت قوة إقليمية هذا هو السؤال الذي تطرحه تطورات اللحظة الراهنة؟

الأنظمة العربية وجعلها عرضة للضغوط الأمريكية، وعلى الرغم من إنكار الإيرانيين لعزمهم أو رغبتهم في إنتاج أسلحة نووية، إلا أن الخبراء البريطانيين يتفقون على أن نجاح إيران في إنتاج الوقود النووي لن يستغرق أكثر من سنتين، لتمكين خلالها من إنتاج قنبلة نووية في غضون خمس سنوات، بينما يقدر الإسرائيليون أن إيران قد وصلت بالفعل إلى نقطة الحد الأدنى، لإكمال دورة الوقود النووي خلال عام واحد.

[٦]

تتعهد الصور والتبارات في إيران، كما تتعهد الاتجاهات والآراء حول الأخطار والعقوبات الدولية التي قد تتعرض لها إذا أصرت على الموقف في وجه الغرب وواصلت تخصيب اليورانيوم، ولعبة إجماع داخلي وتوافق شعبي، حتى وإن كانت إيران تفتقد مفترق طرق، على التمسك بحقها في امتلاك التقنية النووية، وتغلب المشاعر القومية والعربية والبعد التاريخي والحضاري لأبناء فارس دوراً في تعبئة الشعور الشعبي والحب الوطني لدعم الإرادة السياسية الصلبة للقيادات الإسلامية، التي حسب لها أنها نجحت - على مدى ٢٧ عاماً - وبعمس أنظمة عربية أخرى، في أن تجعل من إيران قوة إقليمية يعتد بها ربما أنجزت على طريق النهضة والنمعة.

وعلى الرغم مما أبدته الإدارة الأمريكية من تجاوب، بالاستعداد لإجراء محادثات مع إيران حول الوضع في العراق وكلفت سفيرها في بغداد زكاي خليلزاد بإجراء الاتصالات اللازمة - بعيداً عن الملف النووي - إلا

أجهزة الطرد المركزي تستخدم في إنتاج الوقود النووي مخيبة في باطن الأرض، مما اعتبر دليلاً على أن إيران قطعت شوطاً طويلاً في تطوير أجهزة الطرد المركزي، ومن الطبيعي والمنطقي أن تلد الأزمات الراهنة حول الملف النووي الإيراني، والتشدد الذي أبدته دول الغرب بزعامة أمريكا في التعامل مع إيران، عندما رفضت واشتعل الاقتراح الروسي بإجراء عمليات التخصيب الرئيسية في روسيا، وبكميات محدودة في إيران تحت إشراف الوكالة، ثم ما أعقب ذلك وصاحبه من تهديدات بالعقوبات وإجراءات عسكرية إذا لم تخضع إيران للمطالب الدولية بوقف عمليات التخصيب.. إن بزاد تصميم إيران على ألا تواجه نفس المصير الذي واجه العراق دعوى حيازته لأسلحة الدمار التام، وأن تتخذ من تراء ضرورياً للدفاع عن نفسها ضد هذه التهديدات، وهو ما انعكس في التصريحات المتعددة للمسؤولين الإيرانيين، ورفضهم لأي فرائز تصدر من مجلس الأمن، والاستهانة بأي عقوبات تفرض عليها.

والواقع أن إيران تشعر بأنها تملك أوزاناً كافية لمقاومة الضغوط الدولية، فالوجود الإيراني في العراق، سواء بالتعاطف مع الائتلاف الشيعي الذي أوتاه إيران واحتضنته في عهد صدام، أو بحكم ما تشكله من مفاتيح وأدوات نافذة في كل ركن من أركان العراق، أصبح يهدد باحتمال وقوع العراق كلفة في أحضان النظام الإسلامي الإيراني، لتصبح القوات الأمريكية والمتحاذية في العراق رهنه في أيدي الإيرانيين، ولابد من الاعتراض بأن الإسلام لا يؤمن بالظلمة والحاجة بتحالفات الأوضاع في العراق وفي الشرق الأوسط، وإصرارها على تمكين التفوق الإسرائيلي العسكري، واحتكار النووي، هي التي جعلت ميزان القوى الإقليمي يعمل لصالح إيران، الأمر الذي أكسب إيران في العالم العربي والإسلامي شعبية كبيرة، باعتبارها القوة الوحيدة التي تملك القدرات النووية الكفيلة بالتصدي لإسرائيل، والتي يمكنها من مناطق الهيمنة الأمريكية، وبالأخص في ظل الوهن الشديد الذي أصاب

لدى القيادات الإيرانية اعتقاد واسع بأن الولايات المتحدة لن تدخر وسعاً في الجيولة دون حصول أي دولة إسلامية على مثل هذا الإنجاز المتفوق في مجال الطاقة النووية

الجسور والهرى.. قرارات



عراقية طائفية



الانقسام الطائفي في العراق ليس دينياً أو سياسياً فقط بل ثقافياً وأديبياً أيضاً.. والضحية الأكبر كان الشاعر العظيم محمد مهدي الجواهري



جهد فاضل

ويتقدم التكريتي الجواهري بصورة الشاعر أو الكاتب المجاور عند نوري السعيد، كان نوري السعيد يعد العدة في عام 1979 لصدده معاهدة جديدة مع بريغانيا تربط العراق ربطاً محكمًا بها. ولكن تهيئاً لعقد تلك المعاهدة أراد تجنيد بعض الصحفيين والكتاب والشعراء لتأييد فكرة عقد المعاهدة. وكان من هؤلاء صديقه المقرب منه محمد مهدي الجواهري، فقد منحه امتيازاً لإصدار صحيفة تنشط باسمه وتتلق عليها نوري اتفاقاً تاماً. ومع أن ياسين الياسمي، وهو زعيم عراقي وطني بارز حذر الجواهري من الوقوع في جبال نوري السعيد، إلا أن الجواهري لم يرد عليه، ولا على سواه لأنه كان يمتن النفس بالوصول إلى مجلس النواب، وقد منحه نوري السعيد 400 روبية دفعة أولى للانفاق على الجريدة، ولكن الجواهري ما لبث قبض على الخيط حتى حوّل إلى قفاس من البقرة البولندية الشهيرة في تلك الأيام.

وفي صحيفته راح الجواهري يحرش نوري السعيد على الشكك بخصوصه. ولم يتورع عن دعوته إلى «الإرهاب» سلوكاً مع هؤلاء الخصوم على نحو ما ورد بعض آيات قصيدته التالية:

**على اسم الثورة الحمراء جرب
شاعلك أيها البطل الجري
وَبِأَنِّ الدماء قريد تجبر
فشكك لنا ليندفع الأثني
فإن لم يرق بالتطيف شبيب
فيالإرهاب فيلكن الرقي**

ويشول التكريتي أن بعض شعراء العراق في تلك الفترة عارضوا قصيدة الجواهري هذه بصفانة ساخرة لأذلة. ويضيف إليه في السنته التي نظم فيها الجواهري قصيدته «سما لينجدار» طلب منه نوري السعيد أن يشرح قصيدته في مونتجمري ومقره المصين والشماتر والحلفاء. وقد فعل فخياً في القصيدة الجنرال مونتجمري وقاربه بالقاتل البريطاني والنجوش الذي انكمسر في معركة الطرف الأخر:

**ويا مونتجمري لو سقى القول فاحاً
سقتك الجواهرى صفوها السلسل العدا
ولو كان ذوب العافلات ثارة
لثركا كان البطل والشكر والحب
حلت على رومك لكان وإياه
أحل بأدبي منه وبفتنتي، كريا**

ودرجته من مصر وهو مرس
بأحلام يحمي الجراح
التي يجني

صدرت مذكرات الجواهري، حتى نشر سليم طه التكريتي كتابه في بيروت الذي جرده فيه الجواهري من كل مكرمة، بل حتى من ورقة التوت:

**فالجواهري ينظر التكريتي أحد
صانع نوري السعيد، لفعه نوري السعيد
أرعمانة روبية مقدماً لكي يصدر جريدة
«الفرات»، وعندما لم يسد لاحقاً لا أجور
الطبع ولا ثمن الأوراق ذهب صاحب الطبعة
إلى نوري السعيد شاكية أمره، فطغ له نوري
السعيد، وكان رئيساً للحكومة العراقية.
نقشات الأعداد التي كانت صدرت من
«الفرات»، وطلب منه أن يراجعها في موضوع
نقشات الأعداد القادمة بدلاً من مطالبة
الجواهري بذلك.**

بل إن الجواهري الصحفي كان يأكل حقوق المحررين عنده، كان الجواهري لا يسلمني راتب، على ضائته مرة واحدة بل يسدده لي مديئاراً ديناراً. ثم لا يلبث أن يستمرده مني بعد دقائق.. ولم أحصل منه مرة على ربع دينار إلا بخلق النفس. وأذا لك وضعت ربع الدينار في جيب سترتي وعلمتها في مصاريف الجالطد إلا كان الوقت صيفاً، وإنهكمت في عملي، وما إن أدت وجهي على عين غرة.. حتى وجدت الجواهري قد مدي يدي لي جيب سترتي وأقتنص مني الدينار بخفة. وحسبت فحسباً ما صاحنا: ماذا تفعل؟ فاجاب مفعفماً: لقد استرجعت منك ربع الدينار.. فسأله: وماذا أقابل به يا تري؟ فاجاب: «أريد أن أعبر النهر بالزورق إلى بيتي وليس عندي حتى ولا فلس واحد.. كان الجواهري غافلاً يسكن بيتاً بالإيجار على الضفة اليمنى من نهر حجلة، في جانب الكوخ في بغداد. وعلمت قلب أنه إن أجرة الزورق بالزورق درهم وألبس ربع دينار.. أعرض لي الدينار لكي أصفه إلى خصة دماغي أعطينا منها واحداً لنعبر النهر. فرد يقول: «الزهر لا يكسر إلا بالصفوة» صاحب الزورق) دائن لي بأربعة دراهم..

على يد الباحثين العراقيين يقرأ الجواهري قراءة طائفية أو لنقل أن الباحث السنّي لا يشارك عورة أو مفرقة في سيرة الجواهري إلا ويبرزها، سواء في مسألة الطائفية أو في سواها. في حين أن الباحث الشيوعي يتعامل مع الجواهري بتقدير عال جداً، فهو ينظره، أقرب إلى أن يكون «أشبه بطاغية تارة من الظواهر الكونية» التي قد لا تتكرر إلا بعد مئات السنين. الفالدكتور عبدالطيف أمطيش يقول إنه بعد مرور أكثر من ألف عام على ما ظهره المتنبي كظاهرة فريدة مآلت الدنيا وشغلت الناس.. لم نلاحظ تكرار هذه الظاهرة إلا بظهور الجواهري في عصرنا الراهن. أما عبد الحسين شيان فيرى أن الجواهري «جالس على قمة الشعر، وماسك بطقته الذهبية بجدارة.. إنه شاعر خارج حدود التصنيف التقليدية لكونه شاعراً تجاوز زمانه ومكانه بزعزعة الإنسانية وإبداعه المتميز.



وله التمدليل على أن الجواهري يقرأ مثل هذه القراءة العراقية الطائفية، وأنه أسير هوى من يحبونه من جهة، وأسير كراهية من يكرهونه من جهة ثانية، يستعرض عدة دراسات عراقية شاعرة جيا وفراً، أو كرهاً وانتقاماً.. ونبدأ بقراءة سليم طه التكريتي الذي يدل اسمه على انتمائه المنحفي والجهوي. فهو في تكريت إحدى عواصم «المثلث السنّي» الذي يطلق اليوم على المناطق التي تقسم فيها أكثرية سنية. والطريف أن سليم طه التكريتي الذي يتخذ من الجواهري موقفاً شديد السلبية، سله أن عمل من الجواهري في صحف ومنها الرأي العام، والانتقال.. والفرات.. وقد ذكره الجواهري بالاسم في مذكراته كواحد من المحررين المميزين والصفوة المختارة الذين عملوا معه. ولكن ما أن

يخطئ من يظن أن المسألة الطائفية أو العرقية في العراق مسألة حديثة متأخرة على العراق، وأنها استشرت فقط في السنوات الأخيرة. فالواقع أنها مسألة قديمة، وإن عبارات مثل «العرب السنة» و«العرب الشيعة» كانت موجودة وقاعة. وأنها مستمرة، منذ ولادة العراق الحديث على يد الملك فيصل الأول في بداية العشرينيات من القرن الماضي. وليس ادل على ذلك من سيرة الشاعر العراقي الكبير محمد مهدي الجواهري وموقف الباحثين العراقيين منه. فالباحث العراقي المنحدر من العرب السنة يعتبر الجواهري شاعراً شيعياً، أو رمزاً شيعياً، كما مدير المعارف العراقي سامر الحصري من عظيمته كمدرس ابتدائي بسبب قصيدة شاعرها تغزل فيها بإيران ودم فيها العراق. ولكن الملك فيصل الأول عاد وعينه في وقت لاحق موقفاً في البلاط الملكي مراعاة لما لأصول الشيعة والتجبية والأميرية. ومن هنا تغيرت أوضاع الجواهري في العراق، وقد صدرت في الستينيات من القرن الماضي من دار الطلبة في بيروت، بعيد مائة سنة لثورة الحركة الناصرية التي شجبت بين مدير المعارف، سامر الحصري، ووزير المعارف الشيوعي صيدالمهدي الشفيعي حول الجواهري وجنسيته (أهل هل هو عراقي أم إيراني؟) وقصيدته التي مدح بها إيران وهجا العراق. ولم يدم الجواهري وبالطبع من يدافع عنه ويهجم خصومه بذات التهمة التي يتهمه بها هؤلاء الخصوم، وهي الطائفية. فينظر الكثيرون من الباحثين العراقيين الشيعة، سامر الحصري نفسه منهم بالطائفية والذهبية، كما أنه اعتاده لدمرة التركة.. البرطانية في العراق بعد الاستقلال، بل إن بعض هؤلاء الباحثين يرجع استشراف الطائفية في العراق إلى المور الحسين الذي لعبه الحصري (إراجع حسن العلوي في كتابه: «التأثيرات التركية في المخرج القومي العربي»، لندن 1988، ودولة الاستعمارية القومية، دار الزوراء، لندن 1987). يومذاك، قد استقدم الحصري أساتذة سنة من لبنان وسوريا أثار بعضهم فضائح مثل (أيض السوشيالي الذي نشر كتاباً في التاريخ اخراج فيه إلى معاوية والأمويين وحمل على خصومهم) وأبعد الأساتذة الشيعة، وهو ما حمل الملك فيصل الأول على الدولة لاسترضاء الخلف والطائفة الشيعية.



وقد ذكر الباحث العراقي عبد الكريم الدجيلي أن نوري السيد السيد الشنقي بالجواهرى في حفل اقيم ببهو امانة العاصمة، فقال له، إن جويش الحشاه في العلميين...؟ استحق قصيدة مثل ستالينجراد؟

ومن أجل كسبه، اعطاء نوري السيد أرضاً زراعية في منطقة، على الغربي، وزوده بالآلات والمواد اللازمة لزراعتها. وهكذا تحول الجواهرى من صحفي مفلس إلى واحد من طبقة ملاك الأراضي. وفي «على الغربي»، عقد الجواهرى قرانه على فتاة ريفية تدعى «نعمية»، وكالت في ضمور الورود، لكنه عاد وعلفها لاحقاً كما ذكر مرة في حوار له مع وطني المصري غالى شكري. وفي كتاب سليم هله التكريتي حديث عن مبلغ ألف دينار قدمنته حكومة محمد الصدر إلى الجواهرى دية عن دم أخيه جعفر الرائي سقط في مذبحة «الجسر»، عندما كان قادماً ليعبر الجسر إلى جانب الوصافة، فاصيب بطلق نارى من افراد الشرطة خر على أشرو صهيماً. كان الجواهرى على خلاف مع أخيه جعفر وكان لا يهتم أبداً بأمره، ولكنها كانت فرصة ليستفيد سمعة الوطنية التي فقدتها بجنون على كسري النباهية.

كان ذلك في عهد وزارة صالح جبر، إن هذه الوزارة سرعان ما سقطت لتتألف وزارة برئاسة محمد الصدر راحت تحاول تصميم الجراح. هذا البهرى أحد أعضاء حزب الاستقلال، فيحصل حسون، الذي كان يدرس صحيفة سياسية باسم «الواء الجديد»، إلى التسننر بالجواهرى وفضحه. ومما كتبه أن الجواهرى قبض من حكومة الموصل، المرتبطة طبعاً بشورى السيد، مبلغ ألف دينار دية عن دم أخيه جعفر!

يقول التكريتي على هذه الحادثة قائلاً: «ليس في مقدوري أن اعطى رأياً قاطعاً فيما نشره فيصل حسون عن قضية الألف دينار، ولكن لا بد أن يكون لهذه القضية أساس». وفي اعتقادي الجراح أن الجواهرى كان لا يهتف عن استلام المبلغ الكبير في تلك الأيام أو عرض عليه، سواء كان في شك دية عن دم أخيه، أو ترضية له من حكومة الصدر لقاء فدية التباية التي لم يستمتع ببركانها طويلاً (١٤ يوماً)، أو عطفاً عليه من السيد محمد الصدر نفسه».

أما بعض صفاته المميزة جداً، فمنها عدم اعترافه بالوفاة لأي إنسان، كلمة الوفاة لا وجود لها في قاموسه، مثل كلمة «الغفوة»، والاضطراب النفسى، فهو لم يدم على صداقته لأقرب المقربين إليه من

اصفانته، ولم يكن وفيّاً لأحد مهما عليه من لئمة وعون، كما أنه لا يمكن على ولانه لأى حاكم. ولا شك أن التكريتي يبالغ في ذلك، فصحيح أن الجواهرى والى نوري السيد في مراحل مختلفة، وأنه كان يتقلب عليه، إلا أنه عاد وانصفه في مكراته وترجم على أيامه التي كانت ينظره أفضل بما لا يقاس في أيام عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف وصدام حسين.

مما يشير إليه التكريتي في كتابه أن الجواهرى لم يولد ثورة رشيد عالي الكيلاني، ذات الاتجاه القومي العربي، كما لم يولد أية مرحلة عراقية، أو أية شخصية سياسية عراقية. ذات اتجاه قومي عربي، فمثل هذا الاتجاه كان الجواهرى ينظر منه ويعتبره رجسماً. وعندما أصدر انجس التمولي مدرس التاريخ في الإعدادية المركزية بغداد كتابه عن «معايير بن أبي سفيان، والقوة الأموية في الشام»، ثارت ثائرة الشيعة ضد مذنن الكتاب، عندما أقدم وزير المعارف التكميلى عبد الهادي المشنقى على فصل التمولي وبعض طاقه اللبنانيين واليسوريين وأخرجهم من العراق. وقد اغتمت الجواهرى هذه المناسبة فتنظف قصيدة مدح بها المشنقى وأثنى فيها على ما فعله، وأثنى التمولي ومناصريه من الأساتذة بالفيح الشامخ.

وعندما قامت ثورة رشيد عالي الكيلاني استغرب الناس عدم مناصرة الجواهرى لها متلماً فعل إزاء انقلاب بكر الصدى ويقول التكريتي إن هذا الموقف الذى وقفه الجواهرى كان شامخاً من انهائزته وظالميته لا من بعد نظره. ذلك أنه كان يتوقع انهيار الثورة والحكم في بضعة أيام، إن لم يكن في ساعات. ولكنه وجد نفسه، عندما استمرت الثورة، في وضع من شأنه أن يبسي له زعماء الثورة فيه من ناحية، وانقلاب الجمهور ضد من

ناحية أخرى. ومن أجل أن يتوالى ذلك، قصد دار الإذاعة العراقية وألقى قصيدة. لم تكن هذه القصيدة قصيدة جديدة خاصة بثورة الكيلاني، وإنما كانت قصيدته التي نظمها في ثورة عام ١٩٦٠ والتي نشرها ونفاها عدة مرات من قبل. ومع ذلك فقد أراد أن يقضى على نفسه صفة المناصر للثورة، إضافة إلى ما كان بداخله من خوف، ولذلك حرب إثر فشل الثورة مباشرة إلى إيران، ولم يدم منها إلا بعد مرور بضعة أشهر. وقد أراحت حكومة جميل المدفعى التي تولت الحكم إثر هزيمة الثورة، أن تتحمل الجواهرى بدعوى أنه كان من مناصريها ومن الذين مدعواها. وعندما أحس الجواهرى بما يدبر له، التحا إلى محمد الصدر الذي شفع له عند حكومة المدفعى، قائلاً: إن القصيدة التي أنشأها الجواهرى من الإذاعة كانت عن ثورة العشرين وليس عن ثورة رشيد عالي الكيلاني.



حكايات كثيرة في كتاب سليم هله التكريتي تحمل من الجواهرى شاعرًا انتهازياً أو جوراً، أو طائفياً، أو متحيزاً. إن ذلك لا يؤلف بنظراً سوى قراءة فئوية، أو قراءة واحدة لا أكثر لأن للجواهرى قراءات أخرى منها قراءة شيعته أو طائفته أو بنى عشيرته الأقرين. والواقع أن للجواهرى شعافاً كثيرين من الظلم حصرهم بئمة أو طائفية، أو حتى بقطر من الظلم. هؤلاء الشقاق لا يتسكنون إلا لمشوقهم هناء وعطفوا لا تحصى، سواء في سيرته أو في شعره. ولكن من هو الذى تخلو سيرته من الهنات والهفوات؟ وإذا كان الباحث العراقي السنّى وقف بوجه عام موقفًا سلبيًا في «ظاهرة،

الجواهرى الذى تحدى نفوذ السنة الأخذ بالانتقام منذ نشوء العراق الحديث، انطلاقاً من شعور بالعين كان يعانیه الشيعة، فإن الباحث العراقي الشيعى وقف موقفًا إيجابياً شديد الإيجابية من هذا الشاعر الجريء المقام الذى تحول عندهم مع الوقت إلى رمز من رموز المواجبة والتحدى.

والواقع أن الجواهرى لم يكن مجرد شاعر عراقي كبير وإنما كان أيضاً رمزاً من رموز مواجبة الطائفة الشيعية للتمد العراق السنّى الذى استفحل إثر ثورة العشرين الشيعية بدلاً من أن يتقلص. ويبحث من صيغة تسوية بين جناحي العراق الكبيرين، ومن يقرأ سيرة الجواهرى الشعرية والنشائية يبعدها حافلة بالمواقف الاحتجاجية العارسة لا يوجد الاستعمار الخارجى وحده، بل أيضاً بوجه «خصوصية» الذين يقضوا على زمام العراق وعصفوا بنى عشيرته. ولا شك أن مثل هذه السيرة النشائية للجواهرى في وراء هذه الأجباب الفائق الحد، بل لم نقل الانبهار الذى يبدى نحوه الباحثون العراقيون الشيعة، وعلى طبيعتهم باحاث ستمرض إلى أحكامها على الجواهرى في الصفحات التالية، أولهما بعد الحسين شيعان، وثانيهما محمد جواد محمد.

بداية. لا يوافق عبدالحسين شعبان على تصنيف الجواهرى، كاشاعر شيعى، فهذا التصنيف كان، كما يقول، من صنع الطائفيين وكان وراءه الحسد والغيرة. بل إن كل دعوات الجواهرى الحسودونية وقصائده وأرائه ومواقفه القومية العربية منذ ثور العشرين وإلى الآن لم تلغح على أن تسحو محالات الإساءة إليه ذات البمد الطائفي منذ أواخر العشرينيات وإلى الآن فكانت تنام وتشتيط حسب الظروف والأحوال السياسية حسب التهييد بنزع الحسينية أو التعرض بالانتقام الفارسي ضماً جازماً لمهاجرة شاعر ليس من المجالفة القول إنه فضله كبير ليس على العراق وحده، بل على الأمة العربية كلها. وإذا كان سامع الحصري قد فصله من وطنيته في التحليل بسبب البشيتن والتبيين المنين لظلمهما وهو فى إيران»

في العراق صابا لولام محمد محبياً أن عراق لا دجلة لولام، وهي التي مثبتت لسوق ولا الفرات براق فإن له قصائد لظلمها في إيران أيضاً تنضب حب العراق والشوق إليه يتكفيهم من لوعته أثنى في فارس اشتاق قطر العراق



القصيدة تسبح طارحة شهية هتدل قارنها على ملكة الشعر أو صومعه لشاعر حيث يمارس عملية الخلق نحو أقرب إلى التبحر والاحتماء، وبمعاناة فائقة، فثأتي شبيبة ومعاودة، تدخل العلب وتحتل مكانها في العقل. وإذا كان من سيرته الأولى يعرف الشاعر، فما بالك ونحن أمام واحدة شعرية تحمل كل الألوان والاصناف ولكل المشايبة، فوهمها نحو عشرين ألف بيت، متوزعة على أكثر من سبعة عقود ونصف في الإبداع، فورا كل شيء ينفذ الشعر خاصا بأدواته الخواصة التي يستخدمها الشاعر بدقة وانسيابية وحلب لهجته الجميلة وروية الجهد الملاح، المتقن بأناس الشعر، وأصنعه الممودة يستحضر عملاق الشعر في دخله لتبطل مثل شلال هادر، ثم يسير بصوتية دليلة والفراغ، رأساً أو مفيداً رسم حينئذ لا بصوتها المتخيلة أو وهما محسب، بل متعاصيها وشخصها ألوانها، مع نكهة حب ومناقج تجد كأن السمة الأخرى لشعر الكبير هو الجواهرى لتتألفه الجاهل وجمعه الأنداء بهرمونية وتانسق صاغر، يصعدون ونزول، بجوانبه المشرقة والصلبية، وتلفظ ضفدعة الإنسانية، في شبيبة وشيخوخة، ويتحدث سعد الحسين شعبان على صفة جواهرية أصيلة في الشاعر هي قدرته العجيبة على التحدي، يقول في قصيدته تكريم هاشم الورثي التي قادته إلى السجن:

حسبوا على المفريات مسيلة
صبرا لعاب الأزلاني رغالبا
بالكأس يقرهمها ميم مائلا
بالوعد منها الحاضن والاطلبا
وتلكم الطلقات تسبح عندها
الزئع ألقاب في الصبا تغالبا
وبان أروح غدا وزيراً ملكها
أصبحت من أمر ليلى الخلبا
فلما بأن يدي شد تتشربى
سقط المئاع وابن أربع مواهب
وبهاجم وتحدى
أنا فتحهم الخ البيوت عليهم
أغرى الوليد تشبههم والحاجب
خسلا فلم تزل العروجة حرة
تأبى لها غير الأملات خاطبا
أعرفت مملكة بياض هههها
لخلائفها الخاضعين أجاتبا
وفي قصيدته في رداء عبد الحميد كرام التي ألفها في بيروت ١٩٥٠ يتحلى تحدي الجواهرى فيقول في مطلعها

ياق وأعمار الشفاعة فصار
من سفر مجدك عاطر موار

تشرع حرارتها بدأت تنتقل اليك، أو ادك في أتومها، بل إنها لا تستدير لتتركك وحدها بعد أن أوفقتك في شباها. إنها تطل عاقلة بينهك وتسمع موسيقاها شحية ملء أذنيك ومع ذلك فإنها تحتاج إلى جهد ومعرفة وقدر على الإحاطة بجوانبها، ورغم أنها تمتد إلى أصناف التاريخ، فهي تطل مطعنة بنية تتناسب وظروف الحاضر، بل تتحتم معه تشكل يؤهلها للعيش في كفه، ولا تبدو غريبة وإن كانت تتصل بالماضي السحيق صلاح عبد الصبور يقول، إن الجواهرى يمثل المرحلة الذهبية الأخيرة في الشعر العمودي الكلاسيكي. أما سعدى يوسف فيقول إن الجواهرى هو الحلقة الذهبية في سلسلة الشعر العمودي وهو ما قال به أيضا عبد الوهاب الباتى.

وقد عمد المتخصصون إلى استنهاض شبيه وصدمة كل يقضي ويرى معه ما يربط أشاد، عوالم وبحور وفضاءات أخرى، أى عملية تبصير وتوير وأحياناً الغروب إلى الاستقرار، فمن يصق مثل أن الجواهرى في العشرينيات وهو في البلاط الملكي، يقول:

أنا هند الجمهور في العيش
والفكر طراً، وضمه في المدين

وإذا كان الجواهرى ظاهراً أدبية متميزة ذات أبعاد فكرية تنويرية، فهي تحمل في طياتها الكثير من المتعاصرين المقتدرين بالاصالة والتقدير، والمتبع لتجاهل سرعان ما يترك من الغزوات الأولى أنه ليس أمام شاعر حبس بل هو أمام، حالة شعر، بكل معنى الكلمة، سطوحها وفضاءاتها وعميق شذاها، حتى تكاد

والعوية تعبيراً عن عطف خاص عليه ورعاً لتبلوره كرمز عراقى للثقافة والإبداع، كان معسكر، «الخصوف»، أو معسكر الرجعية، يتمادى في التعريض به ومهاجمته شخصياً مما زاد مكانة وأرماعه شأن فوق ما هو عليه من علو مقام وارتفاع منزلة حتى إن الزعيم عبد الكريم قاسم، في محاولة منه لمراعاة المزاج الشعبي، وبقراره ذكية، له، وبخاصة في الأيام الأولى للثورة، وقبل أن يركبه الغرور، زار منزل الجواهرى، وهو المنزل الوحيد، الذي زار بعد الثورة مباشرة، لكن علاقة الشاعر بالجنرال أخذت بالفتور مما اضطره بعد ذلك إلى مغادرة الوطن والاشتراك لا ينكر عبد الحسين شعبان أن الجواهرى ارتكب أخطاء، فكل الناس تختلج، ومن يريد من الجواهرى، أو الينع صموغاً، أن يعلو على البشر وأن يكون خط حياته مستقيماً بلا اعوجاج أو تمرج، فهو يطلب امرأ متأنقة لطيفة الانسان، والجواهرى نفسه تقيبه إلى ذلك عندما جمع بين، الجهد والخطأ، في قصيدته المهداة إلى عدنان الناصر، والتي يقول في مطلعها:

أكبر ليومك أن يكون رداءً
الخالدون مهدتهم أحياء

لا يعمم المجد الرجال وإنما
كان العظيم المجد والأخطاء
تُحصى عليه المفاثرات وحسبه
ما كان من وراثته الإحصاء
ومن وراثته الجواهرى قصيدته التي يتحدث عنها الباحث باكيار وتوفيق، قصيدة الجواهرى، رغم كلاسيتها، ليست من ذلك النوع العظيم المتصغر التحديري الذي يصل إلى نوع من الإيمان، فهي شامخة نوعاً ما، وأية دون تعجرف، سلمة مطاوعة ومشفقة فكها جديرة بالتأمل. لا تمنح نفسها بسهولة، وقد يصح فيها أنها من السهل الممتنع، فحين نقراها

لا روحها وهي جلدان زهت
بكل مارق جسدلاً ورق
تتال من شوقي وهل سلوة
لئن قضى الله له أن يشاق..
وهو إذن ليس شعوبياً كما يحلو
لخصومه، إننا نصوره إذا كان البعض
اعتبر قصيدته، أمناً بالهسين، التي يقول فيها:

فدى لثوك من مضجيع
تسوس بالأيلع الأربع
باصبق من فحاحات الجنان
روحاً، ومن مسكها أضوع
فإن شخصية الحسين لا تحصى طلاقة أو مذهباً، وإنما هي بعمها الملمح لكل المسلمين، بل هي ملك للإنسانية جمعاء، فكل طالب، عدل ورافض ظلم يجد في الحسين مثله الأعلى، وهو ما عبر عنه الجواهرى بقصيدته التي ألفها في كركلاء في ٢٦ نوفمبر ١٩٦٧.

وعلى ذلك لا يمكن اعتبار الجواهرى شخصية طائفية، فهو الذي عاش من التمييز الطائفي، مع أن رده فعلاً لم يكن طائفياً طبعاً، ولم تعرف الطائفية سبيلاً إلى قلبه. وقد وقف المجد فيصل الأول إلى جانبته يوم استمرت الحملة الطائفية العنصرية بوجهه في عام ١٩٧٢ ثم في عام ١٩٧٩ عندما نشر قصيدته «الرجعيون، وعينا يتثنى مواقف تقديمية مبكرة بخصوص تعليم المرأة، سبغى طولاً هذه الأزمات إذا لم تقصر صرخا الضمات

فدا يمتع الفتيان أن يتعلموا
كما اليوم ظلمنا صنع الفتيات
تحكم باسم الدين كل مندم
وسركب حفت به الشبهات
وما الدين إلا آلة يفسدها
إلى طرفي يفسدها وإذا
وقد حاربه «الرجعيون» لأنه كان عبارة عن فكر مفتوح في مجتمع مغلق، بل كان عبارة عن «سلطة ثقافية» بوجه سلطه سياسية، وقد أطل على مجتمعه بشفقة تمنح التاريخ لتستشره المستقبل بعيناً وهو يتطلع نحو الحداثة رغم أنه من الثقافة العربية الإسلامية بامتداد وأصول تعود إلى المدرسة العباسية حيث يستمر التعليم في النجف على الطريقة العباسية زمن المأمون ودار الحكمة. وقد وظف الجواهرى كل ذلك الحضور الثقافي والورث الأدبي بعمقه تجديدية ملونة بالحداثة ومتشعبة لروح العصر رغم احتفاظها بشكلها التاريخي

وفي حين كان الجواهرى يحظى بالترحيب والخطط النظيري أينما ذهب وحيثما حل، وكانت المشاعر الجياشة

البطرياركية العربية



والفطام الحرام

خيرى منصور

البيطاركية بالتجليات

المعاصرة لها، في نماذجها العربية هي
المعادل العنصرية للوصاية. وتأنجيل سن الرشد، وهي

روية بامتياز. لأنها تصاعف المديونيات قدر
تعلقها بالوعى وبالسكوت عنه

رمالته من الشعراء التقليديين، وهرة عذبة
مرات، وهو يقو له: نخباً الكلاسيكية،
واقذف بوشكين كله من هفتا:

ما كان عيبيه، «ميريلول»، وهو إعلان
لضمام عن الكلاسيكية لروسية، وبالتالي
بلوغ سى الرشد بحيث يسهل الإيس عن
مدار الألب، ويجهتد على طريقتيه كاشفاه
ما يليق برمائه، وما يلى حواسيه، ويهدا
العنى فإن الصراع الذى يدور أحياناً بين
مبدعين من جيل واحد، هو بمثابة صراع
آخر يكون موارباً على صعيد فلسفة
الضمام. هشمة من يهود إلى أصبحه
مستبدلاً من ثدى الأم لأنه لا يطبق البطالة
عن الرصاعة، وثمة من يتشأنى لديه
لشعور بمعارضة الأب والاستقلال عنه،
بحيث يحلم بقتله. وتلك موضوعة الثيرة
لدى سيجمون فرويد، أطلق عليه جرعة
قتل الأب، وهي على الأغلب بجرعة رمزية،
أو إعدام مع وقف التنفيذ، وفي تشافشا
العربية، الإسلامية، هناك عقاب شتى
ويستحق التأمل، هذا العقاب يدين بالأي
الذى يتحمل نازياتها، بحيث لو قهل ذلك
يخدم من هذا المرات

إذن هناك جرعة خالدة، وهو الامتنال،
والتيور مواصلة الرضا حتى
التبخوة، وبالتالي تحريم الضمام
وما من شئ يتخضع منه مفهوم
الرضا والضمام كالأيدولوجية، عنده
تكون في دوة الهزيمة، تتحول إلى بديل
للخيار، ردمتها، لا تلجأ لجدول يولدون
حسب تلك الأم، وأحياناً لا الأب الذى ينوب
عنها، وعليهم أن يتأبطوا بالحقير
عليهم جيشاً بهدوا، فالانقضاء كالمس
والختم وسنن عناصره داء الكون والتاريخ
يحبس أكثر أفرادها، من خلال عذباته،
وكى خروج هو مروق وصعاب، بل هو المعلم
المعوز الذى يعاقب بنشئ صنوف العنادية
فى كتأبه، الحسانة كلها، بروي روجيه
جاروي حكاية اتسائه بهضله من الحرب
لتبوعى العفرى وبالتالي محاسنته
يديولوجياً، وقد يكون كتأبه الشكى
بلا صفاء، وهو شرة الضمام الأولى، فهد
يرتاك من بيكاسو وهو يربس رضى
هزات كاكلا والعوين من طراز آخر وأخرج
الاطر الأيديولوجية الحاتقة للواقع
الاشتراكية، وقد لا يتابع إلى أطقنا على
مسألة جاروي تلك، أحد الصراع من أجل
الضمام، وهذا ما حدث من قبل بيكاسو
الذى اصاب الرضى بالتبوعى الذى كاد
عصوا فيه بالعتاب، لهذا كتبت سائر مقالته
الشهرة عن بيكاسو وفى البروا العملاقة،
ليس فقط دفاعاً عن بيكاسو
بل دفاعاً عن نفسه أيضاً، وعن

■ ■ ■ هي رواية شهيرة هاركرس معنوا
لتجربته فى حريقه، ثمة مشهدان،
أحدهما بمثابة الأبيض الذى يتيح للذرة
أن تعرف على حدود التساؤل، وتعبير آخر
يليق بروايه كذلك، فإن الربيع العابر الذى
يعهد للحريق يدفع الراوى إلى التساؤل
بامدهاش عن المكان الذى تمشش فيه عرباب
السلطة بين سمرات الرخام والحدم
المتناهي دوى القمارات البيضاء، والروائع
الحريفة وألمعية فاحرة.. لكن
المشهد الآخر الذى يعج بجثث الأسود
والأبقار والغزلان النافقة، ويكمن ما يحول
يتركز القارئ وقد أفضمت روحه زواج
العنل والزوال، وليسيب ما أزال أجده،
تقصص البيطاركة فى خريسه صورة
إمبراطور الفريقى، وهو هيلاس لاسى،
وسين سطر من مخيلاتى التى ارتكبت
لتظوة زمرة، أتأبى سديق فلسطينى
وهو أحد مؤلفي وفادة منطقة التحرير
عن زيارة قام بها إلى بابل الإمبراطور..
فقد اعتبره الضميرة عندما وجد لسه
محاطاً بنهور وفهد.. منها ما كان يحسو
تحت قدم الإمبراطور.. وأول ما خطر ببالى
بعد السماع برحيل هيلاس لاسى هو
معبير تلك الحيوانات المدللة التى كان
يعلمها يبيد شتما خطر بابل جوتنرا
جراس عن معبر كلاب الغهور.
تلك قديمة لابد منها لتناج زواى
فى بحث لا ينزى نحو التجريد، لأنه متعلق
بظاهرة تاريخية استحضت على الدوام
أصناف الفرائد التى كرست لها فهي
سيكولوجية.. حسب الاستفراء المرويدي
ألا جريرة مزينة مزوجة يتدأر بين الأباء
والأبناء التقليل للأصلاء، وهو اقتصادى من
صميم ثقافة رومية يقرها نمط الإنتاج من
طراز بدالى، وهو سياسياً الحرب إلى ما سعاد
الانثروبولوجيست بيدر كلاسز مجتمعات ما
قبل الدولة، ولو كان لهذا الانثروبولوجيست
غاية بالأساسة لكان لها مجتمعات ما قبل
الماجنكرو.. وما قبل العقد الاجتماعى
لجان جاك روسو

البيطاركية بالتجليات المعاصرة لها،
فى نماذجها العربية هي المعادل العنصرية
للوصاية، وتأنجيل سن الرشد، وهي روية
نامتاز، لأنها تصاعف المديونيات قدر
تعلقها بالوعى وبالسكوت عنه، لهذا ففى
ذا حرم الضمام، أطلب أيضاً بالضرورة إلى
ما أصميه ختان العقل، فالنخب حسب
رياضياتها قادم من التسلية ومن سبيل
للضمام حسب أدبياتها على التسج على
فرازة
إن أعقاب أخيل التى عانت منها معظم
المخاريب حول البيطاركية عديد.

هالسيكولوجى القصى الاقتصاد وإنشاد
الإنتاج كما فى المثال الفرويدي
والسيكولوجى فعل ذلك أيضاً كما لدى
فى معالجات الرافل، د. هشام شرابي،
والتغافى النظري يقتصر على ما نتا من
جيل الجليلدي والمجدل وإن كان
الاقتصاد قد انتهى به المطاف إلى تحديد
اكتشاف الروتز شهادة ميلاد للبيطاركية
بعد خزيمة الأمومة الكبرى كما يقول
مانيونفسى مثلاً:

إن ما يصاعف من إحساننا نخطر
الديمومة للبيطاركية العربية هو إدمانها
شعبياً، ولتألف التحدى معها، فقد ماتت
وشبكة التحول إلى قدر، لهذا نادى بالأي
الحوائم لا معنى لها، كما أن الإفراط فى
التوصيف هو لتبديد لوقات والهدم معاً،
وما سنفقده فى هذه المقاربة الأولية
لظاهرة متعددة الأبعاد يهدف أساساً إلى
تحريرها من الاختزال الذى يحدف الأبعاد
كلها لصالح بعد واحد قد تسليه
الأيديولوجية، وقد يعصى إليه سؤال
يحتاج إلى تنوير وإضاءة صياغة بالحنى
الذى حده لوى التوسيع عندما قال إن
تقويم الأسئلة هو نصيب الأجابة وما من
رجاء لإجابة صحيحة على سؤال ميتوزا

الفطام الحرام

لتبدأ من الفريوى والاذنى، فقبل أن
تصل إلى الضمام بمعناه فى العنصرية
الفاعل الذى يطمح قبل الأوان، يستبدل
تدى على ناصبه، وهو يشتر بالتأكد من
الحليب لن يتسحق من هذا الأصعب.
فيكتفى أخيراً بمعضه، والتكلى به، مما
يدفع الأيون إلى أحد الألبانين للحد
من هذه العادة الرديئة، فهم إما أن يربطوا
يده بحيث لا يستطيع استخدامها، أو
يضمو على الأصعب مادة ذات مذاق مر أو
لاذ، والشوب بالطحل ليسوا أطفالاً ولا

البطرياركية العربية والقطام المحرم!

أحرس أصداءاً حزائهم بالاحتشاق
صاغرته كاضى السوا إبا إلى تعليمهم
وباعتهم وصمهم بانهم كرهوه والرحمة
وعسرو الهضم، وإلى الأختان بهم، وقد
تكون حكاية الاستنساخ والاستشفاء أو
الانصهار إلى عنايتهم مقصود وفائزون
بناويز في عصرنا، في حكاية القمام أبيض،
كل العودة إلى الحياة الأصعب الجاف وغير
الواعد مقطرة رطبة واحدة في إحدى
حالات التردد وعدم الحسم، والتي يقع فيها
أفراد يتوقفون في منتصف الطريق بين
القديم والحري، وبين الإجابة الحاضرة
والعلمية وبين السؤال الحلقى، لهذا، نجد
من قطامو نضيب قطام يعمدون بين وقت
وآخر ليسعوا العصا من منتصفها، هم
ما نضيب هم من هناك، بعد انصهم بمر
سهم، ما سواهم، أيضاً، لهذا قد يقولون كل
شئهم إلى أن يقولوا شيئاً محمداً على
الإطلاق!

أمثال العربي، قدر تعلقه بالقطام
لثغاهي والتي يتكرر دائماً، هو ما اعتقده
شعراء القديسين، من القطام الشعر قد
يقوئهم إذا رايوا عند التمثل الكلاسيكي
لفصيدة، لهذا فهو إلى الحدالة ملازم إلى
ويلا عدة، ويلا مهارة أيضاً، فأعادوا إنتاج
المعوي مبشراً، لكن الحساسية ذاتها،
وما أن تأرق مناسة لتدعى العودة إلى
الرصاعة سواء من شئ أو من أصعب حتى
يسرعوا إلى هذه العادة، وأطبع لديهم
ما يبررون به كل شئ، مادامت الفنون
تعايش كل ما يقوون، وكذلك المناط الشعر،
ولا يحفظ بعضها البعض الآخر.

وما يأتي السؤال إلى طاماً توافنا
جميعاً على إرجانه، أو هو لا تقتصر لعودة
الشعرية إلى الفنون، والأصعب بمناسبات
الشيخ، أو الاحتفالات الوطنية ذات المص
الشعرية؟

لماذا يكتك المقطوع عن الشجرة والمرأة
والدمية بإسكاف حدادية لكنه يمشي عن
الاستجابة إلى ما كتب في شاش عام، أو استجابة
لا يعلف ممة؟

إلى طرفة فاحصة، وبأثر رجعي، لأهم
ما ميز الحدالة العربية في مختلف
الحالات، قد ترسخ لدينا الاعتقاد بأن كل
الحدالة لم تكن ذات جدور وأنها على
الاعفب تتراوح بين التماهي والتقصص،
لأنها، في أي شكل قطام أصغر بقدر ما
كانت استجابة للشئ بالزجاجة أو
الرصاعة الصناعية؟

وقد تبدو ذات تعجيباً، لكن ما انتهينا
إليه بعد شرح على الأقل من التفسير
بالحالة عيشتم عجزاً عضوية عن
بلوغه، فهو ليست قائمة تشمل عناصر
مهيبة، وليست أوصافاً، إنها حراك
مفاعيل، لا تكون فيه الصيغة في
مدى عن الزمنية للعودة والسير، والوطنية
والعبدية والمازوت
وإذا اعتبرنا الحدالة قطاماً من نوع ما،
فإن سرورة لعل المقطوع الذي ينسل ليلاً
إلى شئ الألام أو من يترقب عنها من الألام

بحرم بأن ما يسمى حرق المراحل قد يلحق
بالصناعة وتجزأت التكنولوجيا، لكنه لا
يليق على الإطلاق بالتكوين النفسى للبشر،
وهذا ما يوضح السرعة التي يتغير فيها
اليدوي من العربي إذا ما خشد سطحه.
لقد كان الروس يقولون إذا ما كتط
الروس فإن السلافي يظهر على الفور،
وهذا ما يحدث لنا الآن كعرب، ففي ذروة
الحداثة، أو ما بعدها، تمارس منظومة
القيم العروية نمودها، وإليها وحدها يكون
الاحتكام في المنحطة الحاسمة.
نشر جميعاً بأننا لقلنا من القطام
مدد زمن بعيد، ونصرف في ضوء هذا
القطي الذي هو أقرب إلى الوجه، وما
تشهده من مضغ الأصابع، والعودة
الروسية إلى حاضرات فقدت صلاحيتها
بشير لدينا سراً محرمًا حول سيكولوجيا
الرصاعة والقطام!

خستان المسفل!

لنسا بجنا إلى نيش اللطف
السيكولوجي الملتصق بالأخصاء،
كي نقول بأن الطريقة البدائية



هيتيشية، بالهني الجنوى... وما أعنيه
بختال العقل هو شئ، يشبه الأخصاء
المدجون، بحيث تعرف العقل المختون
مكبراً على حدوده الإقليمية، ومحاولة
الحري السموح له بالتشجول فيه،
فالأخصاء الهني مطلب اجتماعي،
بامتياز، تكسر له أعراف وعادات، تعابر،
لأن العفة أكثر مما يجب في أول المرق،
وبالتالي هي شروع في إغراق المساءة،
والخروج من خنة البقير!

مجمعات ختان العقل، تواضع أفراده
منذ البداية حول المسكون عنه والمسموح
به، وحول ما يجب التفكير به وما يجب
الإقبال حثاس على سلامته، لأنها
مجمعات الإجابات الناجزة والمطيلة، والتي
لا تنتهي صلاحيتها على الإطلاق على
لو هبت وأصاهاه العظمى، لأن هناك على
الدماء من يتولون تجديد هذه الأمسية،
لكن ما يسألون هل التحلية دور
البطولة، تماماً كما يفعل بعض تجار
السوق السوداء وبيعة الألبان حين
يمرون مدة صلاحية الحليب، من
خلال تزوير التواريخ المكتوبة على
العلفها!

لقد عرف ويسلون مثلاً

من سماعهم، والافتقار بأهم آثار بيرون
أبعد مما ينبغي، ليكتسبون أكثر مما يجب،
لأنهم فهم يتحولون إلى شئ على جلد
حاضرة حركية، ويتم لديهم كل ما لهم
الاعتبار بعد حين، وقد تقام لهم التماثيل
والأنصاب.
الامتني، حسب تعريبات أولية، هو
عدو الأمثال والرافض أن يشر من نهز
الجشون، وهو الجشير والأجرب، أو الشاع
السواء في الضيق، ولا سبيل للتمسك
معه إلا بالأخصاء، والأفراد كي لا تتنقل
منه العوى إلى القطيع كله!

وما من مثال يوضح هذه الحالة،
عدوك الذي تداوله الامتنيون الإنجليز
في أواخر خمسينيات القرن الماضي، وهو
الفرنسي، الذي اقترن اسمه بالعرب بعد
تجربته الشهيرة في الجزيرة العربية
والدور السياسي الذي لعبه أثناء الاحتلال
البريطاني، يقال إن الفرنسي، شاهد جندياً
يداعب كلباً تحس بمساء صافية مشمسة،
فأحس بالخجل والحسد، عندما شاهد
الجندي استمراقاً في مناعية الكلب،
الحري من أي استمراق وفي أي شئ، لأنه
كان نفسه وأحياناً تامل إذا استمرقا
على قصيدة لبرونو تارلير.

الامتني العربي بين أحياله مملوكاً
جائلياً، ومن ثم مملوكاً كليل، سبحت
الحجارة من تحت قدميه، بحيث أصبح

من كان يقسم جسمه في جسم كثيرة
ويحس فراح الماء وهو بارد، منقوفاً على
هاشم الدولة، بعد تعد الصحراء منكوبة،
ومده، وبجلا حريته!

وبالرغم من وفرة الدراسات الأكاديمية
حول طاهري الثقافة العاصليكية، في
التصريح الحاصل والاموي، والشعراء
المجان في العصر العباسي بعد أن
استلمت المدينة القانيهما، إلا أن معظم
تلك الدراسات بقي في نطاق التوصيم
وقلما كان التفكير لطواهر بالغة التعقيد
والكراهة كهذه حاجساً أصيلاً لدى من
انصمر شعفه الحيث على الأفقية، وما
يسمى (العنفة)، بمعنى النقل عن ثمن
وتركيب القول على القول ومشي الحافر
على الحافر!

الامتني العربي سواء حمل اسم
المملوك أو العلق، أو الأجر المنيو، هو
من كان غلقه الصغى على ختان القبيلة،
تتملكا أصبح فيها بعد عصياً على ختان
الدولة، لأن من يتهمون ختان العقل في
عصرنا، ليسوا ختاني السرى، بل
الخصايون في الجراحة القبيلية، بحيث
يخفون من كل شئ يعود لهم من تحول
الناس جميعاً إلى أسنان شطط، أو طبق
من البيض المشابه الزيت وصيد الأمعاء
وقد مر زمن ليس بالبعيد، كان فيه
المنفق العربي المستقل أو غير المولود،
مخنيا لتعلق سمات يتشكل من حاصل
جميع المملوك أو العلق، ليكتسب
بعد ذلك صلتى المولودين انصهم أنهم
كانوا ضحايا ختان عقلي، وأن الدولة
أصابتهم بالعمى، الذي هم الآن
والحيات، بالعمى!

إن الثقافة، ما يخالل الناس برونو
فيه) هي ثقافة مبتلاة بختان جنري، خطأ
فيها الجراح فاصاب الجسد كل شئ، خطأ
كيف يتجاسر إنسان على هدف البلقه، إذ
عقله بعد قرون من ابن خلدون والعري
والحكاك ولقد تراث المتمزلة، وأخيراً
ديكارت؟

إن تراجع على حسن مثلاً عن النص
الأصلي لكاتبه، في العصر الحاصلي، هو
استجابة قسرية لختان ما،

وخلال العالدين الآخرين تراجع
واعتزرت شعرات المقربين بختان تحت وطأة
التهدد بالتمكيد بالرجع، فقبلوا رغباً
عنهم من الختان حتى في سن البلوغ.
وهناك مسافة مبرزة ومطاطة على ما
يبدو بين التأويل والتحويل في ثقافة كل
معظم تاريخها معهزوا عن الوشائية
والاستعداد، ولا تفلت العربية من أثر
لغات العالم كالتراث والجزائرية، وأثر
الإفلات متحاً لمن يصترن على أنويل
مناسب، يصبح معه الهجر من الجباب
الخطى ممكناً!

وإذا قلنا إلى ختا في الختان العاصي
قد يفضي إلى العفة والأخصاء، الجوان
جراحة ختان المماغ أخذ حظوة، فالزجر

البيروقراطية العربية والقطام المحرم:

مير الناي والحصصا، وبين الحيل والتعيا:

شيخوخات متزامنة

ما أعنيه بالشيخوخة درة لآي الناس محتمل، ليس القدر الزمني، بل الاستفادة المبركة للممكنات، أو ما يسمى حرق المراحل الوهمي، الذي يشبه إرهابي جلد الدجاجة، بينما يبرخ نديم من الضاحك تسجيلا، والشيخوخات المتزامنة، أربع على الأقل هي على التوالي،

شيخوخة سياسة، تتحسد في نظام سياسي عربي يستحاشن إلا في شيء واحد، هو ما سعاد، طيبسة التزنيستي الاستبداد الرئاسي، الذي يشمل احتكام الحقيقة والإعلام والثروة والحكم غير الشاؤل:

هذه الشيخوخات، سوست فيها الصلوحات ولم تتأسفد بعد كمها التي الذي عتكت ميمًا زنا طوليا قبل أن يموت بالتسبئة لأخوين، ولو شئنا الصروح لغبلا من التجريد وترجلنا إلى الشارع



والعمل والجامعة والكنزة، فإن كل عناصر هذه النظام ضاقت قبل أوانها وترهتت، وفقدت حيويتها وألعيتها، فالشارع وتر اقتد تحت الأقدام حتى اقتطع، مسيب اليأس من التغيير حتى لو خرجت الملايين وسال الدم من شفاها وهي لعلل اللجام والمعلم أعلن الطائفة البائس ميونة كرى دم من طويل بينه وبين العاملين فيه، لأنهم غرياء في عصر وطنهم وأجروا مدورين، لا هاجس لديهم سوى إدامة الوظيفية، حتى لو تطلب قلب المرحاة في تلك الحلقة التي سرقت (موريس) في كتابه (القدر العاري)، فالوظيفة والعامل العربيان على اختلاف الاستوى والمهنة والجموي، يقدم خلاصة أزياء مثاقفة في استرضاء أولياء الحكم أو في اقوفهم بأنهم كذلك، وإذا اتفقنا بشعور أولي، جددلي أيضا على أن الفساد متعدد الرؤوس ولا يدل أو دابر له، فإن أكثر رؤوسه شراسة،

واحد أذنايه هو ذلك الذي يمدد إلى الأعلى، فقدم نجله سوطا مناسبا في موقع مناسب، وذلك في ضوء طبيعة عربية تتسحق براعة اختراع هي نظرية الولاء... وقلميا يصنع منظرو هذه العملية أي ولا، ولا يتحسد من هو الولاء لوطى أو لزمير أو لا يلايدويولوجيا؟ تعرف مثلا، أن النظم العربية شبه الشمولية، لأنها أعجز من أن تكون شمولية

المبكر للأطصال وعقائهم على أسنله محرمه، هو البحر الأول في الدماغ المتقن، وقد يتسع هذا البحر بغضل الحاقق مع تروبيات الزجر بحيث يشمل العقل كله، وهذا يستطيع أن نهم ما الذي يعنيه لئلا الشيخوخة الخالد (عرا راسك يوس

الرؤوس وكل ما قاطع الرؤوس) الأمثال هو الهدف الأخير من ختات العمل، لأن الاختلاف رديلة، والاختلاف هضيلة، مادامت القبيلة هي الاسم الحركي المجرع ما لتسوية الخالد (عرا راسك يوس) يوضح هذا كفاءة النار التي لم تنقطع في الألفية الثالثة عن جودها في الجاهلية، فالخقول لأيا مجرد رقم في سائلة أو طبع، يعمز عن اسمه وصماته ومحمل تكويص، وقد طائل فليسة الأخرقاء أكاديميا بارزا أو طبيبيا مقابل قبر عادي، لجره أن هذه الضحية لتسمى إلى قبيلة

الفتاقل أو أحد أقطامها وما أعنيه بالنار وفستقه البدائية يشمل الدولة وعمرية أيضا، لأنها قبيلة معاد إنتاجها وعمرية مساحيق مضلة فحين تستبدل دولتان، يتم طرد القويين لأيا الوطنيين من كلتا الدولتين دون أن يكون أحد منهم قد اترف نديا، فهم عمال أو مهندسون أو موظفون لا حول لهم ولا قوة، وليسوا وزراء خارجية أو ضباط بحاريت، لكن العقاب الثأري يتعلمهم يعمز عن اسمهم، وتكونيتهم، وصماتهم الإنسانية،

لها سيدو الفارق لفظيا بين دولتي مستبكتين وقويتين متناحرتين: كل ما في الأمر أن الضمان داحس في تصاميم بدلية أو مضفرا حدوديا، متعلما تتحول الأفراد إلى سيارة أو سفارة أو معلم ووق:

العمل الخلقون هو المطلب النموذجي للجماعات تفرط بالفسطرة من الاختلاف، وتقسيم شائبة، مبادوية، حاسمة، لا تعترف بالبعد الثالث أو حتى اللبوس الرمادي والظلال بين مطلق السواد ومطلق البياض

ولقد مر زمان فكت من العلية المابقة في قوس وشوي، أو بعثي وفاركتي في القرن بالاعلاقة بين الأوس والخزرج أو قيس وبين، ولا تختلف قصائد ومقالات كتيمة في الحمسينيات والستينيات من القرن الماضي ضمن أليات السحاح السياسي والتواتات، الأيديولوجي عن النقائص الأموية التي شارك فيها الثالوث الهجائي المروص،

ختات العقل، هو الطريق المعبود للوصول إلى هذه الحقيقة التي يتقدم فيها الزور، يصيغ فيها العمى وباء، لهذا لم يكن مماسحا أن يقتصر التفكير

الموسبات والدفاع عن غيرية الأقطاء البسوحة الثانية تصفية وفكرة إعلامية، عهد اعاد لفسية واحد نصر الكتيب والألق كفاءة والشفاف كالاعلام، وأصمدا الشيخوخة الأيديولوجية المسكرة لهذا الثالوث الشائكة تكون قد حقتنا المستحيل وهو ترييع الدائرة وليس الثالث فقط، هياثرهم عن أي أدم جامعاتنا تأسس في الربع الأول من القرن العشرين إلا أن الشيخوخة المبكرة أصابها بالمثل لا يندر أن تعاصر جامعة أو جامعي في إضافة متحل إيدياعي حديث إلى القبيلة المعدسة

وأحيانا تبدو أسوار الجامعات كسور لعين العظميم نمعياي ما، لكنها أقرب إلى مفهومي الجدار الوفاي مقفياي آخر، سياسي في جوهره، فالحمولة الظالية في لثائية في الجامعات هي أكثر ما يفتقل على كاهل النظام العربي، أكثر ما فهو خصاصه احتشارا، ويحولوه إلى مستوطنات غلب بانغلي الكفكوي إذا دخلت فيها شرارة واحدة، وكانها محيط كله من التهميم:

السيست الرقابية الحديثة، والجنوسية أحيانا في رأس التواصل والمنتزعت تعبيرا عن برعة مرمنة لتجبيس العقل؟

فأرتقب يدرك أن عمله لا شامل من ورائه وأنه مجرد امتداد فكلوركي كمنة كمنة الشناح أو الحودي لكنه يواصل عمله بانفاق شديدة، وأحيانا يمنع عشرة كتب دفعة واحدة من باب التحوط، فبعضها لا يلحق به أي دأ، أما لتسرب ادعها من قلعه فتدلي قد يلحقه حتى، لعمامة، ما الشيخوخة الكفيرة إلى دم يكي هذه الواقع والصلوات التي قدام سد كل ما هذه جديدة وصارم لادقة صيغت في رس أعمى في معطم الحاجج والإروء السالدة الان والفتي تسير ألة الإعلام، وترسم للثقافة تصريسيها واسترانييتها في روايب، زمس ولي تكويرت في الضقات ومصايب، وبعاصب، وقد وظف الشائون في هذه الخلق أن الكفكار الحسطة في كواكب ومجرات تصم، لئلا الأرض، وتمر بها فصرحت منذ ألفا وربما ملايين السنين، وهالك مناسبات قد تكون عبارة بالنسبة لسوانا لكنها بالنسبة إليها تحير متصون أولي الحصى وعبدية الخطايب الجديدة الرسمى الاثنية صيرت، وهذا متلى عليها وشاح ملونة لكنها بقيدة الحول والقوة، لا خيول الإعلام العمياء هي التي تصنعه

رقص كانت لحامرة تيمم لدا ويهدد عروشا ومفالة حرة يصير طريقا هي الحيل تسدعي عثرات تصلب وصمكهم

التفيس، فإن هي شانه هي في شيوخه ضمر فيها اللحم حول العظم ووشك الخناص على الجفاف، بحيث تصعب كاتبيسة التي لا تتحمل أن تخدش؟

البطرياركية العربية والقطام الحريم

هنا كان الوهم من قرآن الشيخوخة
 انها هو يتجلى يوميا في مبانها وفخامها
 وما يشبه التظاهرات بسبب مقطع في
 قصيدته أو عبارة في مقالته، وقد تكون
 الشيخوخة الضافية أشد خطرا من أية
 شيخوخة أخرى، لأنها إن أصابت العقل
 شلتها، وإلى تسرير إلى حوصلة إلى
 هيج، بحيث يصبح سائيا وزائما ومطافئا
 للواقع لا مغارفا له شأن الحيوان.
 كنت أتمنى أن أخلى هذا الحيز للحديث
 عن شيخوخة اقتصادية إلى مدى أمر شعاب
 هذا، الرصيف الذي تحول إلى اقتصاد
 الصدقات واقتصاد اقتراسي، ويبدو أن ما
 ساء ما ركس شط الإنتاج الآسيوي في رمي
 ما أصبح الآن بحاجة إلى إعادة نظر جذرية،
 فاقسم دقيقة عن الوطن العربي يقع ضمن
 قارة الآسي حده، لكنه يمارزها في أوضاع
 إنتاجه التي امتل على أفرادها أنماط تفكير
 وسلوك، تستحق تقسيما جديدا، وإذا كان
 للأرقام أن تثوب عن الكلمات في تقديم
 صورة دقيقة عن شيخوخة اقتصادية فلتكن
 هذه، الرصيف الذي تحول إلى اقتصاد
 شيد يسيرا ما نشر ويشتري موسيما عن
 حرج المديريات، والإعاق السمية، ويبدو
 أن ثروت فلكية على تسليح خاص بعد أن
 أصبحت القوات المسلحة العربية، مشحنة،
 ناعلى الدقيق والتشبيه!

إن أفضل تصوير لشيخوخة الاقتصاد
 العربي هو سياس يشتر ما هو (ربوي)،
 هو الاستعانة بأسطورة مدياس اليوناني
 الذي كان يحول ما يلمسه إلى ذهب حتى
 مات جوعا، لا أحوال الخير ولأما أيضا إلى
 ذهب
 لكن مدياس العربي في نهائيات القرن
 الماضي ويوكير الألعية الثالثة هو مدياس
 ممكن شأن أن الديناميات الموسوخة،
 فهو لا يمس إلا يحوله إلى قصدير،
 وإن يلمس الكثرة يحوّلها إلى نذرة،
 والفاصلين إلى فقر متلف وقصصا،
 وبفضل، العربي اللغنى إلى الأفقر
 والاكثر عددا من الناحية الديموغرافية،
 إلى مجرد عزلة عزلة في هذا الكوكب،
 وكان الحرافيد تحولهم من هذا المدياس
 إلى عاء على التنازع!!

الثقافة الريوية!!

الثقافة الريوية هي ثقافة الريف والطاعة هي
 التخلف والتي تحث حصص ما قبل الدولة.
 ويسود فيها نمط إنتاج ريفي، تكون
 البطرياركية قد استعملت تصانيعها
 التاريخية، بحيث يمتد عروا من مشر
 طراز، شعوب للإيجار، من تأليف، شمل،
 مثلا ما بالغ الثقافة لاستقراء ظاهرة
 مسكونة عبريا
 ما يعطينا هي هذا المقام هو البعد
 الريوي، ثقافة الريوية مجتمعات من هذا
 الطراز، قاريا ليس حكرا على الاقتصاد
 باعتباره فائس المرافضة لصالح الدائى
 ضد القدر، إلى ميثوث هي تسجيح الواقع

برمته، وهناك ريا سياسى وجسسى وثقافى،
 لأن الميوليات هي مجتمعات عائلت ونعاسى
 من فاضل المكتوت موزعة في كل محلات
 الحياة، ولم يكن للسلاطنة أو القسوة شكل
 أعز أن تمتع عن مجتمعات متواريه، وفقر
 محتله نفسيا واجتماعيا وبطيقيا، لأن
 الإقراض على الإضباع هو العمل المرفوع
 لعناصر الكسوت، وأول ما ملاحظه في
 الثقافة الريوية هو العقد غير المدون بين
 الخشخ والسلطة من جهة، وبينه وبين
 الناس من جهة أخرى، وليست مقايضة
 الموقف السياسي بوظيفة أو أجر أو أى
 مكسب ممتنى سوى موقف ريوي، يطالب
 فيه الدائن الدين نسبة من المال أو الجاه
 أو الاعتبار مقابل صمته هي الحقيقة
 وأحيانا تتخلف طرفة العبد إذا تحول هذا
 الصمت إلى شهادة زور!
 والشاهد، التي تقدم لجليات للظاهرة
 الريوية هي الثقافة عادية، ومنها ما هو
 في متناول العين المجردة، كالمهرجانات
 والثقافية والتمنية التي تخصص لها
 الحكومات ميزانيات عامة، غالبا
 ما تكون عابثية، ومضافة إلى
 مصاريف الدولة المسكونة على
 العلاقات العامة، والريوي جافنا!

غير المستقرة، المهرجانات التي لا تحسنى
 فصره دقيق من الميول السياسي تتيح لن
 بيرونها أو يتولون شئونها فرصة واسعة
 في عقد مقايضات ريفية من أطراف أخرى
 سواء كانت تلك الأطراف من الضيوف أو
 من المشرقي على مهرجانات مرادفة في
 دول أخرى، ومن أتيج له أن يساهم ولو مرة
 واحدة وبوزار الضيوف في لجان المهرجانات
 والثقافية والتمنية يصعب أصبه على الجرح
 وعلى نحو مباشر، إذ غالبا ما تخصص قوائم
 المدعون لامتيازات ومهاير لا علاقة لها
 بالثقافة وطغومة فيها، وما سمعته
 وشاهدته عن كتب في إحدى المرات التي
 دفعتي المصون للقبول بالمشاركة فيها
 يقدم صورة مضادة لا ما يعلن، وما يجري
 تسويته صحفيا وعمر زياتي محترمين ش
 يتفقون أديبات الحداثة السياسية عن
 بلهم، الثاني، وبالأغ غالبا ما يتروكون
 بلهم الأول في أوضاع باقية التزرى لكتهم
 شعنا يقصدون شهادت الريوي
 المتجرارية والحرة والتشدين والجمال
 والإبداع في البلب الضيف يمارسون الريوي
 الزنوي، فهم أو لا يصفون إلى من الثقافة
 وأخره التندق، بصافعا طمعا في تكرار
 الدعوة، وحسرا من أن جعل استماتهم في
 الصوامع السوداء إذا جازوها بكلمة حق
 واحدة تخس زلزامهم الحاصرين
 والمثوين.



والدولة العربية الدالة والتي هدم
 آخر حرف من سيادتها هي التي شرعت
 ثقافة الريوي عبر إعلام ريوي يتخلص في
 استخبار الأصناف متلفين مروصين من هذه
 الواجهات وعلى بعد مقالة واحدة من هذه
 المقار أو تلك، وأحيانا يكون لشاعر أو
 كاتب سفر أو السطلة لأسباب سياسية
 أو سانسلية مكانة تتيح له التدخل في
 برامج الثغرات والمهرجانات فريدي من هم
 على شاكلته أو من يتعرب بأنه يدين لهم
 بعرض كتاب في صحيفه أو أى موقف
 استرهماني بذلك ترجسيته، وفيصفي من
 يتصور أنهم غير صالحين للاستخدام، وقد
 لاحظت أن التعامل الرسمي وشبه الرسمي
 مع المثقفي المعروضين للإيجار هو على
 طريقة ما يسمى، ديسوبوسبيدل، أو
 الاستخدم لريوي واحدة، وذلك لأن من
 يستخدم مرة واحدة يولد فيضادة الزور
 لا يستطيع التراجع أو الاعتذار وكأنه قد
 عذريته حسب أديبات الشرف الجنسي
 والكرامة الريوية!

لا تفصل ثقافة ما، كإقرار
 تاريخي عن أوضاع الإنتاج
 السائد في المجتمعات
 البشرية، لهذا لم يكن غريبا

أن يكرس المثقلون في علمي النفس
 واجتماع فصولا لدراسة سيكولوجيا
 مجتمع هذا المحصول أو ذاك من
 الحاصلين، فالقطر له سيكولوجيا خاصة
 تميزها شروط زراعتة ومقاومة دودته،
 وكذلك الكاكاو... والمزيتون، واستطيع
 كعري ولد على بعد أصيل قليلة من
 الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط
 أن اتحدث عن سيكولوجيا زراعي الريون
 وناطحيه، فهم يتشتمون براضة قدوم
 ثلاثة أرباع السنة.

لها فضاء من المرام ما يمكن تحوّل
 الأسمنة المشولة أو اللطولة إلى السنة ذرية
 وسلطية، وقد يزدهر الريا في مجتمعات
 كهده بسبب التسايعد الزمني بين
 محصولين، إن تجرة الزيتون لا تعملى
 ثمرة إلا مرة واحدة في العام
 وإن كان هناك أسباب ولادة الريا هي
 تاريخ الاقتصاد هو فضاء الدائن عن حقه
 في الحصول على نسبة من الربح بين
 تطويل أو إقلال لفترة من الوقت، فإن
 العامل الثقافي لهذا الريا الاقتصادي
 إصرار المثقف الريوي على يستمر قراوته على
 التسكب ما رواه وكأنه يتابع زحل لكتار.
 قد سمعت ذات يوم من زميل يعمل
 في الصحافة الثقافية عبارات مشيرة
 تنصاع لثارها عن العتالين إذا وضعت
 تحت الجهر النفسى، على أن يشترى

الكتاب بدينار مثلاً، ثم يعرضه في صحيفه
 بشرة دائير، وكأنه يترجم الحادثة المتعلقة
 بالحنسة التي كسدت عشرة أملاك إلى جمعة
 أخرى، وإلى مفردات من من صميم أهم
 اقتصاديات المعرفة في أشد أبعادها
 حجابة.

المربوبون بأحال واصحون لأنهم
 يتعاملون مع الأرقام، ويتركون أن ما
 يمارضون به يعرضهم للعقاب على المستوى
 الفاضل، لكن المراهين في الكلام معلولون
 ومجازبون ويصل ما يسمى الانزياح في
 أدلهم للثوق إلى حد المزاجية القصيرة
 بين الماء والنار وبين الشبان والعراشة
 ونحن نسمع في معظم المناسبات ذات
 الصلة بانفاق السياسى أو الاجتماعي
 عبارات تقول: إن ما يحس به المتحدث من
 دألهم للثوق إلى حد المزاجية القصيرة
 بين الماء والنار وبين الشبان والعراشة
 ونحن نسمع في معظم المناسبات ذات
 الصلة بانفاق السياسى أو الاجتماعي
 عبارات تقول: إن ما يحس به المتحدث من

والحتم من أن الكلام يعتبر ظاهرة
 لاقفة في ثقافتنا العربية الحديثة، أو
 التي تتفهم الحداثة وترجمها، وقد يجد
 راصد هذه الظاهرة مئات الفصائل التي
 تهجو الكلام، وتضعه قضيحا للفعل، وكان
 هؤلاء الشعراء الذين يشعرون بجسوى
 الكلام يقترن مع النص الديني بأنهم
 يقولون ما لا يفعلون، وأدرا ما نثر على
 نص حديث يعيد للكلام اعتباره المسلوب
 باعتباره فعلا آخر، بل فعل العمل لأنه
 شحنته، ويذكره القائل للثول.

الكلام القاصر عن نقل حقيقة
 العاطفة هو في المصميم من أجل الثقافة،
 إذ لا بد من تكثيره ومضاعفته، ومعاودة
 الإحاج عليه بالشراف على يرفى إلى ما
 هو مطلوب منه، وهو أن يطبق حقيقة
 العاطفة!

إن التخصيص الفعلي لعبارة انزعز التي
 تبنها كثير من الثرثارين هو الساع العبارة
 وصيق الريوية، وليس الحكم، وهو صدقها
 ما قاله النضرى، فإن أول ما يمكن أن نجر
 به على الملأ، هو الريوي صافات وانحسرت،
 وقد قلقت لصالح العبارة التي استعانت
 وارتخت لهم قدر لراً مشدداً قابلاً للتعرف
 لهذا، يكون تكرارها المجالى هو البديل
 لإعادة شعها بظفر أنشائها، إن واحدة من
 أهم المعالجات ما يسمى نغمة الكلام، هي
 تلك التي قلدها بها، كاستن الأنثروبولوجيت
 التي تخصص في مجتمعات بحكمها
 نظام ما قبل الدولة، تلك كانت كما يقول
 يستند نموده من المصغر إلى كسب إليه،
 وليس من قبلته الدائلي، لهذا، فهو
 يصدر عن شيخ الثقافة هو الصواب والنطق
 وما يحكمه إليه، كل هذا الدال الموقن
 من (الريوية) هو أن تسبب إلى قدر فداي من
 القليلة ما ينفذ أحدها، هكذا يصبح
 القليل الدال لربما مقولة ما قل دون هو من
 حصة الأولى والأشد نفوذاً على القول
 وماذا إلى الوجود.

البطرياركية العربية والطعام المحرم!

الطرف الذي يهاجمهم إلا حذاه أو ربطة علقه أو لون بشرته فاقسته؟ ولعمرة أكثر من امتحان اختبار صديقية الأطراف وحاشا للشائشة حول الحريصة والاستمالة قبل تطفلهما بعملة الكسبية فقد انتهى الأمر في العديد من المرات إلى تذبذب هذه الأطراف، بحيث لا يتغير المنطق المستقل والحر والدي استعصى على التشجيع السلموني بغير العبرة السلبية، والتحاسيس الطمولي، بدلاً من الإقرار بما

أنجزه كأمولة جديرة بالاحتفاء! إن هذا دحد داته يتصنع جملة مراعاة ثقافية، ويوصع بأن الجميع ليسوا آباء الصبي حسب الحكاية السليمانية المروية، في احتكام شاء متنازعات على طمل إلى أحد القطعة الحصريين، حتى طلب تطهير الطفل، ثم يتعذر على أحد الحقيقية لأنها وحدها التي ترفض هذا التطهير وتؤنزل عن الطفل كي يمشي، تقتضي أدبيات الثقافة البديلة التي

تمهل في التسمية، والتلاعب بصمير الغلب، من ضحايا أبى بطلمو! آخر أصرة المرجعيات المعرفية، وإن يستبدلوا الحوار حول المفاهيم بسجالات لا تتجاوز الشخصنة، وهو ما نسببه الانتحار لنقص صمد القضية، والتلاعب صمد القضية، وأخيراً للمثقف ضد الثقافة، هذا الاستبداد يسير العسير، ويرجع الحس والفريزي من عبء التحشيرة، باختيار مرحلة عليا من مراحل العقل والحضارات، فهو شارة بلغة، لهذا يصعب على الأهلية الأخلاقية والتعامل مع الموسيقى قبل كلمات كما أنها لا بد أن تترجم اللوحة إلى نص لغوي بعد تدوير وتفكيك كل عناصرها كي تستطيع التعامل معها. هذه العهنية غير المعجزة، والتي تقناتها الخلايا الخفية من ادماغ نحو ردود افعال غريزية، إن لم يهددوا إلى الإطلاق ما قاله موسيقياً أن اليهود بهجرهم عن استيعاب موسيقيا، وطلبوا منه شرحاً يعينهم على الفهم، لقد أجابهم بأن غير وسيلة لشرح لغة الموسيقى في إعادة

عزفها! لكي لا نذهب مديناً وبوغل في نداعات لا نهاية لها، علينا أن نقر بدءاً بأه مهنة الكتابة ما تزال كاندت شتي صفوف الرجز والشاعرا، واحدة من اعتراضات بطلمس وغير بروتوكولي، بعد وقت دشت اد سمر تجربة نافذة المأطرة على هذا الصديق، أنشئ طليت تحديد معنيتي في جوار السمر، وإلصقه إلى ما كنت فيه من فسيدي، مهني ككاتب، واكتشفت في مطار أولي أنا أقدم ابرواقي لوظف لطمار أن مهنتي، كلاك، هو لعني الكتابات في حزن أو كيمسة وصحتك حتى البكاء، عندكرا مسرحية موليير الكوميديا الذي اكتشفت بأن ما يقول هو، «الشر، كمنكناك لئشمر»

ومن أصدق أن مثل هذا الحطاد قد يحدث إلا حين سانسس أحدكم ذات يوم عن مهنتي،

المهوير هو المصادرة بالهني الذي حدهم المتأخلة قبل السعي عام، فالصادرة إعدام رمزى، لأنها تحشر شخصيتها بين قوسين من خلال تعريف ميكر، لا يقبل المراجعة أو التطوير، لهذا يهني الشاعر أمير التحريف التقدي الأول لديوانه البكر، وكذلك الروائي والرسام ولا يتجاوز النقد من هذه المصادرة، وما كان لهذا الإعلام الرمزي، الاستباقي - أن يصيح في الصميم من أعراف ثقافية بديلة، لولا أن المجتمع برمته آدمى مثل هذه المصادرة من خلال ترويبات رعوية، تبدل الزمن لكنها لم تتبدل وبقيت محروسة ومسيجة، يمنع الاقتراب من أسوارها الحبيبة، فمن ولد من عائلة غنية واثت يعود، قد يكتفى به التعريف الذي جيزه له المجتمع بل إن تسمته الغاطلة من بطن أمه وهذا هو ناتجها من ميسى لحقق في عصره، يمنع مجتمعاته النص تصحيح حديثه وصفت تقليدية، تحشرك كاليدلوس بين القرن الثامن عشر والقرن الحادي والعشرين، فإن الامتياز اللوروي يسهجج كاحتياطي، يشهره صاحبه عندما يحتاج إلى الدفاع عن



سيكولوجيا الإنسان المفقود، فالاختزال تيسيط وتسطيع، بقرم ما هو إغناء للذات وتبرئة لها من محتوياتها في الدنيا ميات السالبة حراك معكوس! لهذا حلت التسمية مكان النقد، والخصنة مكان المفاهيم والظواهر، وأصبح من السهل تسقيف أي شيء أو فهمه لأسباب لا صلة لها بالثقافة، إذ يكس أحياناً تصنيف مثقف ما طبقاً أو أيديولوجياً بحيث تصيح قراءاته «بروكستية» تعذب لصوصه كي لا تفرط بما لم تكتفر، وهكذا يحل التقويل بأردأ تحليلاته مكان التأويل، وتنقلب اليوصالات كلها، ويضطف الحد الأدنى من المشترك العقلي الذي هو بمثابة جدول ضرب أو سلم معنوي، وتقوم من كينول أنهم أول من كتبوا، أو أنهم آدم الخليقة وأعرافه. الثقافة البديلة، تحصد النص لصالح المؤلف ثم تحذف المؤلف ذاته لصالح إحدى صماته، وقد تستمر متوالية الحدف الحرقاء، هذه حتى تنتهي بالحصان إلى شجرة واحدة من ديله وليس من غرله! والمجتمعات التي تعاني من

إلى الثقافة البديلة هي الأنة البكر للبطرياركية، وقد تكون توال العربية بالمفهوم الانتحاش، وإننا نتعجب كيف يتهاوى المشرع عن هذه المستوى من الربا، فهو محلل ومشر، به وقد وصف ذات يوم بالريا الحميد مقابل الريا الخبيث، رغم أن الوريين من الحمد ذاته، ومن إفراز دورته المدوية! الدولة العربية الدالة هي التي شرعت الريا الخفاش، فحصل فائض ريعيتها، والبطرياركية التي تحرم الطعام السياسي لدى شعوب محكوم عليها بالملكوت هي مرحلة الرضاة، والدولة التي تقايش مثقفاً، وطيبة بقصيدة مدح، أو شقة مقابل وشاية، هي دولة الريا باسمايأ لأنها لا تقتصر لفساد البلية، تحول نفسها إلى ذلن في النهاية، وعلى من تصدت عليه اللغزيل أن يقصص المعروف يسند الميويته التي تترامك عليها الريا بعمديه السياسي والأخلاقي!

الثقافة البديلة!

يحتاج المثقف إلى درجة ما من الموزة من الحراك الثقافي وصماتية ذات الشحنة السجالية كي يبتعد عن اللوحة كليل، ولا يتطلع أنه على نقطة واحدة منها كما يحدث لطليل يقاتله المصول إلى أن يفرض ذات وأجبة زجاجة لاحتوت الحلوى! ذلك بساطة لأن الاسترقاق إلى المشهد يستمرج الخلف من شاهد إلى ألامع، ومن راسد إلى آخر مصور، وتفرش أطروحة الثقافة البديلة كما الههها على من يتطلع لها أن يكون على دراية بالثقافة الأصلية، كي تستنل له المغارة وأخيراً المر، وفي مجتمعات كهذه التي نموتها أكثر مما تعيشها، تزهر البدائل على حساب الأصل، وتوشك، الأشرية أن تحل مكان كل ما أفرز عضويًا واستكمل تصاميه من حول، ومن لا يتعرض لولادة قصيريه، قد تدمر بالآلام والجينين معاً!

منذ ثلاثة عوامل على الأقل غدت الثقافة البديلة وصفتها على حساب المثقفون العرب من إهمال موزون، من السلطة ولناس معاً، وما تفرزه الأعراف الاجتماعية الصارمة من تألق وتشرلات من أجل قلدي الدنيا والآخرة، وبالتالي تحقيق شرط الانتساب إلى السنادي الاجتماعي، ولتعلم الخاتمة هو الطلاق البائني بين ثقافة الناس في شعاب عالم متخيل ومن واقع يتم التواطؤ على توريه، ويحول أخيراً إلى ما يتحبه الكيمى الذي لا يتحوم منه حتى من ساهموا في نسجه ونيلنا!

أول ما يلتفت الانتباه إلى الثقافة البديلة هو اللحن الذي لا يشغلي المثقفين فيه هذا الحقل هو الاختزال وفق التعريف الذي اورد د. مصطفى جباري في كتابه

البطريكية العربية والقطام الأحمر

فقلت له كاتب، وسأني على الصور في أية محكمة؟

إن هذا مصطلح على تسميتهته بالانجليزيا في اصطلاح العالم، مايزال لدينا غامضا، فالطبيب مشتق والمهندس كذلك، لأن كلمة اللغز مغاير مرادفا لكلمة متعلم في مجتمعات لم تعادها ترويات العظمة، والتراث الشفوي لشعائنا، فالشعوب بعد قاته هزيمة عادوا طويلا من الحرب، من هنا نسمع الناس حتى ايامنا يقولون، إن ما سمعناه ييسو صحيحا لأنه منشور في جريدة! الثقافة البدئية ليست مستوى آخر للثقافة، إنما منشأها... وأحيانا جنازتها الدوسة!

أصنام من خداع الفريسة

فهرط ما كتب حول ثنائية الثقافة بالسلطة، أصبحت هذه المصطلحات مهددة بالتأويل، من صحتها، وصار من حق القارئ العربي أن يطالب المثقفين الذين يتعاطون لهذه الاشكالية أن يكونوا من طرفين فقط، الأول مشتق ثيوريته بالسلطة وتحوّل إلى مخيل لها زمنا ثم تاب وزجراج، وكذب يومياته. كي تتحول إلى أصنام يتعجب بها الضالعون، والثاني مثقف مستقل، ومشهود له بالاستقلال خصوصا أنه اختير، وتحت مساهمته لكن المحاولات فشلت لأن مسلح بالثأمة، أما هؤلاء الذين يتفادونه مالتأكب السلطة، الميو، بين جميع الناس وديم السلطة فهم قد فقلوا منذ زمن صفتهم، خصوصا بعد أن اتضح أن الكثير منهم رتب في الاختيار الأول وسال لمائة على طريقة متوضعة، التاوت له التشكيل برملا، ولو له خلال الرقابة والترصد والاستعداد، إن أساء الثقافة، والشهود، هو فساد الملح بالمحل، بحيث ينتهي آخر رجاء لدى المتهورين الذين استهجنوا استهجنهم بيسبب الصمت الزمن، ولدينا الآن في ثقافتنا الرأجعة، والمعمولة من الاتئانب الجشعي في الضمير ما يتيح للزوائد أن تتواها وتزاعج على هذا التوسعا الماسا.

فمن نقرا وسعيا كتابات المثقفين السلطانية ملاحق وفهارات وأحيانا كندهم، ثم أقتب بهم إلى مدال الضامة، هؤلاء لم يهزئوا لحظة واحدة على صفتهم عندما كانت أشلاء الفريسة تذر عذرا على أفرامهم وعلى لحاهم، ويسمو إن إهمال الثقافة وتهميش المثقفين الآن في إن تقول ما تشاء وأن تخطئ بين الخاف والمصا، والجول والتيمان، فاناس غايرون ومبيون، والمعار تئني حتى لاسس الأرض، واليوصلات المصطبت فاصبح الشمال جنوبا والمغرب شرقا. فكلون صلبة الثقافة العربي الذي ارتنن للسلطة منذ نشأ بالحرف الأول، بابايت بعد الظلمة من طراز بالغ الافراد، عتحت وقت قريب كما تشامخ مع

جوبلز وجنايفو، والتكاريه كأمولات وافدة من خارج هذا الدار، ومن الذين شهدنا في الحنية العسكرية الصدارة، مفتقون لم يكتفوا شيئا غير التقارير والوفيات لأنهم كما مساهم الراحل خليل حاري والتي تاب الله عليه بالرحيل (الحضفونيين)، أي الراحفون على طولهم! إن أسوا تركزة مستورق بها أحيانا القلعة لمقتضى السلطة، في أنهم كرسوا انبيات النعمة والدمع، وأفرزوا جعرا وتترا فرستهما على الناس مجلات مسكرة ومدمجة بأموال الدولة، وشهود الزور، ولكي لا تستخف بهذا علينا أن نتذكر كيف تصدتت نصوص داجنة، والذالة القائمة، الأدب العربي المترجم خصوصا إلى الروسية وشقيقتها في حقبة الهيمنة الأيوولوجية، وتحويل الأحزاب إلى حاضبات لتفكيس الشعار والرايين والتقاء

إن المثقف قبل زمن البادية إن يتحول إلى هراوة بيد شرعية سيكولوجيا لم يعد صعبا علينا أن نجد أملا ملاحها... فهو يصطخب القزاق، والتماسك، ويفتعل الجوعان الذين يستر عورته الثقافية بالمسخرة، وقد يسخو ببعض ما تكسب به



خمس عقود من تاريخنا بالحدث تجم هؤلاء، فقد نحتوا تائليل وأصناما من الورق، استعدوا أجنحة السلاح، وهرغوا على الأرض لا تدور، لأنهم يكرهون الظلم، وتخشون من الشيات، وبالرغم من كل ما يصنعون من تشاكس وتوازن كاذب فإنهم مصابون بالهلع، لأن استبدادهم سهل كمناديل الورق، لا كمناديل الحديد، فالطابع طويل... والتنافس محمود وعلى أشده لاسترضاء السلطان وتديك عواطفه قبل ضلالتة وأعضاله، وقد سمعت من أحدهم ذات يوم، وكان يراس تحرير مجلة رسمية، أن الوزير استدعاه ليوضح له خطأ الترفيع في المجلة، وما أن انتهت حملة التوضيح، حتى قال له الوزير: مهذا... إن ثلاثين مخطئا من أأموره ينتظرون الموت... وإنهم جاهزون للحلول مكانه لغير العذر!

الأربع إن السلطات رغم جعلها تعلم النفس وعلم التفتك، لأنها ضليعة في علم الصنف والانتخاب... ولا تقل لديها للقرأة... تحرر بالفريزة فيرستها، سواء من الرألة التي لفرها أو من خلال الحباب الذي يبلل حبتها! إذ همت والحدة

الطعم. وأول درس تعلمته السلطات في مجال السيكلوجيا الفطرية هو درس الضياء، لكننا أفاضت إليه من فلفل خبرتها شيئا آخر... وهو إدامة هاجس الرب لذي الفريسة، لأنه قابله للاستبداد، وما من فريسة تأمن على الإطلاق لباقها في تحميم الأسطبل، حيث الحلف الواسع، الذي وفاء وفك يكون هذا هو السبب القوي في حرفه، والحق وصعو الجوع، وإن كان لابد من استنباطهم على الصبر، وعلى شرافة السلطة المزعومة من أسمى، فمن كتب ذات يوم من رئيس جمهورية بأنه كطالة الجمال والحق والعدالة، لم يبق لأشعر عريقه ما يقول... سوى أن يجازف بتهجير صفات التوري إلى الزعيم... حيث أدم هراوة، وما أن انزوى للصعب جليت، لذلك الأخير حتى استبدل صاعقا جعيد، لذلك لأن السلاطين الجدد غالبا ما يتوقوا من قبل فلول النظام الفاربه، فقه الحدم، وفلة الدعين!

والأ كان لابد من استطراد حول سيكلوجيا مختلف السلطان إلى التكتد، فهو يبدأ على استحياه، واستبرك كثير من النفس والجبال إذ ما استتبعت به الفقرة بين ما هو عليه وما كان يمكن أن يلفقه، لكنه مرور القليل يتألف مع الوضع الذي كان شافا تم تحول إلى ما يوف ولديه بالطبع

استعداد كبير لتصديق ما يكون له المبح، وهم كثر، لهم مطامع وظيفية، وأ مسابا صغرى، لأن المجتمعات العربية على وجه الخصوص، نسبت الثقافة منذ زمن واستقرت في جيون ثقافة عدية الصلة بالعلم، فإنها لا قابلية من توطأ مع الطاشوت على شقلها، لأنها أيضا لا تلتفت إلى ما دفهاو دمس حريتهم وشهادتهم من أجلها.

إن هذه اللامبالاة التي لفرها الأمية الثقافية واغرباب المجتمعات من نفسها وواقعها تضاضب من جرأة مثقف السلطة على الضع بعدي في مهنته العسية، ولو وجد من يعاطفه ومن يديره بولامته، كرما راجع لفقيه لكان، لكن بجماعة البتالة باسمة من طراز آخر غير أكاديمية، لا ترى ممن يطعون على سطوح البرك، البركة والأمنة غير الامتياز الاجتماعي، والجاه الذي له صلة له بالثقافة ومعاييرها كم هو عدد هؤلاء المثقفين الذي اختيرت السلطة مستعهم في الوطن العربي؟ قياسا إلى العدد الذي لا تراء السلطة ومزاسها، بالعين المجردة؟ إن من حق من اختير وأعلن الشاعة والتمصيان أن يرفع فيه... ويشهر فافس كي يعيد إلى الناس سريرة الجراء، فاناس من النخب بلغ حد الفنوط، ويصلون من ظن إن عروف العرب من القراءة مشأت من الجبل فقط، ومن الففس فهم جربوا مراكز وضاعوا خالبيين، لأن وفرة العدد ممن يصفون زورا على شقلهم خلقت لديهم صدوا عن الفرة.

تقد راوا بالضمير كيف حولت مفقو الاستعباد الهرمات الساحقة إلى استنصارات، والحق الدافع إلى إلقاء، والاستبداد إلى عقلة، لهذا فقلوا الثقافة بالكلية المطبوعة، وأزهر في الألفية الثالثة الأدب الشفوي، فالهوس لا ينقطع بين الضامن الذين يمسرون حتى من انفسهم، ويعلمون التاريخ كله الذي ورعهم بالضمير الذي يكادون فيه ما يكادون.

هذه مناسبة للتذكير بأن من تضعف السلطة لعدم والصدق طمعة إلى الرصيد، ومن تئتب سلاحيه لا يلقى له أن يتفقم فريضة، وندك الضمير القديم الذي طالا عرقه، واستبد عليه السلطان، فهذا المثقف مكره وكريه، وليس بطلا بأي مقاس! إن ما يلفشا هؤلاء... من تسوين أصاب الهود، والتوابيت والصنوجيات وأسرة النوم والأفلاق، يجب أن يتوقفوا لاجل إبطال العجب بالتكثف من السبب، وأى إرجاء اهتد اهتد، فهو تاطمأ آخر وادخار انذني لذلك لعلها تشرع على الفتات ما أن تم امتصاص خداعه من مظلم. وقد لا تتحول إلى فري استئناسي من الشجاعة إلى نفاق، بأن ثرة الناجين من هذه المجزأة، الفرة الفرة للغار كي زيار، وتكتف على الفانس العلية بحيث لم يعد قادرا حتى على التواضع! ❧

كيف انطفأت الحضارة العربية فجأة؟ ولماذا يبقى العالم العربى دائما قابعاً فى هذه الظلمات الجالكة؟

جمال الدين الأفغانى

بين الشرق والغرب

محمدي عبد الحافظ

رينان على تخصيص محاضرة من محاضراته فى هذا الموضوع. يمكن الجزم إذن بأن الأفغانى كان فى باريس بالعمل حال إلقاء تلك المحاضرة وحال خروج رده عليها فى جريدة Débats فى ١٨ مايو سنة ١٨٨٢. أكثر قام بترجمتها عنه ظهورها إلى العربية أحد طلاب البعثة المصرية فى ثمانينيات القرن التاسع عشر ودمى حسن عاصم (حسن باشا عاصم فيما بعد)، ولعله قد أومأ إلى هذا فى رده نفسه حينما قال بيد أنى لا امكك سوى ترجمة لا أدري مقدار تطابقها مع المقال الأصلي. فلو كان قد اتبع إلى قراءة المقال فى نصه الفرنسى لكان يوسى أن امكك بشكل أفضل بأفكار هذا الفيلسوف الكبير. وهنا يمكن الزعم أن الأفغانى كان يجهل اللغة الفرنسية، فإذا كان يتقنها وهو موجود فى باريس بالفعل فما كان عليه سوى أن يطلب نسخة من الجريدة التى ظهر بها المقال، وكان يفضل رده عنها عشرون يوماً، إلا أنه لم يفعل. وكان الأجدر به لو أنه يتقن الفرنسية أن يقرأ المقال الأصلي، غير أن عبارته التى تقول: ... لو كان قد أتبع لى قراءة المقال فى نصه الفرنسى ... لا تقيد إذن إلقاءه للغة، بل على العكس يمكن أن تفهم بمعنى أنه لو قدر لى أن أعرف اللغة الفرنسية، لكتبت قد قرأت المقال فى نصه الفرنسى، وإذا اتفقنا على

النص لم نعد عليه البتة، وظل النص فى صورته الفرنسية المنقولة من جريدة Débats الفرنسية. هنا وقد نشرته فى ملحق ترجمتها لرسالة الأفغانى فى الرد على المهريين الأنسة جوارب. بالنظر لشرها للنص عبارة تقول فيها إن المستشرق ماسينيون هو الذى وإفاهما بالنص. وإذا أضفنا أن الأفغانى لم يكن يجيد الفرنسية التى كان يتكلمها بصوت شديدة، وبالتالى عدم مقدرة على كتابة مثل هذا الرد البليغ الذى كتب بلغة فرنسية رفيعة المستوى، نقول إن خطورة النص تدفعنا لافتراض إجراءى سوف نختبره الآن بأن النص لم يكتبه الأفغانى، أو على الأقل تقصير لم يقوم محتواه إذا كان قد أملاه على أحد المستعربين آنذاك. من جهة أخرى لا أحد يتكدر أن الأفغانى قد كتب بالفعل نصاً للرد على رينان فى أثناء إقامته فى باريس، فهذا الحدث معروف من مناصره كما هو معروف لدى خصومه، وعن ثم فلا يخفى على واقعة الرد. الخلاف ينحصر إذن فى صفة النص الذى كتبه بالفعل. من جهة أخرى فمعروف أن بيوجرافيا الأفغانى أنه كان بالفعل مقيماً حتى سنة ١٨٨٥. وهى مرحلة العروة الوثقى فى باريس منذ يناير سنة ١٨٨٢. ويتفق أغلب المصادر على مقابلاته لرينان قبل أن يلقى رينان بمحاضراته عن الإسلام والعلم فى السوربون فى ٢٩ مارس سنة ١٨٨٢. بل إن هذا اللقاء نفسه بينهما هو ما حفز

ترجمة الرد كاملاً حتى يتسنى للنص أن يكشف بنفسه أولاً عن دوافعه والياته. وثانياً إن تتم دراسة النص دراسة متأنية للصحة التى فى سياقه وسياق الأحداث التاريخية التى كان شاهداً عليها. حتى هؤلاء الذين فكروا فى مثل هذا الأمر، ومنهم الشيخ محمد عبده نفسه ترجعوا عن الترجمة خوفاً مما رآه تضييقاً للانقسام وإشاعة لروح الفرقة وسوء الفهم بين مواطنيهم من العامة، مضيقين بذلك فرصة التعامل النقدي مع النص نفسه، مغليبين ما استنجدوه من قراءتهم الأولى المتسجلة له والتى خلعت من أية تحليلات أو دراسات متأنية. وهكذا بقى النص كاملاً حتى اليوم غير معروف فى اللغة العربية إلا من بعض المخططات المجتزأة المقطوعة عن سياقاتها والتى اختبرت تبعا لأهواء ورغبات كل طرف ما لم يساعد على الوصول إلى إجلاء حقيقة هذا الرد، ولا حقيقة تلك المناظرة المهمة.



إن أهمية نص الأفغانى، تعود إلى ما جاء به من موضوعات ربما تتناقض (ولو ظاهرياً) مع الأفكار المعروفة عن الأفغانى نفسه وهو ما يجعلنا نفترض بداية، وبشكل إيجابى، أنه نص غير صحيح أو مفسوس عليه، أو أنه نص مختلق خاصه أن الأصل العربى لهذا

ما من مسألة أثارنا لخطأ وتعليقات ونقاشات حادة فى العالم الإسلامى بقدر ما أثارنا تلك المناظرة الربع الأخير من القرن التاسع عشر. لم تكن المشكلة ما عبر عنه رينان فحسب، وهو يسوء للإسلام والعرب والمسلمين، وذلك على الرغم من محاولة بعض الدراسات الحديثة التماس العذر لأطروحاته تلك، باعتباره رجلاً من عصر ماضٍ، وبحجة أنه لا يمكن رفض أرسطو بسبب أنه قد برر العبودية، ولا ديكارت لأنه اعتقد أنه قطرة ماء جميلة ليست إلا. وأوجه المناظرة هنا ظالمة. حيث ارتبطت أفكار كل من أرسطو وديكارت بعامرين عصرهما العلمية، بينما فى عهد رينان كان العلم ومعاييره قد تغيرا. وبدلاً من الاستعادة بذلك، اليس رينان صوة إيديولوجيته العنصرية ثبات العلم، محاولاً ما لباطل تسويغها وتسويقها، ومحارب علم. هذا وقد أثار الرد الذى نشره الأفغانى أيضاً على هذه المحاضرة من الانقسامات ما اضيف لحساب تلك المناظرة ولعل رد الأفغانى يظهر مثيراً للفتاوى والفتن بحيث إنه أثار فى معسكر المسلمين انقساماً حاداً حول تفسيره أو فهمه أو تأويله، واستنجد كل دارس منه ما أراد، وأخذ البعض بيزر، أو يشرح، والبعض الآخر بحث عن الدوافع التى ترفض أو تؤكد خروج الأفغانى عن الإجماع، ونسى الجميع فى غمار ذلك أن تتم أولاً





ظلمات المسلمين الحالكه

جمال الدين الأفغانى

وتكليف أحمدهم (حسن صاصم)
بترجمتها، بل وأكثر من ذلك محاضرة
أخرى ذكرها مسمر فى معرض رده
على رينان لأحد العلماء الفرنسيين
تحدث عن مكتشفات العرب فى علم
الحياة، وقام بترجمتها أحد طلاب
البعثة المصرية فى العلوم الطبية
(محمد مختار). اهتموا برد مسمر
وترجمته، وترجمه ما ذكره، وقد توقفوا
عن ترجمة رد الأفغانى ولم يتحمسوا
له وكان الأولى بهم الاحتفاء به
والحماسة له، لدواعى أنه مسلم
وتاريخه حافل بالوطنية والشعور
الدينى الغامر، إلا أنهم لم يروا فى
الرد ما كانوا ينتظرونه ويأملونه، فقد
غيب ظلمته لما احتوى عليه من آراء
صادمة لهم، وأسلوب خلت منه
الخشونة والتصدى الحاسم لأراء
رينان، فكان مما لم يرق لهم وهم
الشباب المتحمسون، وإذا أضعنا ما
يعرفه الباحثون مع أن الشيخ محمد
عبده الذى كان منفيًا وقتل ببيروت
اهتم اهتماماً شديداً بترجمة رد
الأفغانى من الفرنسية للربية، إلا أنه
قد تراجع على الفور عندما قرأ فحوى
الرد وأطلع عليه، وبلغ الأفغانى
برسالته فى حينه بأن هذا النص مما
لا يمكن توجيهه إلى العامة إذ لا
تقطع رأس الدين إلا بسيف الدين، إذا
أضفنا ذلك فسنخرج بنتيجة مفادها
أنه بالفعل قد اضطلع رد الأفغانى على
ما جعل الجميع يرى فيه خروجاً عن
المعارف عليه من وجهة نظرم من
أمور الدين والإيمان، فمن هنا نحن لا
نرجح ولكن نفرض كون هذا الرد هو
بالفعل الرد نفسه الذى كتبه وأملاه
الأفغانى، هذا وقد ظهر منذ شهر
قليلة كتاب بالفرنسية جمع بين
المحاضرة الرد نفسه الذى قلنا هنا
بترجمته. خاصة عندما تابع تلك
الشذرات التى جاءت مجتزأة لتلخيص
ذلك الرد فى كتابات عديدة، وإن كانت
هذه الشذرات انتقالية فإن الرد فى
صورته الكلية اشتمل عليها بالفعل
داخل سياقها المتكامل
وفيما يلى أول ترجمة كاملة باللغة
العربية قيمت بها لرد الأفغانى على
رينان وستنشر هذه المقدمة والرد فى
كتاب يصدر قريباً من المجلس الأعلى
للثقافة فى مصر. ■

أن الأفغانى كان مقبلاً بباريس فى هذا
الوقت، ونشر مقال فى جريدة Débats
على لسانه فما الذى منعه من أن
يطلب من أحد ترجمته له، حتى يقارن
ما قاله فى رده وما جاء فى هذا الرد
المترجم على لسانه؟ وإذا لم يكن هو
الذى كتب الرد، فلماذا لم يرسل
بتكذيب على الفور لما قيل على لسانه
ولم يقله؟
الراى إذن أن هذا الرد كان رده
بالعمل لمعنى من الأمور الأخرى
الكثيرة، أولها أن معظم دارسى
الأفغانى قد اختلفوا فى دراساتهم حول
أنه بالفعل قد رد على رينان، وإن كان
أغلبهم لم يتم بترجمة هذا الرد إلى
اللغة العربية إلى الدرجة التى تجعلنا
نقول إن نص رد الأفغانى لم ينشر قط
كاملاً فى العربية وحتى اليوم. إلا أن
السؤال المهم لماذا، يمكن أن يقدم لنا
صورة قريبة ربما للحقيقة، حيث كان
الرد كما أسلفنا خطيراً لأنه اشتمل
على أمور تتعارض مع صحيح الدين
كما يفهمه فقهاؤه، وهذا ما جعل
مناصريه يتعدون منذ اللحظة
الأولى من ترجمته، مع أنهم قد قاموا
بترجمات انتقالية حاولت التركيز
على النقاط التى كان يدافع فيها
الأفغانى عن الإسلام والعرب، وبالتالي
أسقطت استراتيجيته الأفغانى العامة
فى الرد على رينان، وساهمت فى
إدخال عيارات الأفغانى المتخفة فى
سياق البلاغة العامة فى الدفاع عن
الإسلام ضد منتقديه، عندما نجيت
من حسابها استراتيجية وتكتيك
الأفغانى من خلال رده.
ونحن نعرف أيضاً أن رد الأفغانى
فى حينه قد أثار ضجة فى صفوف
المبغوضين المصريين أولاً تهويله
وملايئته رينان، وثانياً لما احتوى عليه
من أمور وجدها تسلم ببعض ما قاله
رينان ولا تسامر صحيح الدين كما
يهمونه، وهذا ما جعلهم يهملون رد
الأفغانى، ولا يحرصون على ترجمته
ومع ذلك فليس لدينا على وجه
التحديد ما يؤكد أن هؤلاء المجموعتين
قد اهتموا اهتماماً شديداً بالرد، أو
بين ردود الأفعال التى قاموا بها ضد
الرد. إلا أن اهتمامهم بترجمة رد
المسيو مسمر رئيس البعثة المصرية فى
فرنسا آنذاك على محاضرة رينان

رد الأنفاسي على ريسان

الترجمة الأولى الكاملة

يتفق عليه البعض على الأقل في أوروبا. وهو مشدود إلى عقيدته التي استقرت كالثور إلى الحرث أن يمشي أبداً في نفس الخط الذي رسمه له سلفاً شراح الشريعة. وقد اقتنع فضلاً على ذلك بأن دينه يشتمل على كل الأخلاق وكل العلوم، فيرتبط به بتصميم ولا يقوى بأهل جهل للذهاب لأبعد من ذلك. لماذا يهدر جهوده في مثل هذه المحاولات الفاشلة؟ ما يجديه البحث عن الحقيقة مادام يعتقد بأنه يمتلكها كاملة؟

ترى له سيكون سعيداً في اليوم الذي يتخلى فيه عن إيمانه، في اليوم الذي سيتوقف فيه عن الإيمان بأن كل الكمالات توجد في الدين الذي يمارسه وليس في دين ضئيل يحقتر العلم. أعرف كل هذا، إلا أنني أعرف أيضاً أن هذا الطفل المسنم والعربي الذي يرسم السيد ريسان لكم صورته بتعبيرات صادرة وهو الذي سيخفوا في عصر أكثر تقدماً، متعصباً مفعماً بعزة بلواه أوفعت في روحه أنه يمتلك ما في هذه الحقيقة المطلقة، يتنسى لجشع في نفسه طريقه في العلم، ليس حسب البائس والدم، بل أيضاً بأعمال باهرة وغريبة تجر على حبله لعلم. ولكن آخر العلوم، بما فيها الفلسفية، والنق يقال بأنه لم يستطع أن يتمايز معها طويلاً.

دون شك أعرف بأن ذلك مثل بالتصميم للإنسان نيراً، شديد الوطأة، والإقلال إلا أننا لا نستطيع أن نذكر أنه بهذا التعليم الديني سواء كان إسلامياً أو مسيحياً أو وثنيا خرجت كل الأمم من حالة البربرية واتجهت نحو الحضارة والتقدم. إذا كان صحيحاً أن الدين الإسلامي عقبة في وجه تطور العلوم، فهل يمكننا القول بأن هذه العقبة لن تختفي ذات يوم؟ وفي ماذا تختلف الديانة الإسلامية في هذه النقطة عن الديانات الأخرى؟ فكل الديانات متعصبة، كل منها المجتمع الذي اتبع إرشاداتها وتعاليمها والذي شكلها على صورته، خرج من العصر الأول الذي لمحت إلى توه، ومنذ ذلك الحين باتت حراً مستقلة، ويبدو أنه يتقدم بسرعة من طريق التقدم والعلوم بينما لم يتحرر المجتمع الإسلامي بعد من وصاية الدين. بيد أنني وأنا أعرف الديانة المسيحية قد سبقت الديانة الإسلامية بعدة قرون، فلا يسعني إلا أن أعمل في أن يصل المجتمع الحديث ذات يوم إلى أن يحطم عبوده ويتقدم بتصميم على طريق الحضارة على غير المجتمع الغربي والذي لم تكن تلك العقيدة المسيحية بالرغم من تزمتها وتعصبها عقيدة لا تقهر. لا ولا أستطيع التمسك بأن هذا الأمل بعيد المثال بالتصميم للإسلام، وأدافع عنه لدى السيد ريسان بأنه ليس بسبب الدين الإسلامي لكن بسبب عديد الخلل من ملايين الرجال الذين حكم عليهم بالعيش في البربرية والحجج.

في الحقيقة، فقد حاولت الديانة الإسلامية خلق العلم وإيقاظ التقدم. كذلك قد نجحت في عرقلة الحركة الفكرية أو الفلسفية في تحويل الناس من البحث في الحقيقة العلمية لتسول المحاولة. إن لم أخطئ، كانت قد قامت بها الديانة المسيحية، ومازال الرؤساء والأجلاء للكنيسة الكاثوليكية على حد علمي لم يدعوا بعد عن ذلك.

هنا رالوا ياضلون بصراحة ضد ما يدعونه روح الضلال والتضليل. أعرف كل الصعوبات التي للمسلمين في تخطوها لكي يصلوا للنسب المرجحة من الحضارة، نظراً لأن الدخول إلى الحقيقة بصل المتابع الفلسفية والعلمية قد سد دونهم. على الرغم من الحقيقى بالفعل الانصراف إلى طرق الدراسات العلمية، التي تنميتها جميع العقائد، تبعاً لراي

بنييه محترقة كما لو احترقت بهوبوب ربح السمو، إلا أنه وبعد قراءة هذا المقال لا يمكن أن يقع المرء نفسه عن التساؤل إذا ما كانت هذه العقبات تأتي باعتبارها نتيجة فحسب للدين الإسلامي نفسه، أو من سجيته وأعرافه، ومواهب القصور التي اعتنقت هذه الميالة، أو من سجيته وأعراف ومواهب الأمم التي فرض عليها هذا الدين فرضاً.

لا شك أن قوة الوقت هي التي منحت السيد ريسان من توضيح هذه النقاط، إلا أن الداء موجود مع ذلك، وإذا كان من الصعب تحديد الأسباب على نحو دقيق والصعب غير قابلة للدحض فإنه من الصعب أيضاً الإشارة إلى الداء.

فيما يتصل بالنقطة الأولى فسأقول إنه ليست هناك أمة في مشنتها بقادة على الانقياد غير قابلة للحض، مهمومة بالذعر الذي لا يمكنها التخلص منه، غير قادرة على تمييز الخير من الشر، أو معرفة ما يمكن أن يعمل على مساعدتها من هذا الذي يمكن أن يكون المنع الذي لا ينطبق لتماستها وتكراتها.

وباختصار فهي عاجزة عن العودة إلى الأسباب وتكوين النتائج. هذه الشفرة تجعلنا عاجزين عن التقيد بها سواء بالفقوة أو بالإقناع لمبارسة الأعمال الغريبة لها أو عن صفها من الأعمال الصالحة بها. كان إذن على الإنسانية أن تبحث خارج ذاتها عن ملاذ، من ركن أن حيث يستطيع ضميرها الضمير أن يجد راحته، وعندها ظهر علم ما بعد الفطرة الموروثة التي ليس لها القدرة الموروثة التي يرغبها على اتباع صوت العقل، فأنات لها في الجهول وفتح لها الأفق المروضة حيث يرغب الخيال لنفسه العنان وحيث عثر أن فعله يكن على التلبية الكاملة لرياتها فعله الأقل على مجال لا محدود لأمالها.

وما أن الإنسانية في مشنتها كانت تجهل أسباب الأحداث التي كانت تسر حولها، وأسوار الكائنات، وهكذا وجدت نفسها متعاقدة لأتباع فصلص مريها وأوامرهم التي كانوا يأمرونها بها، هرعت هذه العجوة عليها عيناها الكاسي الأعلى لها بطرح إليه مريوها كل الأحداث دون السماح لها بمناقشة منافعها وأضرارها.

سبيدي، قرأت في جريدتكم الفراء يوم ٢٩ مارس الماضي ١٩٨٢ مقالاً حول الإسلام والعلم كان قد الفاء على شكل محاضرة بالمؤرورين أمام جمع متميز فيلسوف عصرنا الكبير، والشهير السيد ريسان، الذي طبقت شهرته العرب كله، بل وفزت هذه الشهرة أبعد بلدان الشرق؛ وما أن هذا المقال قد أوفى إلى بعض المحللين، فسبحت لنفسي بأن أصوغها في تلك الرسالة التي يترنن بأن أوجه بها إليكم أملاً أن تقسموها لها مجالاً بأعمدة جريدتكم.

أراد السيد ريسان توضيح نقطة من تاريخ العلم ظلت حتى الآن ممتمة، وإن يلقي بخاصة الضوء على تاريخهم، وهو الضوء الذي ربما كان محيراً إن نادنا بديانات مختلفة عن هذا الشعب، والذي لا يمكننا مع ذلك أن نقول إنه قد انحصب الكفاءة والمزلة التي احتلها قديماً في العالم. لم يسع السيد ريسان قط، وتصدقوني إلى عدم مجد العرب التليل بل التزم بالتصديق عن الحقيقة التاريخية، والتعريف بها في وجهه دونها ممن يتفقون آثار الديانات في تاريخ الإسلام وخاصة تاريخ الحضارة، وإبادولي الاعتراف بأن هذه ريسان قد أوفى بشكل رائع حق هذه المهمة صديقه الصاعدة عندما ذكر بعض الأحداث التي مرت مرور الكرام إلى يومنا هذا. إنني أجد في مقالته ملاحظات رائعة، وملاحظات جديدة وسحرًا يمزج من الوصف، بيد أنني لا أمك سوى ترجع إلى مدار تطابقها مع المقال الأصلي، فلو كان قد أتبع في قراءة الخلل في قصة الفرسى كان يوسعي أن أمك بشكل أفضل بأفكار هذا الفيلسوف الكبير، فليقبل مني تحية متواضعة في بداية تعبير عن الاحترام الواجب له والإعجاب الصادق به، وأخيراً سأقول له في هذا المقام ما قاله المتنبي، الشاعر الذي أحب الفلسفة وكان قد كتب من بضمه قرون شخصية عظيمة محتجاً بأفكارها قالاً:

لا حول مثله لتعجبه ولا مال فيوسف المقل إن لم تعجب الحال اشتعل فقال السيد ريسان على فلتحزن رئيسيتين، الكتب الفيلسوف، اللاسع على التذليل على أن الدين الإسلامي كان في جوهره دالة معارضة لتقدم العلم، وأن الشعب العربي يمتدحه بالعلوم المتأخرية ولا الفلسفة. يبدو كما لو كان السيد ريسان يقول بأن هذه التوبة القوية تجف بين

أصل هنا للحديث عن النقطة الثانية التي عاجلها السيد ريسان في محاضراته بالقتلار شكل فيه، لا أحد يجعل أن الشعب العربي يطلق من الجاهلية إلى طرق التقدم الفكري والعلمي بسرعة لا تماثلها إلا سرعة فتوحاته لأنه خلال قرن اكتسب وتشمل تقريباً كل العلوم الإغريقية والفارسية التي تطورت بخلاف على أرض ميلها خلال قرون عدة، كما أنها لم تسقط هيمنتها من شبه الجزيرة العربية وحتى جبال الهمالايا وقمة جبال البرانس وعلى امتداد مجمل هذه المقرة، يمكن القول إن العلوم قد تقدمت متعزلة لدى العرب وفي كل البلدان التي خضعت لهيمنتهم. كانت روما ريزيتز في هذه الأثناء مقل العلوم الكلاسيكية، والفلسفية وبعض المركز الضيق، بما لو كانتا منارة لجميع العلوم الإنسانية، اخطر اليونان

الأفغانى



■ جمال الدين الأفغانى (١٢٥٤، ١٣١٥هـ، ١٨٣٨، ١٨٩٧م).

محمد بن صفدر (صفدر أو صفتر وهى كلمة فارسية معناها: مخترق الصفوف) الحسينى، جمال الدين. مفكر إسلامى، وأحد رجال عصره الأعداء الذين ساهموا فى إحياء حضارة الشرق. ولد فى أسعد آباد بأفغانستان. ونشأ بكايل. وتلقى العلوم الدينية والعربية وبرع فى الرياضيات. وكان يجيد اللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والروسية.

كان كثير الرحلة. فقد سافر إلى الهند، وحج سنة ١٢٧٣هـ، ١٨٥٩م وعاد إلى أفغانستان وأقام بكايل. وشارك فى حكومة محمد خان. ثم رحل إلى الأستانة (استنبول) سنة ١٢٨٥هـ، ١٨٦٨م وانضم إلى أعضاء مجلس المعارف. ونفى من تركيا إلى مصر سنة ١٢٨٨هـ، ١٨٧١م. فاستقر هناك وعمل على نشر الإصلاح الدينى والاسلام. وتتمتع له كثير من مؤلفات الشيخ محمد عبده. ولما فتته الحكومة المصرية سنة ١٢٩٦هـ، ١٨٧٩م رحل إلى حيدر آباد ثم إلى باريس التى أنشأ فيها مع تلميذه الشيخ محمد عبده جريدة «الحرية الوثقى». كما أقام نحو أربع سنوات فى روسيا، ومكث قليلاً فى ألمانيا. فالتقى بشاه إيران ناصر الدين الذى دعاه إلى بلاده. فسافر إليها ثم رحل عنها إلى لندن بعد أن ضيق عليه الشاه. وسافر من لندن إلى الأستانة بدعوة من السلطان عبدالحميد الذى طلب منه الكف عن التعرض لشاه إيران. فترك التحريض على خلعه والكتابة عنه فى الصحف. كان يكتب بتوقيف مستعار فى بعض الصحف مثل صحيفة «مصر» التى كان يصدرها أديب إسحاق. أحد مریدی الأفغانى. فطرد أديب إسحاق وكان الأفغانى واسع الاطلاع، كريم الأخلاق، كبير العقل. ولم يكن يكثر من التصنيف لأنصرافه إلى الدعوة فى السر والعلم.

من مصنفاته: تاريخ الأفغان. وهو مطبوع؛ رسالة الرد على الدهريين. مطبوع بترجمة تلميذه الشيخ محمد عبده. وجماع محمد باشا الخرمي بعض أرائه فى كتاب «خاطرات جمال الدين الأفغانى» ولمحمد سلام مذكور كتاب «جمال الدين الأفغانى باحث النهضة الفكرية فى الشرق».

مرض أخيراً بالسرطان فى فكه، ويقال: نُس له السم. وتوفى بأستانة ونقل رفاته. فيما بعد. إلى أفغانستان سنة ١٣٣٢هـ.

■ ١٩٤٣

قلوب المسلمين

لشعب من الشعوب كان هذا مع الاعتراف أنه من عام ٧٧٥ تقريباً من التقويم المسيحى وحتى نحو منتصف القرن الثالث عشر، أى خلال خمسمائة عام تقريباً، كان بالدول الإسلامية ثمة علماء ومفكرين شديدي التميز، وأنه أثناء هذا العصر كان العالم الإسلامى هو الأرقى فى الثقافة العقلية مقارنة بالعالم

المسيحى، ولقد قال السيد ريشان أن فلاسفة القرون الأولى للمسيحية الإسلامية وحتى رجال الدولة من المشاهير فى هذا العصر كانوا فى أغلبهم من حران، والأندلس ومصر فارس. كان بينهم أيضاً آخرون من مناطق غرب آسيا (بلخ وبخارى) وفاروس من سوريا؛ ولا أود إنكار الخصال العظيمة للعلماء العرب ولا الدور الذى لعبوه فى العالم العربى؛ فليسيسمح لى بالقول بأن الحرائين كانوا عرباً، وأن العرب عندما احتلوا إسبانيا والأندلس لم يفقدوا جنسيتهم؛ إذ بقوا عرباً. فلقد كانت اللغة العربية ومن قرون عديدة قبل الإسلام هى لغة الحرائين.

وواقع أنهم قد احتفظوا بديانتهم القديمة الصالحة لا يجهلون لغتهم من أجل أن الجندية العربية، والقواسمة والسوريون كانوا أيضاً فى أغلبهم من العرب الفارسية الذين تحولوا للمسيحية.

أما بالنسبة لابن باجة، وابن رشد وابن طفيل، فلا يمكن القول بأنهم ليسوا بعرب بفضن الفكر الذى للكندى لأنهم لم يولدوا فى الجزيرة العربية ذاتها، خاصة إذا ما أؤذا اعتبار أن الأجناس البشرية لا تتميز سوى بلغاتها، ولذا ما كانت هذه الجيرة فى طريقها للزوال، فإن الأمر أن تتأخر فى نسبها أصولها المتشعبة، إن العرب الذين وضعوا استلهمهم فى خدمة الديانة المسيحية، والذين كانوا عربين ودعاة فى نفس الوقت لم يعمدوا لغتهم على الترومين وفى كل مكان أقاموا فى عتقوا لغتهم لأنفسهم بغضاًة فالحق.



بدون شك فإن العقيدة الإسلامية فى قلعها للبلاد التى فتحت بالعنف الذى تعرفه قد نقلت إليها لغتها، وعاداتها، ومذهبها وأن هذه البلدان لم تستطع منذ ذلك الحين أن تتخلص من تأثيرها.

والرومان منذ قرون عديدة فى طريق الحضارة يجهلون بعملى وأنشقة فى الحقل الواسع للعلم وللثقافة. ثم جاء زمن دالت فيه دولتهم فأهملت فيه أسانئهم وانقطعت دراساتهم وانهارت المعالم التى أقاموها للعلم وطوت يد النسيان مؤلفاتهم الشمينة.

واستأنف العرب رغم جهلهم وجاهليتهم قبل الإسلام مشعل الحضارة فأحيوا ما أهملت الأمم المتحضرة وأعادوا الحياة لطول الهامة فطوروها واعطوها وهجاً لم يكن لها قبل. ليس هذا مؤشراً ودليلاً على جهلهم الطبيعى للعلوم؛ صحيح أن العرب قد أخذوا عن اليونانيين فلسفتهم كما سلوا من العرب سر شجرتهم فى سابق الزمان. إلا أن هذه العلوم التى اغتصبتها بحق الفتى قاموا بتطويرها، وشرها، وشرها، والوصول بها إلى الكمال. وبد ثغراتها، وتصفيتها بمعدية لا مزيد عليها. ويتجسد وقفة دارين.

مع أن المرسيين والألمان والإنجليز ما كانوا يجيدون أبداً عن روما وبيزنطة مقارنة بالعرب الذين كانت عاصمتهم بغداد.

إن كان من السهل عليهم استغلال الكوز العلمية التى كانت مدفونة فى تلكما الدينيتين العظيمتين. إلا أنهم لم يحاولوا بأى جهد فى هذا الاتجاه إلى اليوم الذى جاءت فيه الحضارة العربية لتضىء بأشعتها فهم المرانس ولصمب أنوارها وشرورها على العرب. استقبل الأوروبيون بحارة أسطول المهاجر الذى أصبح عربياً، إلا أنهم لم يعكروا فيه مآلة عندما كان إصريقاً وجاراً لهم ليس هنا برهان آخر ليس أقل دماغة من التثوق العقلى للحرب ورباطاتهم الطبيعى بالفلسفة؟

صحيح أن عقب سقوط الخلافة العربية فى الشرق كما فى الغرب، فإن البلدان التى كانت قد أصبحت محافل كبرى للعلم، مثل العراق والأندلس قد سقطت مرة أخرى فى الجهل وأصبحت مركزاً للتعصب الدينى؛ إلا أننا لا نستطيع الاستنتاج من هذا المشهد الحزين أن التقدم العلمى والفلسفى فى العصور الوسطى لا يمكن أن يعزى إلى الضعب العربى الذى ساد آنذاك. ولعل السيد ريشان قد رد إليه هذا الحق. فهو يعترف أن العرب قد حفظوا وروا لقرون معقل العلم. أى مهمة أثيل من تلك

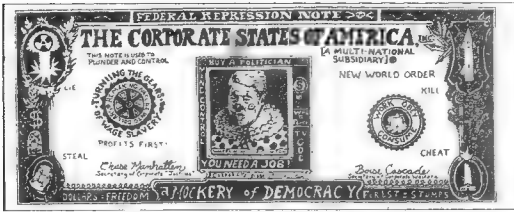
رينسان



■ أرست رينان (١٨٣٣، ١٨٩٢) ولد في بلدة ترجيويه Treguier بفرنسا. وتوفي والده ولم يبلغ بعد الخامسة، فأرسل به إلى التعليم الديني بهدف أن يصير رجل دين. ويتابع دراسته الدينية بسيمنار القديس نيقولا دي شارونيه، ثم ينتقل لسيمنار إيس. وعندما بلغ الثانية والعشرين بدأ في قراءة الفلسفة وعقب قراءته لهيجل وقع في أزمة روحية صبر عنها في ١٨٨٣ في كتابه «مذكرات الطفولة والتشباب». وفي إطار البحث عن يقين خارج إطار الدين يكتب عن «مستقبل العلم». حيث أراد أن يحل الشعر وعلم الإنسانية مكان الدين. وإلى جانب دراسته في تاريخ الدين Quatremere في الكوليج دي فرانس لولا رفض الكاثوليكيين الدين التهموه بالهرطقة والإحاد. يرسل في الفترة من ١٨٦٠، ١٨٧١ لهمة إلى لبنان وفلسطين وهو ما جعله يهتم بكتابة تاريخ أصول المسيحية، حيث كان يود إرساء مسيحية عقلية ونقدية. وميومت أخته التي كانت تصبغ في رحلته يعود إلى فرنسا، يعين أستاذًا للغات السامية إلا أن سرعانا ما أوقف عن التدريس بسبب إرثه الدينية الحرة. وإيمانه العميق بالعلم. وعندما عين مسئولاً عن المكتبة الوطنية بباريس يرفض وظيفته الجديدة ويفترغ للبحث والكتابة والنشر مما كان له أثره في أن يصبح شخصية عامة نفوذاً أدبياً كبيراً على قرائه، خاصة الشباب منهم. وهو ما ساهم أيضاً في أن يتم انتخابه عضواً بأهم مؤسستين علميتين: الكوليج دي فرانس، والمجمع العلمي الفرنسي. وأن تكافئه فرنسا بوسام الشرف. ويتسم أسلوب رينان في الكتابة بالشاعرية، وهو ما جذب المجيبين إليه بأسلوبه هذا الذي لم يكن ينقصه مع ذلك التأمل العميق والكتابة المحيطة والتأثير المتتابع على القارئ والمستمع ودون أن يفقد أسلوبه رفقه الموهوبة. ومنذ رسالة رينان عن فلسفة ابن رشد والتي حصل بها على الدكتوراه ونشرت في ١٨٥٢، لم يتوقف رينان عن الكتابة والنشر. فمن مؤلفاته: نشر تاريخ أصول المسيحية، بدأ نشر الجزء الأول منه «حياة المسيح» في ١٨٦٣، وأنهى نشره في ١٨٨٣، والإصلاح العقلي والأخلاقي، في ١٨٧١، ومذكرات الطفولة والتشباب، في ١٨٨٣، وتاريخ الشعب الإسرائيلي، (١٨٩٣)، ومستقبل العلم، في ١٨٩٠. وأيضاً «الإسلام والعلم» ونشر هذا الكتاب في ١٨٨٣، وهو أصل محاضراته بالسوربون تحت الاسم نفسه، وهي أصل المناظرة بينه وبين الأفغانزي. ■

العالم العريس دائماً قابلاً في هذه الخطمات الحادثة؟
تبدو مسؤولية العقيدة الإسلامية هنا مسئوليّة كاملة. إنه لمن الواضح أنه في أي مكان استقرت فيه هذه العقيدة حاولت خلق العلوم واستخدمت بشكل رائج في مقاصدها عن طريق الاستبداد. ويحكى السيوطي أن الخليفة الهادي قد أمد في بغداد خمسة آلاف من الفلاسفة حتى يصل لهم مبدأ العلوم في البلدان الإسلامية. ومع افتراض أن هذا المؤرخ قد بالغ في عدد الضحايا، فإن يبقى مؤكداً على الأقل من هذا سوى أن يدين الاضطهاد قد وقع. وما لها من مهمة موهبة لتاريخ ديانة ما ملئها هي لتاريخ شعب، سيكتفي أن أجد في ماضي الديانة المسيحية واقع مماثلة. فالمديانات من بعض ما أشرنا إليه، تشابه جميعها. فلا يمكن أن يكون هناك اتفاق أو مصالحة بين هذه الأديان والفلسفة. إذ يفرش الدين عقيدته وإيمانه على الإنسان، بينما تعمل الفلسفة على أن يتجاوز ذلك كله أو بعضه. فكيف نريد بعدد أن يتفاهما فيما بينهما؟
عندما دخلت الديانة المسيحية في اشكالها الأكثر تواضعاً والأكثر جاذبية إلى أثينا والإسكندرية والذين كانوا. كما يعرف الجميع - العقوليين الرئيسيين للعلم والفلسفة، كان الاهتمام الأول للديانة المسيحية بعد أن استقرت تماماً في فئات الميادين أن تضع جانباً العلم والفلسفة، محاولة خنقهما معاً بأشواق الانشابات اللاهوتية. لكن تشرع ما هو عصي، على الفرح أسرار التشبث، والتجسد وتحويل القديان. وظلت دائماً على هذه الوتيرة
كل إيمان يكون خلفه الدين سوف يحوو الفلسفة، ويمنع العكس عندما تحكم الفلسفة وتكون السببة الحاكمة. وطالما وجدت الإنسانية فإن الصراع لن يتوقف بين المبدأ الموعظي والاختيار البشري بين الدين والفلسفة، صراع ضار أحسن منه. فالانتماء لن يكون للفكر الذي لأن العقل يزعج الجمهور. ولأن قائله لا يفهم سوى لغة من ألكها الخاصة، ولأن العلم أيضاً - بكل مجاله الموهوب - لا يرضى شأماً إنسانية تلك العنصر للتمثال والتي تحب الزواجة في المناظرة للعملة والبعية والتي لا يستطيع العلم ولا العلماء إدراكها أو اكتشافها. ■

وتعتبر فارس هنا نموذجاً، إلا أنه ربما عندما تعود إلى القرون التي سبقت ظهور العقيدة الإسلامية، سنجد أن اللغة العربية لم تكن مجهولة لدى علماء الفرس إن انتشار العقيدة الإسلامية قد أعطى اللغة العربية، وهذا بحق، انطلاقاً جديدة وأن علماء الفرس الذين تحولوا إلى العقيدة المحمدية كان يشرفهم كتابة مؤلفاتهم بلغة الفرس
لم يكن العرب يعرفون - لا شك في ذلك، التفتي بالجد الذي يشهر هؤلاء الكتاب، إلا أننا نعتقد بأنهم ليسوا في حاجة لهذا التفتي. إذ كان بين ظهرانيهم عدد كاف من العلماء والكتاب المشاهير. ما الذي يمكن أن يحدث إذا عدنا إلى العصور الأولى للهمنة العربية. نتتبع خطوة خطوة العريق الأول الذي كون هذا الشعب الغاوي الذي يسطر سلطانه على العالم، وإذا ما نحينا كل ما هو أجنبي عن هذا الفريق أو عن سلالته، فغير أعذرين بعين الاعتبار لا التأثير الذي مارسه على العقول. ولا الدفعة التي أعطاهم للكون
ألى تلك مفاهيم هنا ويهدا الشكل إلى الخوف من الاعتراف للشعوب الصالحة بمزاجها وإيمانهم إلى تلك التي تنجم من واقعة الفرس الحادية؟
ستستفيد كل الشعوب المهزومة إذن استفادها الحق، وسوف تنسب لغاتها كل الجيد والذي لن يكون أي طرف من أطرافه مدعياً به شرعاً من قبل السلطة التي انتصت وطسوت هذه الميادين. وهكذا سيمكن لإيطالي أن تتصلن - فرنسا أن مسازران، ويوسابرل لا ينتهيان إليها: وستطالب ألمانيا أو إنجلترا بدورهما بالعلماء الذين جاؤوا لفرنسا فشرقا منابرها. وأعلوا من عظمة سمعتها العلمية. ومن جهتهم سيطالب الفرنسيون أنفسهم بسجد سلات هذه العائلات الشهيرة التي هاجرت في سائر أوروبا عقب مرسوم نانت.
إذا ما كان كل الأوروبيين ينتمون لنفس الأمة، فيمكننا الادعاء، وبحق أن الحرايين والسوريين والذين هم ساميون ينتمون أيضاً إلى العائلة العربية الكبرى.
مع ذلك، فالتساؤل مسموح حول كيف أن الحضارة العربية. بعد أن ألقت وهجاً حياً، كذا على العالم، انطفاقت فجأة وكيف أن هذه الشعلة لم تُعد إضائها مثل ذلك الحين، ولماذا يبقى



البشر قبل الأرباح

المأزق "السياسي" لمنظمة التجارة

سليم حسنين

زادت بشكل عام معاملاتها التجارية مع العالم الخارجي، حيث مثلت المبادلات التجارية أكثر من نصف الناتج المحلي الإجمالي الأفريقي في عام ٢٠٠٣، في حين كان المتوسط العالمي لهذه النسبة ١١.٥٪، وكانت النسبة في الولايات المتحدة ١٩٪ وفي الاتحاد الأوروبي ١٦٪ فقط.

ورغم ما سبق، إلا أن الصورة الغائبة في الدول الأفريقية (أي الفرق بين ما تستهلكه وما تنتج) قد زادت أيضاً من ٢.٩ مليار (إلى ٤.٣ مليار دولار، خلال الفترة ١٩٩٥-٢٠٠٣).

إلام يحرز هذا الوضع البئيس العالمي والخوف؟ في الحقيقة، لا يمكن تبرئة اتفاقيات منظمة التجارة العالمية الخاصة بالتجارة، والتي صاغتها الحقيقية مجموعات الضغط من كبار المزارعين في دول الشمال. ويحكي أرفيند بانانجاريا، المفكر الاقتصادي الليبرالي، قصة «اتفاقية الزراعة، والتي دخلت حيز التطبيق في ١٩٩٥». ففي البداية، لم تكن التجارة العالمية في المنتجات الزراعية تدخل ضمن دائرة اهتمام الاتفاقيات العامة للتجارة والتعريفات (إتاجات). وذلك حتى بداية جولة مفاوضات أوروغواي والتي انتهت في ١٩٩٤ بحزمة من الاتفاقيات، من بينها، اتفاقية الزراعة، استطاعت حتى ذلك الوقت، عبر السنوات، مجموعات الضغط الزراعية في الدول الغنية أن تتقنزع من حكومات الشمال، الدعم لمنتجاتها كما ضغطت على تلك الحكومات أن تحمي السوق الداخلية من السلع المنافسة. وتجع مفاوضات الدول بتبشيت هذا الوضع في

للاستهلاك المحلي، فلا يدخل في التجارة العالمية سوى ١١٪ فقط من ذلك الناتج. ومن ثم يدفع العديد من المنظمات الفلاحية في العالم بأن تخرج الزراعة من مفاوضات منظمة التجارة العالمية، حيث إن الزراعة ليست مجرد قطاع إنتاجي، بل هي نمط حياة متكامل يتيقظ الحفاظ عليه. من ناحية أخرى، ازداد عدد من يعانون من سوء التغذية بـ ٦٦ مليون نسمة ليبلغوا ٨٥٢ مليوناً خلال الفترة ١٩٩٧-٢٠٠٣. يعيش ثلاثة أرباعهم في المناطق الريفية، ومعظمهم من الفلاحين. تؤثر إفريقيا جنوب الصحراء وحدها ما يقرب من ربعهم. تلك القارة المليون، توالى انخفاض نصيبها من التجارة العالمية وذلك بسبب انخفاض الأسعار العالمية للمواد الزراعية التي تستطيع أن تصدرها، فقد بلغ ١٦.٦ في ٢٠٠٤، مقابل ٢٢ عام ١٩٩٠، و ٢٣.٥ في الثمانينيات. وذلك على الرغم من زيادة الصادرات الزراعية في مجموع الدول الأفريقية من ٦.١ إلى ٦ مليار دولار، خلال الفترة من ١٩٩٥-٢٠٠٣. كما

ويبرز هذا التناقض بين المبادئ المعلنة والاتفاقيات المبرمة، أشد ما يبرز في الثنتين من الاتفاقيات، تسام بشكل مباشر ليس فقط رفاه الإنسان بل حياته ذاتها. وهما اتفاقية الزراعة واتفاقية حماية الملكية الفكرية، خاصة ما يتصل منها بصناعة الدواء.

كما تبرز الية صنع القرار من وضع، تكون الخلفية فيه لمصالح الأطراف الأقوى، وهي الدول التجارية الكبرى ومن ورائها الشركات متعددة الجنسيات. والنتيجة حتى الآن، كما تشير الأرقام، هي تهمية غالبية، أو مفيدة، وفي المقابل، حركة صاعدة مناهضة للعلوة، بحثاً عن «عالم أفضل ممكن»، حيث البشر قبل الأرباح، كما تقول شعارهم.

إفقار صغار المزارعين

يعيش أغلبية سكان العالم النامي على الزراعة بشكل مباشر أو غير مباشر. ويوجه ٦٩٪ من الناتج الزراعي في العالم

على مدار عمرها القصير، لم تنتج منظمة التجارة العالمية في إقرار قواعد عادلة للتجارة، أصبحت تلك حقيقة يعترف بها قطاب الفكر الليبرالي، على طريقة «وشهد شاهد من أهلها». كما يعاني منها ملايين ممن يعيشون تحت وطأة آثار اتفاقياتها.

ومن المفترض أن تنقذ قمة منظمة التجارة العالمية القادمة خلال شهر أبريل الحالي وسط تكهنات بعدم التوصل إلى اتفاقيات مرضية في الملفات المختلفة حيث تدور المفاوضات منذ ثلاث سنوات لإقرار مزيد من الإجراءات التي من شأنها الدفع فيما بتحرير تجارة السلع الزراعية والصناعية والخدمات. كان آخرها هو ما يسمى بالمؤتمر الوزاري السادس، يهون كوفج في ديسمبر ٢٠٠٥. ويعتبر المؤتمر القادم بمثابة مؤتمر تكميلي لذلك الأخير.

قامت تلك المنظمة عام ١٩٩٥، بديلا عن الاتفاقيات العامة لتعريفات والتجارة، والمعروفة اختصاراً بالجات. وصار مدير الجات وقائد، بيتري ساذر لاند (وهو الآن رئيس عملاقة البترول بريتش بتروليم)، هو نفسه المدير المؤسس لمنظمة التجارة العالمية. وبالرغم من أن المنظمة تقوم على مبدأ حرية التجارة المنطقية، وأن هذا المبدأ هو السبيل إلى تحقيق النمو والتنمية والقضاء على الفقر والبطالة. كما يوضح موقعها على الإنترنت، إلا أن الواقع يقول بغير ذلك. الواقع يقول أن أقاليم مفتوح الأسواق طالت كل ذلك في صالح الشركات، العملاقة، المتمركز معملها في دول غنية. ولا أهلا به ولا سهلاً إذا كان ذلك في غير صالحها.

ازداد عدد من يعانون من سوء التغذية بـ ٢٦ مليون نسمة لـ ٨٥٢ مليوناً خلال الفترة ١٩٩٧-٢٠٠٢ . يعيش ثلاثة أرباعهم في المناطق الريفية، ومعظمهم من الفلاحين. تآوى أفريقيا جنوب الصحراء وحدها ما يقرب من ربعهم

١٤٧٠

سداد مصاريف مدرسة ابنائه، ويستطيع أن يبالغ اصفرهم ببيع حقل إضافي. إلا أن الأهم، فالأمر ما يثار، هو أن ذلك الدعم لا يذهب إلى عموم الفلاحين الأوروبيين والأمريكان، بل يذهب كله إلى الشركات العملاقة ذات القدرات العملاقة على الإنتاج والتصدير، فهي الولايات المتحدة مثلاً. وكانت دائماً شركة Ruceland Food صاحبة أكبر مصنع أرز في العالم هي المستفيد الأول من دعم الأرز، وبالمثل، سفتيت جورج ثيلون، رئيس التحالف الوطني للزراعة العالمية بالولايات المتحدة، بسبب تلك المساعدات، حيث يحصل دعم شغل من الشركات الكبرى المنتجة للمحصول الأول للبلاد وهو الدرة. على نصيب الأسد من الدعم، مما يمكنها من بيع إنتاجها الفيزيائي بسعره في الحقيقة ربع السعر الذي كان سالدو في السبعينيات، مما يدفع بصغار المنتجين، حيث يسود الرخص، ولا يختلف للزراعة، إلى مصاعبة إنتاجهم للسلع على نفس مستوى دخولهم من ثلائين عاماً. وذلك من طريق الفروع في دارة مفرغة من الاستدامة من البثوث، التي عادة ما تؤدي بهم إلى الإفلاس والخروج من حلبة المنافسة الشرسة، ولا يختلف الوضع في أوروبا، حيث يذهب ٨٠٪ من الدعم الزراعي إلى الأغنياء وكبار المزارعين ويضرب القطي مثلاً آخر، حيث تنخفض اسعاره العالمية عاماً وراء عام، مما يلقي ثلائين من المزارعين من الدول الأقل نمواً، في حمار لا نهائين من الضيقة والجمع، ففي أفريقيا وحدها يعيش على ١٥ إلى ٢٠ مليون نسمة على زراعة القطن، وتصل عوائد تصديره إلى ٩٠٪ من دخل دول أفريقيا، من من أضر الدول في العالم، وفي بنين، التي تتباد بوربونكا فاسو، حيث جعلته نوعيته المتميزة أحد المحاصيل القليلة القادرة على المنافسة العالمية، ولكن مع الأسف، تعرضت تلك الزراعة إلى القتل الممعد، على يد الولايات المتحدة الأمريكية، التي تدفع إلى ١٥ ألف منتج من عمالة إنتاج القطن بها ما قيمته ٥ مليارات دولار سنوياً، بينما تصف مجموع المبيعات المزعومة للقطن عالمياً هذا الدعم ومن وراله الدعم الأوروبي، يعاقل على إفراق الأسواق العالمية يعاقل إنتاج، دأها السعر العالي إلى أسفل

من التصدير إلى الدول الغنية، فاداً الفيت الحصص، مع استمرار الدعم الشد للزراعة، (والذي من شأنه الإبقاء على أسعار دول الشمال منخفضة)، وعليه فلن تتمكن تلك الدول من التصدير إلى الشمال.

الهجوم المضاد

ولكي تكتمل الصورة، فتجدد ملاحظة أن الدول النامية قد دفعت، خلال العشر سنوات الماضية، إلى تحرير القطاع الزراعي وفتح أسواقها وذلك من خلال برامج التكيف الهيكلي تحت إشراف البنك الدولي، وهكذا، استطاعت الدول الغنية انجحاص تلك الأسواق بمنتهجها بالغة الرخص، معدة بذلك الزراعة المحلية في فقر دارها، ولعل المثال في مصر بارز، فيما يتعلق بالقمح، حيث

زهدية، دافعة المصدر المائي إلى الأشخاص. ويثير هذا الدعم أكثر من مشكلة، فهو من جانب يضع الدول النامية والفقرية عموماً، صاحبة ميزة نسبية في الحاصلات الزراعية، في منافسة غير شريفة، كما أن السعر العالي غالباً ما يصبح غير اقتصادي بالنسبة لتلك الدول النامية، مما يدفعها باستمرار لتقليص إنتاجها.

كما تسمح، اتفاقية الزراعة، بعدلات حماية مرتفعة جداً لأسواق الدول الغنية وذلك عن طريق فرض وتطبيق معدلات تعرفية جمركية عالية، تماثل خمسة أضعاف التعريفات الجمركية التي تفرضها على السلع الصناعية، وأخيراً، تخصص الدول الغنية حصصاً كمية ضئيلة لدخول المنتجات الزراعية إلى أراضيها، مما يحول دون الدخول الحر لسلع الدول النامية الزراعية إلى أسواق

إطارات الجات ولم تعارض الدول النامية وقتها هذا الوضع، ظناً منها أن الأهم من النفاذ إلى الأسواق الزراعية، هو أن يتحصل الدول النامية على نفاذ للأسواق الصناعية الغنية حيث يقال أن التنمية ولادة التصنيع وورثت منظمة التجارة العالمية عن الجات اتفاقية الزراعة المعمول بها حتى الآن، والتي تسمح للدول الغنية باستمرار الدعم، لدينا صوري الحجم (وليس المال) للقطاع الزراعي رغم أن هذا الأخير لا يمثل إلا ٢٪ فقط من الناتج المحلي الإجمالي لديها. ينقسم هذا الدعم وفق تعريف المنظمة إلى دعم حميد، فيما يسمى بالصندوق الأخضر، وآخر، يسمى تخفيضه، فيما يسمى بالصندوق الأزرق وثالث، خبيث، وهو الصندوق الأصفر. وتنص الاتفاقية بإلغاء الدعم الخبيث وتخفيض الدعم المقدم في الصندوق الأزرق، ولكنها رغم ذلك لم تعرض على الدول أية جدول زمني أو مواعيد نهائية للتخفيض، ولا أي نسب لتلك التخفيضات.

هذا، وتقدر دراسة أعتمدها الإدارة الأمريكية للزراعة أن إلغاء الدول الغنية لدعمها الزراعي سوف يؤدي إلى حد ذاته إلى زيادة قيمة الصادرات الزراعية للدول الفقيرة بـ ٢٠٠ مليار دولار، مما يؤدي إليه ذلك من آثار إيجابية على التصنيع وخلق فرص العمل.

ولكن جدير الإشارة إلى أن الدول الغنية تتحامل على تخفيض الدعم، وذلك عن طريق تخفيض الدعم الذي يصيب في الصندوق الأزرق، وتقوم باتقوى إلى زيادة ذلك الدعم الذي يصيب في الصندوق الأخضر. وعلى هذا فقد اتفق مؤتمر هيوغو-كوسنج منظمات أوروبية وأمريكية بتقليص هزيل لدعمها التصديري (يقع معظمه في الصندوق الأزرق)، سوف يدفع الاقتصاد الأوروبي على أشرف كبحكار مزارعيه ٥٥ مليار دولار فقط (١٪ في العام القادم).

ونأتي على رأس تلك الدول الداعمة للزراعة، الولايات المتحدة وأوروبا واليابان، يتمتع الدعم الذي يقدسه دول للمزارعين، والتي تدره وتباركه منظمة التجارة العالمية - فضلاً عن صلاحيته، بأنه مسموح لتجارة العالمية إذ ينصب الدعم أو أغلبيته، على المحاصيل الموجهة للتصدير، مما يمكن تلك الدول من بيعها في الأسواق العالمية بأسعار



أثر صاعده السياسة الزراعية تخفيض الكميات المزروعة قمحاً. نظراً لارتفاع تكاليف إنتاجه من الأسعار العالمية، وشرائه من الخارج، وخاصة القمح الذي يحظى بدعم تصديري ضخم، مما يعمله الأرخص شتماً، وفي دراسة من الملف الزراعي، أعدتها منظمة أوكسفام العالمية، غير الكومية، جاء الأرز مثلاً لتبين الذي تخلفه اتفاقية الزراعة، فهو الطعام الرئيس للملايين البشر، ويزرع ٩٠٪ من إنتاجه بالدول النامية، وعلى الجانب الآخر من العالم، تنتج الدول الغنية (الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة واليابان) دعماً لمرار الأرز، بلغت قيمته في عام ٢٠٠٢، ١٠٠ مليار دولار، مما أدى إلى مثل الولايات المتحدة، ثالث مصدر عالمي أرز، بلغت عائدات الأرز، في حين أن تكلفة إنتاجه في الولايات المتحدة ٤١٥ دولاراً، وعليه، دخل الأرز الأمريكي دولة مثل غانا، منافساً للزراعة الأفريقية، حيث يهدد بذلك حياة شعبيها الفقيرة، حيث يحصد الفلاح التقليدي، في السنة ٢٥ جوالاً من الأرز، تكفل حميلة بيع ٢٥ منهم

تلك الدول الغنية وهي هذا الإطار، تفرض اتفاقية الزراعة، حداً أدنى من كميات المنتجات الزراعية يجب السماح بدخوله إلى الدول الغنية، واختارت الدول الغنية، طريقة ملتوية لتفادي هذا الحد، وذلك بأن تسمح بدخول هذا الحد الأدنى من المنتجات الزراعية، على أن ترتفع التعريفات لتفادي على أي كمية تتجاوز الحد الأدنى، بما يمنع عملياً دخول أي حصص إضافية.

وعالمياً ينادي الاتحاد الأوروبي منظمة التجارة بالسماح بـ ٢٨٪ من المنتجات القادمة من الدول الأقل نمواً بالدخول إلى الأسواق الغنية، بدون أي حصص كمية وبدون جمارك، Duty free Quota free. ويتبقى من حق كل دولة استثناء ما تراه من منتجات، من تطبيق هذا الاقتراح، وذلك في حدود الـ ٢٣ الباقية، وهو اقتراح ظاهرة الرحمة باطنه العذاب، كما يصرح جوريه بوفيه الفرنسي القيادي بالحركة العلاجية العالمية فيا كامباسينا. إذ أن رغم كل المساوئ السابق ذكرها، فإن نظام الحصص يتيح للدول الفقيرة حداً أدنى



البشر قبل الأرباح

تكمّن الإيجابية في الحقيقة في الية صنع القرارات في المنظمة، وهي الية عممية الشفافية وغير ديمقراطية، كما تؤكد الشواهد التالية.

الإصرار على لغة الأنفاق

أولاً، الاجتماعات الفنية هي مقر المنظمة، وهي اجتماعات يحضرها خبراء فنيون اختصاصيون، ولأدرا ما يحضرها وزراء التجارة. حيث يلتقون في جنيف لمناقشة مشروعات تتعلق بالتجارة، مقدمة من مختلف القطاعات من زراعة وصناعة وخدمات. وفيها يتم تبصيل الصفات المختلفة لتحرير هذا القطاع أو ذاك (أو لحماية هذا القطاع أو ذاك وفقاً لمصالح القطاع وبإذات الشركات العملاقة).

وهنا تجدر الإشارة إلى أن تلك الصيغ هي أشبه بلوغاريتمات، أو شفرات ورسوز تذكر بك تلك التي أراها في مسلمات المخبرات، فلا يكون في مقدور أي استاذ اقتصاد غير متخصص فك طلاسمها، فما بالك بصيغتي أو عضو مجلس شعب أو مواطن عادي من حقه متابعة سيرورة المفاوضات المتعلقة بالشفافية تفس انكاساتها حيلته بشكل مباشر.

ثانياً، المؤتمرات الوزارية، وهي أعلى الية لاندخال القرار. وفيها وزراء التجارة فيها ما تم التفاوض بشأنه خلال عامين من صيغ مختلفة لتفتح الأسواق أو تخفيض التعريفات الجمركية، وبمقتد المفاوضات خلال خمسة إلى ستة أيام، تحدث على أشرها قبل التنازلات والتعويضات خلالها أحد الضغوط على والأمراض الختلفة، ولكن بطبيعة الحال، تشتد الضغوط أكثر على الأطراف الأضعف، وهناك نوعان من الاجتماعات خلال المؤتمرات الوزارية:

الجلسات العلنية:

تلقى خلالها الدول الأعضاء بالمنظمة خطابات تمثل مواقف عامة، كل دولة في دقيقتين، تبدأ في أثناء الجلسة الافتتاحية، وتتوالى تلك الجلسات على مدى أيام المؤتمر الوزاري. وبينما تلتقي الخطب في القاعات تحت سمع وبصر أجهزة الإعلام، تدور المفاوضات الحقيقية خلف أبواب مغلقة، فيما يعرف بالعزلة الخضراء، ولا يلتقي الأعضاء العلنة والخمسون معاً إلا أثناء الجلساتين الافتتاحية والختامية للمؤتمر الوزاري.

المعلق الذي يقدمه كبار متنبش الأدوية، هو أنه بدون الحماية الكبيرة التي يفرضونها على إنتاجهم من الأدوية، ويؤمن الأرباح الموهولة التي يحصلونها نتيجة هذه الحماية، لما استطاعت الشركات الإنفاق على البحوث والتطوير، وتعليقاً على ذلك يقول والدن بللو، عندما تسع من منظمة الصحة العمالية أن معظم الأدوية الخاصة بحقوق الملكية الفكرية تتداول بأسعار تفرق من ٢٠ إلى ١٠٠ مرة تكلفه تصنيعها، فلا تلام عقلك بجن. فقط تذكر أننا لسنا بصدد أسعار تتحدد وفقاً لظروف السوق، وإنما هي أسعار ناتجة عن احتكار الشركات، حتى تستطيع توفير نفقات البحث والتطوير.

والنتيجة أن مرض الإيدز قد حمص أكثر من ٢٠ مليون نسمة. وباعتبار المسبب الأول للوشت في أفريقيا جنوب الصحراء، كما يعتبر رابع مسبب للوشت على مستوى العالم، حيث يعيش ٢٥٪ من حاملي فيروسه القاتل، في دول ذات دخل منخفض أو متوسط. ولهذا الهوام عواقب كارثية ليس فقط على المستوى الإنساني، بل واقتصادي أيضاً، إذ يقضى على الأيدي العاملة، مخلفا وراء الفقر وعدم العدالة في توزيع الدول، خاصة بسبب تكلفة العلاج الباهظة. فالعلاج يعادل في ضعفين إلى ثلاثة أضعاف متوسط دخل الفرد في الدول الفقيرة.

وفي النهاية، إذا تسامح أحدهم، وكيف يتم تشرح لرب تلك الاتفاقيات في منظمة تضم ١٥٠ عضواً، ويمثل جميع الأعضاء أصواتاً متماثلة، بل ويمثل كل عضو حق الفيتو على أي قرار قد يراه ضد مصالحته؟ يكون السؤال مشروعا ومنطقيا.

بجامعة الفلبين، وصاحب مؤلفات عميدة عن عملة الشركات العملاقة، Corporate globalization، التي يفرضونها على إنتاجهم من الأدوية، أمام الأمم المتحدة في يوليو ٢٠٠٤، أن شركات الأدوية سعت لدى الحكومة الأمريكية حتى تضغط هذه الأخيرة على جنوب أفريقيا، باستخدام أدوات مثل تخفيض المساعدات والمنع، وذلك حتى تفرغها على أن تتراجع من فرض قانون جديد يقضى بالتخفيض الإلزامي (التي يلزم الشركات الكبرى بإعطاء تخفيضات وتصميم بدائل ورخيصة للأدوية للدول التي تعاني من انتشار أوبئة، مثل حالة الإيدز في جنوب أفريقيا). كما حدثت تلك الشركات نفسها حكومة جنوب أفريقيا أن تضاهي بتهمة التعدي على حقوق الملكية الخاصة بها.



وفي ٢٠٠١، وفي خطوة ساهمت في إنجاح مؤتمر الدوحة، تبنت منظمة التجارة العالمية بياناً تؤيد فيه أن هموم الصحة العامة ينبغي أن تحجب حقوق الملكية الفكرية. منها أنفقت الشركات العملاقة الماميين الكالبيين في محاولة إضفاء هذه الاتفاقية. وذلك عن طريق الضغط على مختلف الدول أعضاء المنظمة، للموافقة على تضمين الاتفاقية شروطاً تصعب عملية بيع أدوية الإيدز البديلة التي تستجيب للمو النامية القادرة على صناعتها، أي تلك الدول التي لا تستطيع إنتاجها. وقد كان، فقد صدرت الاتفاقية، قبل مؤتمر هونغ كونغ بأسبوع واحد، بدأت الشروط المتجزئة، التي أرقها الشركات العملاقة، مع تعديلات طفيفة، درا للرماد في العمود.



الدعم لا يذهب إلى عموم الفلاحين الأوروبيين والأمريكان، بل يذهب جله إلى الشركات العملاقة ذات القدرات العملاقة على الإنتاج والتصدير

وأحدة من الدول الأثد فقراً في العالم- دخلاً يقدر بـ ٤٣ مليون دولار عام ٢٠٠٤ جراء هذا الوضع.

وعلى الرغم من أن تلك الدول الأثد قد نجحت في فرض ملف القطن كمكلف مستقل عن ملف الزراعة في منظمة التجارة العالمية منذ مؤتمر كانكون، نظراً للطابع الإنساني الذي يميزه، إلا أنه خلال الماميين لم يتم تقديم أي جديد لهم. وإذا صعب ما قالته مفوضية الزراعة الأوروبية كريستين لاچار، من أن ملف القطن الأفريقي هو اختبار مصادقية لما تنادي به المنظمة من دور نمو، فقد فشلت المنظمة بامتياز في هذا الاختبار، خاصة أن المؤتمر الوزاري الأخير الذي انعقد من ١٣-١٨ ديسمبر ٢٠٠٥، في هونغ كونغ، قد دفع شعار «الأدوية لحزمة تسمية للدول الأقل نمواً»، (لا أنه انشغل بدون أن تستزم الولايات المتحدة بإلغاء دعمها للقطن، ولا دفع تعويضات عن الخسائر الأفريقية. ثانياً، اتفاقية التجارة المتعلقة بصناعة الأدوية الفكرية، هنا أيضاً تأتي كلمة «حماية» لتفادى مبدأ «التحرير» التي تقوم عليه المنظمة. فالانتمائية المشروطة بات، وتربس، وهي منطق حريف اختصارها إلى إنجليزية، تقوم على فرض حماية على براءات الاختراع تمتد إلى عشرين عاماً، شريطة خلالها شركات الدواء العملاقة أن تشرع أخرى من إنتاج دواء مشابه ما ابتكرته. وتحتفظ بسرية بيانات دولها، مما يسمح لها بعرض السمر الذي تريد. خاصة بذلك مليارات الدولارات من الأرباح.

الشركات العملاقة تعترض الطريق

وقد بات من المعروف أن صيغة هذا الاتفاق قد وضعتها، في الستينيات من القرن العشرين، مجموعة من صالفة الدوا الأمريكية، وقدمتها للمصلحت التجاري الأمريكي، الذي نجح بدوره في إقرارها ضمن اتفاقات الجات ويعتبر دواء الإيدز الذي منيت به القارة الأفريقية، حالة نموذجية للمستبعات إلا إنسانية لاتفاقية التمييز، في الوقت التي كانت الأمم المتحدة وغيرها تعمل مع حكومات أفريقية وآسيوية والبرازيل لوقف انتشار المرض، لتر ما الذي سعى إليه عملاقة الأدوية. ينكر والدن بللو استاذ الاقتصاد



١٥ الاختلاف المزيج للإسلام
١٦ تاريخنا... هل من الضروري إعادة التسمية؟
١٧ العرب والحاجة إلى التحجيث السياسي
١٨ لا احتلال يقدر الفلسطينيين
١٩ عسر محمد علي وجماعة آل سان سيور

٢٠...
٢١...
٢٢...
٢٣...
٢٤...
٢٥...
٢٦...
٢٧...
٢٨...
٢٩...
٣٠...
٣١...
٣٢...
٣٣...
٣٤...
٣٥...
٣٦...
٣٧...
٣٨...
٣٩...
٤٠...
٤١...
٤٢...
٤٣...
٤٤...
٤٥...
٤٦...
٤٧...
٤٨...
٤٩...
٥٠...
٥١...
٥٢...
٥٣...
٥٤...
٥٥...
٥٦...
٥٧...
٥٨...
٥٩...
٦٠...
٦١...
٦٢...
٦٣...
٦٤...
٦٥...
٦٦...
٦٧...
٦٨...
٦٩...
٧٠...
٧١...
٧٢...
٧٣...
٧٤...
٧٥...
٧٦...
٧٧...
٧٨...
٧٩...
٨٠...
٨١...
٨٢...
٨٣...
٨٤...
٨٥...
٨٦...
٨٧...
٨٨...
٨٩...
٩٠...
٩١...
٩٢...
٩٣...
٩٤...
٩٥...
٩٦...
٩٧...
٩٨...
٩٩...
١٠٠...

١٠١...
١٠٢...
١٠٣...
١٠٤...
١٠٥...
١٠٦...
١٠٧...
١٠٨...
١٠٩...
١١٠...
١١١...
١١٢...
١١٣...
١١٤...
١١٥...
١١٦...
١١٧...
١١٨...
١١٩...
١٢٠...
١٢١...
١٢٢...
١٢٣...
١٢٤...
١٢٥...
١٢٦...
١٢٧...
١٢٨...
١٢٩...
١٣٠...
١٣١...
١٣٢...
١٣٣...
١٣٤...
١٣٥...
١٣٦...
١٣٧...
١٣٨...
١٣٩...
١٤٠...
١٤١...
١٤٢...
١٤٣...
١٤٤...
١٤٥...
١٤٦...
١٤٧...
١٤٨...
١٤٩...
١٥٠...
١٥١...
١٥٢...
١٥٣...
١٥٤...
١٥٥...
١٥٦...
١٥٧...
١٥٨...
١٥٩...
١٦٠...
١٦١...
١٦٢...
١٦٣...
١٦٤...
١٦٥...
١٦٦...
١٦٧...
١٦٨...
١٦٩...
١٧٠...
١٧١...
١٧٢...
١٧٣...
١٧٤...
١٧٥...
١٧٦...
١٧٧...
١٧٨...
١٧٩...
١٨٠...
١٨١...
١٨٢...
١٨٣...
١٨٤...
١٨٥...
١٨٦...
١٨٧...
١٨٨...
١٨٩...
١٩٠...
١٩١...
١٩٢...
١٩٣...
١٩٤...
١٩٥...
١٩٦...
١٩٧...
١٩٨...
١٩٩...
٢٠٠...

مجلة تحرير، فقط - القطاعات التي تدعو إلى فتحها الشركات العملاقة. والذين الآن على الخدمات، مثل مياه الشرب والغاز، والتي يعتبرونها سلعة يجب أن تبيع بسعر مجزي، حتى تستطيع تلك الشركات الاستمرار في تقديم تلك الخدمة، وأيضا السلع الصناعية، حيث مطلوب من الدول الثامية والفقيرة، المزيد من فتح الأسواق، كي تستثمر المنافسة بين السلع المحلية والمستوردة، فالمناخية ترفع الحودة المحلية، ويستحسن ألا تقربوا الزراعة، وأنتم تتكلمون عن المنافسة، فهل تصنع الدول الثامية فتتنازل عن مطالبها في الزراعة، أم توقف دولا المفاوضات في المجالات الأخرى طالما لم يوافقوا تحرير القطاع الزراعي؟ يظل السؤال مطروحا ما بقيت رحى المفاوضات دائرة، ففي الشهور القادمة، وحتى نهاية العام ٢٠٠٦، يفترض أن يتوصل الأعضاء الماسة والخمسون في منظمة التجارة العالمية إلى حزمة جديدة من الاتفاقيات والاتفاقيات الزراعية، الصناعية والخدمية، فيما يسمى بـ «جولة الدوحة للتنمية، ورغم كل الأوضاع الظلمة التي تترتب على الاتفاقيات المعمول بها منذ ١٩٩٥، إلا أنه من المستبعد تماما التوصل إلى اتفاق عادل، يرد لدول الجنوب بعضا من حقوقها، وخاصة في الملف الزراعي، وذلك، طالما بقيت تلك المنظمة خاضعة لعلاقات القوى التي تقررها الشركات العملاقة. ■

لقراءة المزيد حول الموضوع:

- (1) Foreign Affairs, Special edition on WTO "Freer Trade", «New York», ٠٠ December
- (2) Le Monde Diplomatique, Paris, December 2005.
- (3) The Economist, 5-11 November 2005.
- (4) «والذين يملكون، خطاب في يوم الإيدز أمام الأمم المتحدة، يوليو ٢٠٠١»
- (٥) مقابلات شخصية مع جوزيف بروفه، فلاح فرنسي من حركة فيا كامبسيينا، مازان كون، مدير المنظمة غير الحكومية شبكة العالم الثالث، ومقرها ماليزيا
- (٦) أوراك وبيانات مختلفة صادرة عن منظمات وكعصام و Global South، Focus، أثناء انعقاد المؤتمر الوزاري السادس، مونج كونج، ١٣-١٨ ديسمبر ٢٠٠٥
- (٧) فضح الرئيس، المجموعة العصرية للمنظمة العالمية، القاهرة، ٢٠٠٥

١ - العرفة الخضراء:

هو اسم مجازي، يطلق على المفاوضات التي يدعو إليها رئيس القمة، وهو عادة وزير تجارة الدولة المضيعة يدعو فيها من عشرة إلى خمسة عشر وزيرا، للتفاوض حول واحد أو أكثر من الملفات الشائكة التي يرد التوصل إلى اتفاق بشأنها، وهي بالفعل المطبخ الحقيقى لقرارات القمة. ولهذا تلجأ مختلف الدول إلى الانضمام إلى تكتل أو مجموعة لتقاربها في المصالح، أو لبادلها المصالح. ويكون لكل مجموعة متحدت باسمها. لعل وعسى أن يدخل هذا المتحدث إلى العرفة الخضراء، فيوصل صوتها بالنهاية منها إلى اكابر الأعضاء، راسى السياسات، وهنا يجب التوقف عند أكثر من ملاحظة،

- ١ - على عكس جلسات الجمعية العمومية للأمم المتحدة حيث يكون من حق أي عضو الحضور والمشاركة، لا يحضر مفاوضات العرفة الخضراء إلا مجموعة مختارة من الدول المعروفة أنها ذات تأثير على هذه المجموعة أو تلك من الدول، وفي كل الأحوال لا يغيب عنها أي من القوى التجارية العظمى، وعلى رأسها الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي واليابان.
- ٢ - لا يستطيع أي عضو من خارج العرفة الخضراء الاطلاع على مسار المفاوضات. فجميع الأعضاء الذين لا يدخلون العرفة الخضراء محرومون من الاطلاع على مختلف الآراء والمقترحات والتعهديات في الصبيغ التي يتم التفاوض بشأنها، والتي تصبح في نهاية الأمر الصبيغ النهائية التي يقرها المؤتمر الوزاري. وذلك أيضا بعكس ما يحدث في الجمعية العمومية للأمم المتحدة، حيث ننشر مواقف كل الدول، وكل التعديلات المقترحة ومن اقترحها وكل ذلك على لوحة مخصصة لهذا الغرض.
- وأما عن حق الفيتو، فلم تستطيع أي دولة استعصامه حتى الآن، إذ يدعو أن الدول الصميفة، تخاف أن تتحمل وحدها وزر فشل المؤتمر الوزاري، إذ أن كل فشل ينتقش من سمعة المنظمة، ويهدد وجودها.

مسير جولة الدوحة

وأخيرا، ما زال القانون على المنظمة يداهم عن مبادئها، دافعين إلى الأمم



مصر

في رسائل فلوبير



عماد الغزالي

١٩٧٥

إدوارد سعيد اعتبر علاقة فلوبيير
بـ «كوشك هانم» نموذجاً صارخاً لعلاقة الغرب
المسيطر بالشرق المغلوب على أمره

١٩٧٥

في موضع آخر، طويلة، مخلوقة رائعة، لون بشرتها أكثر بياضاً من أي عربية، بشرتها، خاصة جسمها، بلون القهوة قليلاً، حين لتحتي يتموج لحمها في سلسلة برونزية، عيناها سود، فحتها الفها واسمتان، جبينها أسود، فحتها الفها مفتوحتان واسمتان، كتمان ثقبان ملينان، ولها نهدين مثل التفاح، كانت تتمتع طرطوشاً كبيراً، مزينةً من أعلاه بقرص ذهبي محدد، في وسطه حجر أخضر صمغ، سألنا إن كنا نريد بعض الترفيه، ماكسي (مكسيم رايقة) قال إنه يريد أن يسلي نفسه معها أولاً وحده، هبطا إلى الطابق الأرضي، بعد أن ينتهي ساندب والقلده، ويراي «إدوارد سعيد، فإن علاقة فلوبيير بكوشك هانم تعد نموذجاً للعلاقة بين الشرق والغرب والتي هي بحسب صاحب «الاستشراق» علاقة القوى المسيطر بالضعيف المغلوب على أمره وفقاً لمفهوم السائد بين الأوروبيين في القرن التاسع عشر، وهي علاقة سيد بمسود ليست شمة مسواة بينهما، فقد أشاع فلوبيير في أوروبا بعد نقله بالغالبية المصرية نموذجاً صارخاً لامرأة شرقية تل ينجع لها التعبير عن مشاعرها والإفهام عن شخصيتها أو التحدث عن ضايفها وحاضرها، بل إن فلوبيير هو الذي تحدث عنها من موقع السيطرة والهيمنة بموقعه رجلاً أوروبياً مسود الحال، ولم يكن مركز القوة الذي تتبع به فلوبيير إزاء كوشك هانم مجرد لحظات عابرة، بل كان تعبيراً عن المفهوم السائد في علاقة القوة الاستيعابية بين الغرب والشرق، وهي الأسلوب الذي يتناول به كل غربي كل ما هو شرقي.

جاء «فلوبيير» إلى مصر مؤمداً من وزارة التجارة والتجارة لجمع معلومات لصالح الفرقة التجارية الفرنسية، وسرعان ما حلق رأسه أسوة بالفرنسيين الذين أطلقوا عليه، «أبو شنب»، بسبب شاربته الكثيفة الذي كان يغطي شعره، وقال فلوبيير نفسه إن لقاءات مع قبايل من عرب مصر لم تنهه أن يخلق شاربته ليكتشف من فرقه.

وقبل أن يأتي إلى مصر كان درس القائلين لعدة سنوات في باريس قبل أن يترك الدراسة

العدد السابع والثمانون - أبريل ٢٠٠٦ م

■ قد يبدو مدهشاً إلى حد الاستنكار أن تحظى كوشك هانم، بهذا القدر من الاهتمام فيما يرويه «فلوبيير عن مصر» إلى حد الوصف الدقيق لذوي والرقصة وأركان المنزل. وللأسعادات الحميمة التي أمضاها في ضيافتها، فيما يمر عابراً في أحيان كثيرة، فوق تقاصيل اجتماعية وسياسية أخرى، وكأنها تجري بعيداً عن مرمى بصره. لكن بالنظر إلى طبيعة الرجل التفتزة، وشراسته الجنسية الهادية في كتاباته، ومزاجه الفني المخاير بالتاكيد لمزاج باحث أو انثروبولوجي أو أثرى من هؤلاء الذين زاروا مصر قبل فلوبيير ويعدد، فإن الاهتمام بـ «السيدة الصغيرة» كما يعنى اسمها بالتركية يبدو منطقياً، فقد عرفه «فلوبيير» الذي كان في الثامنة والعشرين حين غادر فرنسا إلى مصر (١٨٩٤) للقيام برحلة طويلة حول الشرق، بالغماسة في الشهوات، واعتاد منذ سنوات مراقبته الأولى أن يهيم بسيدات أكبر سناً منه، كما كان كثير الرد على بيوت الدعارة ويثاق الهوى يقول هو لنفسه: قد يكون هذا ذوقاً منحرفاً، لكنني أحب الدعارة ولذاتها، يشتر قلبى في الخفقات كلما رأيت النسوة يسرن تحت ضوء المصباح في الممر في ثيابهن المكشوفة، فكرة الدعارة هي موضع التقاء العديد من العناصر لشهوة، الحرارة، الغياب التام للتواصل الإنساني، يتعلم الإنسان كثيراً في بيت

● فلوبيير في مصر
ترجمة: صلاح صلاح
أبو طليبي: دار السمويك للنشر، ٢٠٠٥

● مصر في هيون الغرياء
ثروت عكاشة
القاهرة دار الشرق، ط٢، ٢٠٠٣

● رؤية الرحالة الأوروبيين لمصر
إسلام ذهني
القاهرة، دار الشرق، ٢٠٠٥

● حريم محمد على باشا
صوفيا إيد بول
ترجمة: عزة كرامة
القاهرة: دار سطور، ط٢، ٢٠٠٠

الدعارة، ويشعر بذلك الحزن، ويحلم بالحب يتوحد عظيم وكوشك هانم سيدة سورية الأصل، راقصة من أشهر بانات الهوى في زمنها. قيل أنها كانت حشوقة عبيلى باشا (عيسى الأول) حين كان محافظاً للقاهرة، وحين اكتشف خيانتها لفظها، بعد أن أوسعها ضرباً بالسياط لأيام متتالية، بعدها، أنثت بيتاً، كان مقصداً لجنى الغناء والموسيقى والفتنة وخصوصاً بين الرحالة الأوروبيين، وقد التقاه فلوبيير وصديقه «مكسيم» في إسنا التي أجبرت على الرحيل إليها بعد أن أصدر محمد علي باشا فرماناً في العام ١٨٣٤، بطرد العاهرات من العاصمة، وتجهيزهن إلى إسنا وقتنا وأسوان، وهو أمر أسف له «فلوبيير» كثيراً في واحدة من رسائله إلى «لوى بويي» صديقه الذي اعتاد أن يرسل له عن رحلته إلى الشرق، لم تر لانا أيا من الرافعات هنا، كلهن مفديات في الوجه القليل، لم يعد هناك وجود لبيوت دعارة جيدة في القاهرة، الحفلة التي كان مقرواً أن يقيمها في التل أخفقت، غير

أنا شاهدين والقصين من الرجال، أه... أه... (....) تصور وغدني في غاية البشاعة، لكنهما فانتان في فسادهما، في نظراتهما الشذراء وحركاتهما الأنثوية، يرتديان ملابس النساء ويعوينهما مكحلة، ومن حين لأخر كان قائد الفرقة أو الفواد الذي جليهما يقوم بالمزف حولهما، يلقبهما على الجبل، المؤخرة، في الظهر، ويقوم بحركات بدنية محاولاً وضع توابع إضافية إلى شيء واضح وحذ ذاته، أشك في أننا ستمجد النساء بمثل جودة الرجال، سأطلب من هذا الرالع «حسن البلبسي» أن يعود ثانية، سيرقص النحلة على وجه الخصوص، رقصة النحلة كما سماها «فلوبيير» كان لها مناق مختلف حين أدتها كوشك هانم أمامه وقد خففت تقريباً من كل ملابسها، كما يصف رقصة أخرى أدتها كوشك هانم قاضية، إذ تقتصر بسترقتها ونهضها العائرين، وتنهض على قدم واحدة وقد أطلقت الثانية في الهواء لتتحرك في كل الاتجاهات.

ويكتير من التفصيل، يصف كوشك



وشوارعها وحاراتها وتكايفتها وبورا السكن فيها وأزياء الأثرياء وميسوري الحال وكذلك ما اعتادت الطبقات الشعبية ارتداه لسأء ورجالا من ملاطس، وهو لا يفضل الحسمامات العاصمة وسوانيت الحافلة والمخاضى والرالفاصات.



وبرأى الدكتور ثروت عكاشة فإن ما قام به أين كان عملاً جباراً يتطلب من الكاتب قدرة فذة على تحرير نفسه من الأفكار المسبقة وهذا مؤلماً للتلميذ بين الشكل والجوهر في موضوعات معرمة التعليل، ثم القدرة على التعبير عن ذلك كله بحيث يصوره تصويراً بديعاً في نفس الوقت الذي يخلق فيه إلى القارئ رؤية جديدة لحقائق مختلفة الأبعاد. ويضيف عكاشة: وإن كان بين الفنية والفنية يدس بعض التفاصيل العربية المتسمة بالعتف والقسوة مثل فقر أحد الراويين لبيته عارضا أحشاده على صينية متصدرة موكب زفاف السيد عمر افندي فقيب الأشراف إصرياً من ولالة واحتفاء بمهرسه، ومثل المبالغات الجنسية وليلة إيمانه بأن حاررة جلال خلال موسم الصيف فتوجع طاعة المحررين الجنسية فتدهمهم إلى الإفراط في إشباع شهوتهم والنهل العارم من المذات الحسية.

وفلوبيـــــر نفسه يصف في رسائله مشاهد غريبة يصعب شأما تصور حدوثها، كأن يضاجع أحد المهرجين امرأة في أحد أسواق القاهرة على مراءى ومسمع من الناس، حيث تعدها على دكة أحد الكافيين ويبدأ في مصباحها لتسليط الجمهر، فيما يواصل صاحب الدكة تدخين شايه بهواء. وعلى سبيل التسلية أيضاً، ترك شاب قرداً كبيراً يولعه علناً ليضحك الناس، يسقى فلوبيـــــر أيضاً من ذلك، جاءته النساء من كل صوب وصوب ليحلبن عضوه على سبيل البركة، وأخيراً مات الرجل إصداً... فمضت الصياح حتى إمامة كان الطائفة ليهول خفها لا ينقطع، ويحدث فلوبيـــــر أيضاً عن صوفى إعتاد أن يسير عارياً شاماً في شوارع القاهرة، وكان يضع طائفة على عضوه، وكلما رفع الطائفة ليهول تجري النساء عاريات فيصنن أنيول تحت هوس بوله ويدلكن أفصهن به اعتقاداً منهن أن بوله الجبروك سيمنكنهن من الجنجاب.

كما ترى فإن كتابات فلوبيـــــر تنطوي على مبالغة ساذجة، وتبرهن أنه على عكس نيت - لم يكن يعرف كثيراً عن طبائع المصريين وتقائدهم المحافظة،

والمستشرقون في حي أكثر نظافة وتنظيماً وأوفر خدمات من بقية أحياء القاهرة سمي الحي الأوروبي، آخر هو أن يتقيم حي شعبي كي يستحسن له الاختلاط بالناس والتعرف عن قرب على طرائق معيشتهم وعاداتهم. وقد افاد «لين» من دراسته لفحة العربية قبل قدومه إلى مصر، وحين جاءها تثلثم على أستاذين ذرماً اللغة العربية وأحكام الشريعة، وقد عاد إلى لندن بعد ثلاث سنوات من رحلته تلك (١٨٧٨) دون أن يجد ناشراً مؤلفه، ثم جاء مرة ثانية في العام ١٨٨٣ لتحسين كتابه، ثم جاء للمرة الثالثة في العام ١٨٩٢ وكان أصبحت هذه المرة شقيقته صوفيا بول التي أضحت في مصر ٧ أعوام وشررت رسائلها امرأة إنجليزية في مصر أيدت فيها قدراً هائلاً من المتعاطف مع النساء الصريات، وقد عاشت لين في لندن بعض اللحظات وسامعها هو بأن وضع تحت تصرفها مجموعة ضخمة من

وأصرفوا في الحديث عن سحره، وغموضه وكثوره، دون أن يلتفتوا إلى واقع الناس وأحوالهم، وهو ما حاوله فلوبيـــــر، الذي لم يبع إلى تسجيل آثاره واكتشاف حقايرها أو انقراط صور قوتوغرافية، كما فعل رفيقه مكسيم مثلاً، وإنما خالط الناس ومضى في الأسواق وتناول طعامه ثم تبدلت رآه واكتسبت مسحة والغبية، ربما كانت عدائية أو محايدة في أحسن الأحوال، حتى أن أحد النقاد قال إن رحلة فلوبيـــــر خلعت عنه ثوب الرومانسية وأيقظت فيه روح الأدب الواقعي الخبي بالجماهير في حركاتها النشعولة وضجيجها وصخبها وتفاعله مع الواقع بكل قسوته وسقوطه.

لم يصل فلوبيـــــر أبداً إلى لدى الذي وصل إليه الرحالة الإنجليزي، وإدوارد لين، صاحب الكتاب الأشهر والمصريون المعاصرون عاداتهم وتقائدهم، وقد قرأه فلوبيـــــر قبل قدومه إلى مصر، وفي واحدة



فلوبيـــــر قرأ ما كتبه

إدوارد لين عن عادات المصريين

وتقائدهم، لكنه فشل في محاكاته

أو الانفماس في حياة

الناس مثله



مذكراته التيقت منها الكثير، ولقى مؤلفها هذا قبولاً كبيراً في لندن آنذاك، وشرى في صرحت عنه نوات، «حريم محمد» التي ترجمه للتذكورة عزرة زركا، وهكذا أكملت شقيقته نقصاً لم يكن متاحاً له أن يتفوق يومه رجلاً معطوفاً عليه أن يخلط في مجتمع حارة الشرق، في الرغم من أنه أفرد فصلاً كاملاً في كتابه عن حياة المرأة، وتناول بالتفصيل أزياءها وأدوات زينتها وغيرها من يخص النساء في الشرق.

كان ما ساعد لين على إنجاز مهمته، تلك هو تعلمونه في مهمته في مصر. «زياراتي مصر ليست للتسلية وزيارة الأهرام زينتها وإشباع فضول وزارة ولكن لكي ألقى بنفسي بين شعب سمعت عنهم وروايت متناقضة، أريد أن أكتسب عنهم وعاداتهم وملاصهم لكي أكتب من دراسة أدبهم. إن رغبتي هي أن أرتبط ارتباطاً كلياً بكمكان مصر من المسلمين، ولهذا، كنت أتكلم مع الناس بالتفصيل باهرة عن مساحة القاهرة وسكانها

من رسائله إلى أمه، أوصاه بقراءته كي يمكنه أن تعرف على البيئة التي يعيش فيها المصريون، وتخييل حياة أبنائها بينهم.

وقد لا يكون من المبالغة اعتبار كتاب لين هو «العصدة» قبل الرحالة الذين وفدوا إلى مصر، فالحرج الذي قصده مصر لأول مرة في العام ١٨٢٨، تناول بالتفصيل كل شيء من حياة المصريين، عاداتهم وتقائدهم وأصولهم وعلاقهم بحكامهم وتسايقهم الاحتفالية وفنونهم وصناعاتهم وأساطيرهم، وقد جمع كل هذا في ٨ مجلدات بينها ٥ مجلدات تضمن رسوماً إيضاحية، وقد أدهش لين بنى سمعته في يومه عاد إلى إنجلترا، حيث فوجئوا به يأكل بيديه دون شوكة وسكين، ويصف حذاءه قبل أن يخطا السجدة التي يسيل عليها، ولا يدا فعل شيء قبل البسمة، وقد امتنع شأماً عن ضرب المرأة وأكل لحم الخنزير، وسمى نفسه منصور افندي، وفي الوقت الذي يجتمع الرحالة الأوروبيون

لإصابته ببوليات صرع متتالية حالت بينه وبين استكمال دراسته، فهجرت الدراسة وكن في منزله يكتب الرسائل والقصص القصيرة، ويبقى قصة الخديس أنطون، التي تمكن من فديس معتز في كهف بالصحرى المصرية، وسبب هذه القصة، قرأ فلوبيـــــر كثيراً من الكلاسيكيات والعملاق القديم.

وتكشف أعماله المبكرة كما يقول الدكتور ثروت عكاشة، «عن مزايا ملته الوجدانية لكتاب في الرومانسية لهم فيها قدم راسخة، فالقديس بهم في الشوق إلى كل ما هو غريب، ذا، لا سيما بعد أن اشراق باريون وعشريات فيكتور هوجو وكتاباته في أدب وليلة. ولعل مقولته تلك لكم أرجو أن أهنر نساء العالم جميعاً مقابل أن أسم إلى صدى موهبة ككلوبترا، فكس هذا النوع الرومانسي بالشرق الساحر الذي كتب منه فلوبيـــــر قبل أن يراء، انطر وسترى مدناً في قباب ذهبية، مادن من الخرف الصيني، فصوراً شيت من الحمم على قواعد أعصدة مرمرة، أحوى سياحة مطردة بالرخام تأنيها السلطانات لفسل أجسادهن ساعة يجمع القمر ظل اليمسطين أعمق زرقاء وماء النوايل الغضى أكثر صفاء وشماقته...» ثمة القابى حب في أكوخ القصب هندي وفي هذه القرب القديمة يخلد ملوك الأمان العاربة الموهجون المساكين، يمكنك سماع النسر يصرخ في السحب، وفي البعيد تفرع أجراس الأديرة، ترى القوايل تتسرع في رحلاتها، الأصداف طافية على النهر، الغابات تزهة مساحة والبحر الساعاً، والأفاق ينأي بعيداً، لأصاً السماء مسكياً، والأفاق وأياها، أيها المفكر، تنساب مهبلاً مثل مثل لشعورك برحيل روحك صوب الضوء وتخليقها في المطلق.

وحيان عاد إلى مصر كتب رسالة إلى أمه يقول فيها: «لما تسليتي عما إذا كان الشرق يرقى إلى الصورة التي تحيلتها له، فم إنه كذلك، بل أكثر من ذلك، فالشرق يشجور بكثير العكرة الضيقة التي جعلتها عنه، فقد وجدت كل ما كان ضبابياً في ذهني محدداً جديداً واضحاً، واحتلت الحقائق جميعاً الافتراضات التي ردمت في من الأمتياز بحيث إنني غالباً ما أغمض وكأني أشر فجة على أحلام منسية. غير أن فجة فلوبيـــــر، عن مصر بعد ذلك يتأقش، في تميز، في هذه المخلوقة شاماً. والأرجح أنه حين كتب هذه الرسالة إلى أمه كان واقعاً. مازال. تحت تأثير ذرعتي الرومانسية والفكر في سيقوه من الرومانسين إلى الشرق

شعده كله باستثناء شعرة واحدة هي المتخصص، حتى يمكن لذلك الموت أن يمسكه منها كما قال له العامة، وعلى طريقة المصريين في السخرية تنثر من فمده المسألة بقوله: «إن الحياة من الحلاقيين المسلمين يزيئون للأفانيل شعدهم كله فلا يتركوا ولا شعرة واحدة ليمسكهم منها ملك الموت، وقد أوشك أن يتروح من عروس مصرية مسيحية، لكنه حين علم أن العريس في الشرق هو الذي يدفع المهر تراجع عن المكرة واشترى جارية اسمها «رينت»، أحبها كثيراً وأثرت فيه كثيراً».

وقد اعتاد جيران أن يصور حياة الناس العاديين ومناظر المظاهر وسوق النخاسة وحفلات الختان والرفاهة، كما انتقد كثيراً من العادات والسلوكيات السيئة. لكن بروح فيها من المحبة والتعاطف يكثر مما فيها من التهكم والاستعلاء، وإلى المصنيل نفسه ينتمى بغير لوث، الذي زار مصر في العام ١٩٠٧ وكتب

وأصل الحصاروت وراي في الدين الإسلامي ديناً واقعياً وإيجابياً، ينبغي أن يبسطه والبسطة والسجدة من الزخارف الطفولية، وليس بضمه حالة من الوفاق بين الإسلام والمسيحية على أرض مصر، ودرجة من التسامح الديني نادر أن يوجد مثلاً في أوروبا، كما لا يحدث أن كل حفلات المصريين وشعائهم في مزيج من البهجة المقترنة بالثغر، وإن هذه السمة هي التي صيغت حياة المصريين منذ الأزل وقد كانت صدمته بالقاهرة للهواة الأولى فادحة، إذ بنت الصورة مخالفة تماماً للأجواء التي قرأها في «الف ليلة وليلة»، لكنه سرعان ما هام بها، خصوصاً أنه كان مولماً بالناس وحوالهم، أكثر من اهتمامه بالآثار والمقابر والمومياءات، وبسرعة خلع رداءه الأفرنجى، وأردى سرواً لا خضاضاً من القطن الأزرق وصديريه حمراء مطرزة بالقصب العصي، وتذتر بجماعة واعتمر مفاقيع بضاء تحت الطربوش، وقص

وبالمعز على وجه الخصوص، وقد جاء إليها طلباً للاستشفاء من اضطراب نفسي شديد ألم به لفرط طبيعته الرومانسية الحادة، وبعد كئانه «رحلة إلى الشرق» من أهم الكتب الأدبية في القرن التاسع عشر، والذي على الرغم من رومانسيته، يعد تسجيلاً واقعياً أميناً لما رآه وسمعه في مصر وليثان وتركيا، وقد كان جيران متأثراً بقوة مصباح «الدويان الشرقي»، جوته، داعياً إلى تواصل جميع بين روحانية الشرق وعلمانية الغرب، ومدافعاً عن نظام تعدد الزوجات، ورأى أن للمرأة في الإسلام مكانة لم تحظ بها في الحضارة الغربية ولا في أي ديانة أو حضارة أخرى.

امن جيران بأن الأديان كلها متشابهة متكاملة وبالإمكان التوفيق بينها تحت راية وحدة الوجود، وبالنسبة إليه كانت مصر هي أم المعارف

وأنه ربما أراد أن يسري عن يرأسه بهده الأكاقيب التي تؤكد غرائبية الشرق وسحره وكثوث أسرارها التي لا تصدق بين الإحاطة الشاملة والملاحظات التفضيلية والانشغال المتعمق لإدواره لبين بالجميع المصري سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، والرسائل التفردانية التي تلخص رحلة «فلوبيير» إلى مصر فضلاً عن مندوباته العاجلة في دفتر الجيس، شمة اجتماعات ورؤى أخرى لرحالة ومستشرقين عديدين، يشي بعضها بميل عاطفي وإنساني حقيقي، كما ينتزع بعض آخر بكرهية واستعلاء عنصري وعقائدي بغيض، جرى هذا في مصر كما في غيرها من بلدان الشرق الذي زاره في الفترة من ١٨٠٠ وحتى ١٩٥٠ أكثر من ٦٠ ألف مستشرق بحسب ما ذكره إدوارد سعيد.

بين المتعاطفين يمكن الإشارة إلى «جيران» ذو فرائط، الذي كان مولعاً بالشرق





موت، فبيلة، وقد طاف بها واستشعر أن طامعها مريح من الصرغونية والإسلام، والسيحية، وكتب بمجدة عن نفسها وقد أعدي كتيابه، وإلى صديقي النسيب مصطفى كامل الذي قضى بحبه عام ١٩٠٨ وهو يؤدي واجبه العظيم نحو بيت الحرية الوطنية والإسلام في مصر.

وبين هؤلاء الرخالة من أفرقت حالة اللبس الاجتماعي والاستبداد السياسي الذي تروح تحته مصر. ولم يمنع استقبال محمد علي لجان فرانسوا شيلليون في الإسكندرية عام ١٨٣٠ ولا إهداء إياه سيفا ديفيا من انتقاده فكتب يقول: ما إن تراسى إلى محمد علي أن المصريين القدماء كانوا يرمزون لبلدهم بالفرقة حتى انكب عليها بليلهم وهرقه واستنزهاه أن الليل وأطراف النهار، ولعل هذا المسلك منه لم يكن إلا ثمرة للنصائح الغالية التي أسبغها إليه الفضائل الأجانب ممن لبسوا مسرح رعاة هذا الشعب المتكبر.

وكذلك فعل جل جلال أمير الذي زار مصر عام ١٨٤٢ والتي محمد علي في القلعة وعاب عليه ههما كتيه استبداده وقهره للشعب وإهراقه للدولة واستغاله مواردها لصالحه.

أما الأكثرية فقد كانوا من الأنهاريين والحواشيس والباحثين عن الكراه... منهم منسوف الذين جاء إلى مصر في العام ١٨٢٩ ليحمل مهندسا مهنيا في خدمة إبراهيم باشا ثم استأذوا للعبيرغرافيا في مدرسة أركان الحرب وميريا أولاد الأباش. لكنه بعد فترة تحول إلى مستشرق وعالم مصريات، وتطاهر باشتاق للإسلام وسمى نفسه إبريس الفنى وأردنى زى العلاحين، وقد ساعده ذلك على نيل الكثير من العاديات المصرية من مقابر وأدى المذوك وعلايد طيبة.

وكان، شالويرياي، من أكثر المتحمسين ضد الإسلام، وقد دسسى القرآن كتاب محمد. ووصفه بأنه خال من أي مبداء حضاري أو أية قاعدة تسمو بالخلق أو تندد بالاستبداد وتدعو للحرية. ووصف المسلمين بأنهم يجعلون الحرية ويعتقون إلى أداب المجتمع، وأنهم إذا لم يريهم غاز يدير بينهم بدور العدالة الإلهية يتسحبون إلى جنود بلا قائد ومواطنين بلا مشرع وعائلة دون أب، وقال فيل من مقلته مصر: كيف أمكن لهذه الطغمة الخائفة من المسلمين أن يعيشوا على نفس الرقعة التي عاش فوقها قوم مخدولون تركوا في أذكارهم هيرودوت وبنو الفضلى أكثر لا يحمي.

أما، أرنست رينان، الذي زار مصر في

١٨٦١ إلى ١٨٦٤، فلم يقدر في مصر سوى آثارها وقسمتها التاريخية، أما المصريون فهم، مجردون من الشاعرية والقدرة على الخلق بل ومن التثاقف والوعسى المتأثيرين في أن لهم شعب سطحي النظرة مفلق الفكر فقير الحال محافظ، جاهل سلاطه.

وربما كان ما كتبه، فولش، الذي جاء إلى مصر في نهاية عام ١٨٧٢ وأضنى بها نحو سبعة شهور حافرا لتأليبون على غزو مصر، فقد رسم صورة لحكومتها المتجردة من النزاهة التي لا تتمتع بشقة أي مواطن، وانتقد العسكرية الممالئية وحرض مواطنين فرنسا على غزو مصر التي تخلو حيوها من أية فداعات. أما عن المصريين فقد كتب يصف الدلتا، بيوت القرى مبنية من اللبن وكانها أطلال متداعية، والدلتا سهل لا نهاية له، يتبدل شكله حسب المواسم (...). وعلى مدى البصر من كل ناحية أظني ناء مشيع بالضباب يصيب العيون بالكليل

فكرة غريبة مفادها لتخليج الجنس الأسمر الأنثوي بالفصلال المذكرة العلمية للجنس الأنثوي، واتخذوا شعارها كلمة تالينون المشهورة: عن طريق مصر وحدها يمكن أن تتلقى شعوب وسط أفريقيا الثور والرفاهية، وكانوا يعتقدون أن شق قناة السويس إشارة أكيدة للسلام والولام بين قارات العالم وهزمة وصل بين جميع البشر. وقد زاروا مصر في وقد يسمه ٥٠ رجلا يتكون كافة الحرف والفنون، بالإضافة إلى عدد من الصحفيين والأدباء في العام ١٨٧٢، وكانت عنايتهم الأكبر بالقطر وشق الترع والقنوات، وقد سلموا، انفاثان، جميع الرسائل والرسوم الخاصة بشق قناة السويس لغرباناند ديليس الذي عرضها على صديقه الخيدوي سعيد، لاسيا المشروع كله لنفسه.

وقد تغفل السان سيمونيون بين الناس ببساطتهم حتى إن الفلاحين في

.. إلى صديقه الشاعر «فلوير»، ليصحب الضرب هنا دورا كبيرا.. كل من يرتدى ملابس نظيفة يضرب كل من يلبس ملابس قسرة



الصعيد أطلقوا على انفاثان، لقب: أبو الدنيا). ابن يمكن وضع رسائل فلوير، المختصرة وسط هذا الزخم من كتابات الرحالة؟



الحق أنها لا يمكن أن ترقى إلى ما كتبه إدوارد لين، وأشرنا إلى بعضه في السطور السابقة، كما يستحيل القول إنه كان صاحب مشروع من نوع ما، كما هي حالة شيلليون أو السان سيمونيون مثلاً، الأرجح أن دوافعه كانت فائقة تماماً برغم كونه موهباً من قبل حكومة بلاده، جاء الرجل للاستشفة لا للاستشفة على الكتيبة واستلمها تجارب حياتية تعينه على الكتابة

الإبداعية، بما فيها الفاعرات النسائية التي لا يمكن استبعادها في هواجسه، لكن بعض ملاحظاته تعيد في دراسة الواقع الاجتماعي للمصريين في هاته الحقبة، فما إن ولقت سفينة على رصيف ميناء الإسكندرية حتى شد انتباهه ما يتعرض له نقر من الناس من ضرب مبرج، كتب إلى صديقه منشوفا، ليحب الضرب هنا دورا كبيرا، كل من يرتدى ملابس نظيفة يصرب كل من ليس ملابس قسرة أو بالأحرى بلا ملابس يتنأ، وحين أقول ملابس فإنني أعني يتنأ خش قصيرا، حيث ترى عبيدا من السادة يمشون بعبص في الشوارع عراة، اللام إلا من قميص وجليون طويل (...). كل النساء باستثناء الطبقات الدنيا محجبات ويضعن في أظفهن زينة تتدلى وتترارج من جهة أخرى مثل قرط وجه حمام من جهة أخرى إذا لم تر وجوههن، فإليك ترقى صورهن كلها.

يضيف في موضع آخر: ما يلغت الانثياء بشكل غريب هو الاحترام، أو بالأحرى الرعب الذي يبدية الجميع في حضور الإفرنجي كما يسمى الأوروبيون هئا (...). معاملتنا شيء لا يصعب كما لو اننا أمراء، عشرة عبيد كانوا في خدمتي، واحد منهم لكش النياب.

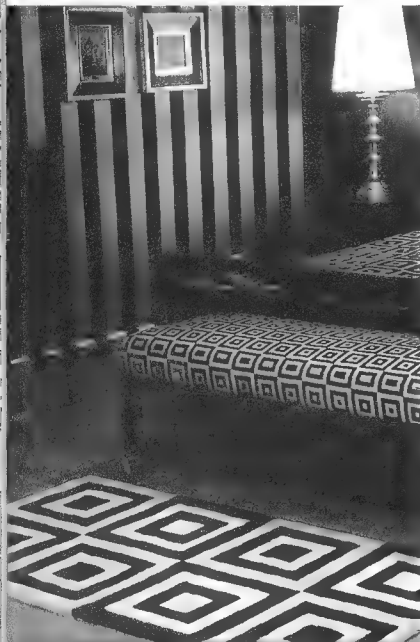
واستندأ إلى مشاهدته دنيا فلوير، باحتلال إنجلترا لمصر بل وضع خطة أولية للفرقة التوقعة، يقول: يبدو أن الاستيصال إلى تصحيح إنجلترا في شؤون وقت قصير سيئة مصر، عن مملووة وقواتها، ويجوز السويس يجعل وصول المعاطف الحمراء (الجنود الإنجليز) إلى القاهرة في صباح يوم جميل في منتهى اليسر (...). عند أول بادرة مشاكل في أوروبا ستسولي إنجلترا على مصر (...). ليس هنا ما يمنع الأيتاح، يكفي عشرة آلاف رجل (...). سيقبل الموطوقين الأوروبيون ضد الحكومة هنا ويتنهل كل شيء، أما بالنسبة لعامة العرب (المصريين) فلا فائدة من معرفته من سيمونيون، سيقبضون دوماً على حالهم مهما اختلفت الأسماء، ولن يتجونا شيئا لأنهم لا يملكون ما يخسرونه، عباس باشا مفكر، راسي شقائيا إلى حد ما، وغير قادر على فهم أي شيء، يحلم كل يوم ما قام به محمد علي، والقليل الباقي لا يوازي شيئا، الخوق العام الموهين هنا يبعث على القنطين.

وإذا كانت حسرة فلوير الموجهة، أن ذبوتها تحققت بعد وفاته بعامين فقط، فقد انتحرت إنجلترا من مصر في ١٨٧٢، ولم يكن هناك شكلا ما يمنع الاجتياح. ■

INTRODUCING A NEW CONCEPT IN CARPET DESIGN...

La Boutique

Oriental Weavers

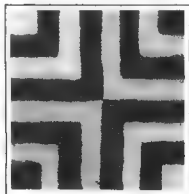


لابوتيك الماسجون الشرقيون
لقطع لمشاسق التميز

الآن وفي لابتوتيك تستطيع أن تتذكر
تصميم سجادةك بنفسك محققاً
الشهرة بالتفرد والتميز.

فقط إعطنا قطعة من قماش التجديد
أو الستائر أو ورق الحائط

لعمل سجادة تتناغم مع المكان وتعبّر
عن رؤيتك من خلال زخرفة أو
رمز تفضله.



Personalise your
surroundings...

U EL SHAHED ZAKARIA KHALIL STREET HELWANIS - JORDAN TEL: 00962 332 1111
GABRIEL CHAWA - 00962 332 1111
OPENING SOON 30 ABU EL FUAH STREET EL ZAKARIA TEL: 00962 332 1111

■ وزير خارجية ألمانيا السابق يوشكا فيشر شخصية ومناورة غير تقليدية في الحياة السياسية الألمانية. وقد يرجع ذلك إلى بداية تجريبه وتكوينه السياسي في حصص الحركات النشائية المتصورة على مؤسسات الحكم ونظمها الاقتصادية والاجتماعية هي أواخر الستينيات التي تميزت باضعاف بالعلم الثالث وتعاظمت مع آمال شعوبها وحركاتها التحريرية، ثم انجبت غالبية عناصرها للتأسيس والعمل في لطاق احزاب الخضر التي نجحت باساليب ديمقراطية وبإستقطاب الشباب في فرص وجودها على الساحة السياسية وانتخب فيشر المولود عام ١٩٤٨ كنائب في البرلمان الفيدرالي عام ١٩٨١ حتى اختير عام ١٩٩٨ ثانياً للمستشار الألماني شرويدر ووزيراً لخارجية الائتلاف الحاكم من الاشتراكيين والخضر. وبعد خروجه من الوزارة أواخر ٢٠٠٥ وهو في سن السابعة والخمسين احتفظ بمقعده في البرلمان. وإن رفض تولي رئاسة حزب الخضر أو كئلته النشائية ليصبح المجال أمام العناصر الشابة لتتولى المسؤولية السياسية ورئاسة لحزب. واتجه على غرار ما سبقه إليه المستشار هيلموت شميث إلى تأليف الكتب ونشر المقالات ليظهر من خلال تجاربه السياسية تحليلاً للأوضاع والتطورات من بداية القرن الواحد والعشرين. ويحاجب مواقفه إبان توليه السلطة من رفضه لغزو العراق، ولإفكار الإدارة الأمريكية حول محور الشر والدول المارقة والحرب الوقائية وأوضاع المنظمات الدولية، فقد أبدى اهتماماً خاصاً بالشرق الأوسط والعالم العربي، أعلنته تطورات المرحلة المعاصرة وهوم الأمن الأوروبي ورواس تكوينه السياسي المبكر وصلاته بمنظمات طلابية وشبابية افروسوية وعربية

ولقد لقي كتابه الصادر بالالمانية في ٣٠ صفحة في نهاية ٢٠٠٥، بمبواز، عودة التاريخ، اهتماماً كبيراً من الأوساط السياسية والثقافية الألمانية والأوروبية لاختلافه أسلوباً ومضموناً عن الصور المعتادة لمذكرات الشخصيات السياسية التي اغرقت أسواق النشر في العام المنصرم. فلم يركز على المكريات والقوال كبار الشخصيات العاليية التي تعامل معها بل قدم تحليلاً برجماتياً يأخذ حقائق العصر وتوقعات المستقبل بعين الاعتبار. يهتم بالأمن والمصالح الأوروبية المرتبطة بأمن ومصالح الشرق الأوسط وشعوبه، داعياً إلى تحديد

Die Rückkehr der Geschichte
Die Welt nach dem 11
September und die Erneuerung des
Westens
(التاريخ يعيد نفسه. العالم بعد
سبتمبر وتجدد الغرب)
Joschka Fischer
Kiepenheuer & Witsch, 2005

الشرق الأوسط

بسم

١١ سبتمبر



توقعات

فيشر

حمدي زام

النظرة والمقاربات الغربية، وإلى استراتيجيات أوروبية هدفها تعاون وشراكة بعيدة عن شبهة الإمبريالية أو فرض ثقافات أجنبية غير مطلوبة. وتعتمد بالضرورة وكأولوية العمل على تقديم المساندة لتطورات ليبرالية ديمقراطية شاملة، لكسر الجمود المفروض والمقاربات لإصلاح والحديث الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية لشعوب المنطقة وهو يقدر بحسم أن الاقتصاد على تبنى النموذج الغربي من الاقتصاديات السوق والتفتيات الحديثة لتحقيق التقدم، محكوم عليه بالفشل ما لم يستند إلى تحول جذري يؤدي إلى مجتمعات مفتوحة قائمة على مؤسسات وحكم ديمقراطي، يحترم حقوق الإنسان وينتج للمواطنين إمكانية علاقة مبدعة ومتحركة، تتطليها مستحدث العصر لكي تلحق الشعوب والمجتمعات بركب التقدم والتنمية.



إلى نهاية التاريخ كما يراها الفيلسوف هيغل تتحقق عند إقامة مجتمع عالمي موحد ولم يتحقق ذلك في عالم الغلب الواحد، بل شاهدنا بداية وعودة التاريخ من جديد، وتذكرنا كلمات الكاتب الألماني توماس مان بأن السيطرة على العالم حتم قديم ترغب فيه كل عقيدة وهو ما ينطوي على خطورة استغلالها كمجرد أداة للسيطرة على العالم.

وإذا كان سقوط حائل برلين في نوفمبر ١٩٨٩ قد أعلن نهاية قرن من الزمان، فإن تصغير مركز التجارة العالمي كان بداية القرن الواحد والعشرين. لتأثيره القوي على نفسية وسياسة دولة أصبحت القوة العظمى الوحيدة في العالم، لقد كان القرن العشرون هو قرن التحرف، فلم يشهد العالم في مثل هذه الفترة القصيرة نسبياً كل هذا القدر من العنف والوحشية والجنون وضحايا الحروب والقتل الجماعي ومذابح الشعوب والتسلط والبيكتاتورية، وفي نفس الوقت لم يحدث في أي قرن من الزمان مثل هذا التقدم السريع والتطرفة الهائلة في العلوم والتكنولوجيا.

وبعد حربين عالميتين سادت الديمقراطية غرب أوروبا منذ عام ١٩٤٥ وانتشرت في باقي القارة الأوروبية منذ ١٩٨٩ وأعلن الفكر الأمريكي فرانسين هوكوبيا نهاية التاريخ، واستعدت أوروبا وأمريكا للاستمتاع بحياة ذائعة بعيدة عن المشاكل والأزمات في بيوحة من العيش. وبعد انتهاء الحرب الباردة وسباق التسلح اتجهت شعوبها للاستمتاع بالسلام والرفاهية بعيداً عن السياسة، في ظل رأسمالية بلا أزمات في ظل سيطرة للاقتصاد على السياسة وانحسار دور الدولة. ثم ثبت خطأ ذلك

على خلفية النزاعات المسلحة والساخنة في الخليج وشرق أفريقيا والبلقان وأفغانستان وحرب العراق وتدابيرها في تطورات حوض النفط على الأعلام وأصبحت الحروب تطل برأسها من جديد، وتتمتع التاريخ مؤثرة في نوك الاستقرار، وتقلب اليوهرات وأسعار الطاقة لتشكلنا بقوالة هيرا كليت بار الحروب أم كل الأشياء..

لقد أثبتت تغيرات العصر نجاح راسمالية السوق تجاه الاقتصاد الوجيه وأرجعت اتطال المعلومات التي وضعت وتكنولوجيا المعلومات التي وضعت الأصول التقنية والسياسية لعلولة الاقتصاد بشكل كلي وحاسم، انعكس على أسواق المال واليهرات وأصبح معهد للثروة أعنف وأسرع في تكنولوجيا الجينات، وأصبحت صلاحية وأهمية الدولة وإهامة مجتمعاتها في محال الاستثمار أهم من شكل الحكومة الوطنية أو نوع الانتخابات، وبالتالي تغيرت النظرة لسيادة وحرية الدولة وخصائصها القومية في عصر المعلو التي أصبحت تمنى تطبيق النموذج العربي للاقتصاد والاستهلاك، وهو موضوع اقتصادي وثقافي ذو نتائج سياسية إيجابية وسلبية، حيث أدت المعلو إلى رفية ملايين البشر في المشاركة والاستفادة منها بأى شكل والاتحاق بعالم الاستهلاك العربي الذي شجع على خلق وزيادة الرفية في الحصول عليها، وأدى ذلك إلى انجاه تشويد المتطلبات اليومية للبشر، وبالتالي التأثير والتقليل من حدة الاختلافات الثقافية ولانكسارات التي نتجت لتتسلك بالمعادات والثقافات التقليدية.

على أن حادث ١١ سبتمبر الذي لم يلحق أضراراً استراتيجية مهمة بإمكانات الولايات المتحدة، أصابها مع ذلك هزاس نفسية ضيقة، ترتب عليها رد فعل سياسي وعسكري عنيف عكبرنا بقصة الخيل والنموضة التي أتت لدغتها إلى انطلاقه في هياج لتحطيم كل ما في طريقه وما حوله ليتمتع الطريق أمام تصوير صراع بين العالم الإسلامي والعربي والغرب، والاهتمام بأراء هنتشجون من صدام الحضارات والحجرات، تلتفتت قلباً من الغمضين الحمقى في العرب وسعدت به الجماعات الهندسنية المتطرفة في الشرق ولا يقله عقلاء الغرب والمسلمون المعتدلين ذلك لغفت الولايات المتحدة قدارات استراتيجية وعسكرية كبيرة لا يستطيع الإرباب التلحظ منها حتى ولو التحف بعطاء إسلامي جهادي غير حقيقي وأصبح ينتجه للتنيل مما يسمى بالاهداف القومية، أي إلحاق الضرر بالمدنيين، وقد تحول فترة مقاومة وملاحقته في الشرق الأوسط، ويمتد ذلك أيضاً على قدرة الدول والمجتمعات الإسلامية في عزل هذا الفخار عنحاء تكفى مجاهنته عسكرياً وولياً، بل

من الضروري تخفيف منابعه والقواعد المساعدة له بإذهاء وإصلاح التنظيم السلطوية والديكتاتورية ومنع المزيد من الحرية والديمقراطية، وتحسين الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في الشرق الأوسط، وعلى الغرب التماس سياسات حكومية بعيدة النظر تضمن عدم الاندفاع أو الاستفزاز مؤذية إلى مواقف حمقاء عنيفة، قد تدفع العناصر القومية الوطنية والمتشرفة للالتقاء مع التيار الدني المتطرف، ورغم ذلك كله فإن الأيديولوجيات الدينية المتطرفة والإرهابية تتحمل في ذنوبها الشيوعية الرأسمالية عنصرية افناء وتصميم الذات على غرار زوال الأيديولوجيات القاسية وللتجبيقات الشيوعية في أوروبا الشرقية بعد أن

خاصة بين الشعوب التي عانت طويلاً من التآخر والمقر والفقر في الحكمة الاستعمارية وما تبعها من نظم حكم سلطوية وساطقية وهو ما قاله الغرب سالوب النعامة في أحاء رأسها في الرمال أمام عود التاريخ مرة أخرى، لقد اثبتت رماة التسمية بغير معنى ما لا سواي الواعدة ان ثبات واستقرار الاقتصادات السوق لا تكفى ولا تخصص استمرار النحاح من نظم حكم عادلة ومجتمعات ديمقراطية مستحقة وار تبي الدول الصاعدة لاقتصاد السوق وديناميكية التكنولوجيا والعلوم وتطبيقات الجانب التسمي والمالي والاقتصاد في النموذج العربي محكوم عليه بالشلل اذا أغفل العامل الاساسي والصوري في تحقيق التقدم، وهو المجتمع المدني على مؤسسات ديمقراطية



أجندة الغرب بالنسبة للشرق الأوسط مع بداية القرن الواحد والعشرين هي دعم الاتجاه لإنهاء النزاع العربي الإسرائيلي ومكافحة الإرهاب

ألحقت أضراراً جسيمة وتضحيات جمة بشعوبها حتى سقطت.

غياب نظام عالمي جديد

مع بزوغ عصر جديد هيمنت عليه قوة عظمى أحادية لم يتكرر ما حدث فيما بعد حروب القرن التاسع عشر والعشرين في فيينا وقرساي ومالطا وما قربت عليها من مجابهات بين نظم وأيديولوجيات سياسية واقتصادية وعسكرية متباينة مثلت العالم واسمته في مناطق نفوذ وبانهاة الحرب الباردة وانهاير قدر كبير من النظم السابقة لم ينتج من ذلك نظام عالمي جديد يعالج مشكلة إيجاد توازن وتوفيق بين أوضاع تقليدية قائمة وافكار موروثة وبين فكر وتطبيق قوى جديد ليحد من انفجار المشاكل والنزاعات في مختلف أنحاء العالم؛ ولقد اتاح هذا الفخار عنحاء مناسباً لظهور عوامل التطرف والإرهاب

متعلق مصالحتها الفائلة ومسيحية لقود مصيبتها روده مدع غير حكيم وغير مبرورة تحمل في جوباها أبحار جيمه، ورغم تحقيق أوروبا قدرها من النجاح الاقتصادي فإنه لم تستكمل وندتها السياسية بنظامها الأمنى ورغم قدرتها العسكرية يستلح لها اهتماماً ومشاركة فعالة يجذب الولايات المتحدة في معالحة المشاكل التي تهدد الأمن والسلم العالمى على أرواسيا التي لم تستطع لسيان بها ثبات قوة عظمى على نفس مستوى الولايات المتحدة، عقد استعبد تحديدها اقتصادها ومجتمعاتها لاستعادة عافيتها واتجهت إلى لبعاع اقتصادى وسياسى مع الولايات المتحدة وأوروبا والاعتماد على إنتاجها من الثروة البرونية والغار وأتأمين طرق تصديره التي تآثر تأفكار الولايات المتحدة من اللعبة الكبيرة New great deal، مما قد يؤثر سلباً على استقرار مناطق جنوب الشوقار ويوسع أسيا ووصول الطاقة لأوروبا.

وفي آسيا التي يرى هنري كيسنجر انها ماراتل تعيش في نطاق افكار عالم التوازنات الأوروبية في القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين ماراتل تسودها نزاعات قومية موروثة، ورغبات هي السيطرة وسباق التسلح ورغم ما تنهده من تجديد وجدحة الاقتصادية همارتلت تشوبها لتناقضات اجتماعية، ونظم سياسية لم تثبت على تحول (صلاحي وديمقراطية كامل، ولم تتوصل إلى طمام أمن جماعى وتعاون فعال في شرق وجنوب آسيا، ومارتلت الخلافات والعراقية والأصولية الدينية والإرهابية والخدرات وتهازة الأسلحة وسباق الحصول على أسلحة الصغار الضعفاء، تشكل خليطاً من الأخطار التي تهدد من الباسيفيكي إلى الاطلس لتشمل وانعكس على منطاعت الحاصرة الإسلامية التي أصبحت تضم معظم نزاات العالم

وفي أفريقيا جنوب الصحراء يتزايد المقر واحتمال سقوطها من المادكرة في القرن الواحد والعشرين، فهي تملك ٢٥ مليون مريض بالإيدز وتسعة من أفقر عشر دول في العالم، لقد قسمها الاستعمار وفقاً لصلاحه إلى مناطق غير متجانسة ووضع بذلك بدورا مسمومة نزاعات عرقية ودينية وقبيلية، رادها حدة نساات عنصرية وماوها الأولية، كالتسورول واللى والحداد الاستراتيجة، وصعوبة المستمرة لخصص اسرار وعرقلة تصدير سلعها الاسيائية كالبن والقهظ وغيرها. ولها أمل في التقدم من لم تحقق ليوها حكومات وإدارة جيدة تقوم بالحد من الفساد ووضع سياسة اقتصادية لتسعين استخدام مصادر الدخل والموارد الأجنبية والكف عن تدخل الدول والشركات الأجنبية الماهية لتزودها عن شئونها الداخلية، والوصول إلى

وسيادة القانون ليتيح للملايين من مواطنيه الأحرار إمكانيات خلاقة مبدعة ومنتجة في عصر جديد من العولمة تحتمل التمييز بين دول نامية ودول صناعية كبرى، واتجه بقوة إلى تقسيم جديد للعالم ما بين مجتمعات متأخرة وأخرى متقدمة تترك خلفها بلا رحمة من فناء قطار التقدم والتنمية، ففي القرن الواحد والعشرين ستصبح الديمقراطية والمولة القانونية العادلة والأخذ بالإنجازات العلمية والمعلوماتية هي الحد الفاصل بين الدول المتطورة والمتخلفة والدول النامية المتخلفة وبالتالي الأساس في توزيع موازين القوى وحجم الناتج القومي لكل منها مستقبلاً.

وقد تميزت القوة الأعظم مع بداية القرن بإنتاج افكار وسياسات انفرادية من

توقعات فيفسر

إقليمي تتيحه التعديرات في الشرق الأوسط

أما بالنسبة لإيران فهناك تكهنات حول اتجاهها التحول إلى قوة نووية، مما لا يعتبر تهديداً لإسرائيل فحسب، بل وربما الأهم تهديداً وتغيير الوضع الاستراتيجي للدول غير المتوسطة في المنطقة، مما يؤدي إلى تغيير الوزن الاستراتيجي لصالح إسرائيل.

لقد رحبت إيران من سقوط نظام طالبان ونظام صدام حسين على حددها كما رجع من ذلك ضحايا صدام من الشيعة والأكراد مما سيؤدي إلى حكم أغلبية شيعية في العراق، وهو ما قد يدفع إيران إلى سياسات خائفة في اتجاه خليجي والتطلع إلى فلاح شيعي عبر سوريا ولبنان والعراق وربما فلسطين مع الاتجاه لتسليم نفط لتصبح القوة الهيمنة على المنطقة خاصة على ضوء ضعف وقتت الدول العربية إلا أن هذا الخطأ في التقدير سيؤدي بالضرورة إلى صدام مع القوة الجديدة في المنطقة أي الولايات المتحدة التي تجتهد بإيران أن أفغانستان والعراق وأذربيجان وجورجيا وسط آسيا والخليج أرضاً وبحراً، ولن تتسبب القوة العالمية في الخليج والجزيرة وتحالفها مع إسرائيل مما يربطها بشكل دائم بالشرق الأوسط ومشاكله ولا صحة لقول أن اشتغال القطب الأعظم في العراق سيتم اشتراكه مع أي قوة أخرى تناهض في المنطقة وتهدد مصالحه ومصالح العرب.



وبالرغم من النزاعات والأزمات الإقليمية الحادة وخطر التعصيد الدولي والتهديدات الإمبريالية بطل التحدي الأساسي لتفادية الدول ولأنها في منطقة الشرق الأوسط هو الاستقرار في تجديد وعقلنة التطور والتحديث في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

لقد فشل الاقتصاد القومي العربي رغم تدخلات الخصم في البترول والعاز في دوله التطور والتحديث في ولم يستطع يقتر كلف من التقدم الهائل في العلوم والتكنولوجيا كما فشل

النظر إلى المشكلة على أنها مجرد نزاع قومي بين الإسرائيليين والفلسطينيين على السلطة والأرض، فهو في نفس الوقت نزاع إقليمي عربي إسرائيلي ونزاع ذو جانب ديني تحكم مقدسات الديار في لمعاقه.

ويرى الإسرائيليون في دولتهم الضمان لعدم تكرار ما لاقاه اليهود ثلاث السنين عبر انتصارات وتكبر بلغ قمته في العهد النازي، فارتكزت سياستهم دائماً على ضمان تفوقهم العسكري خاصة على جيرانهم.

وأدى رفض العرب لقرار الأمم المتحدة بالتقسيم وخسارتهم لحروب لم تتمكن من إزالة الدولة اليهودية إلى تقليص حجم الدولة الفلسطينية التي اقترحتها المنظمة الدولية إلى دولة من حدود ١٩٤٧.

لقد استعانت إسرائيل مع التطورات إسرائيلية، منها انهيار الاتحاد السوفيتي، وغزو العراق، ومن رد الفعل الأمريكي على ١١ سبتمبر وحملت لمقاومة الإمبريالية إضافة إلى عدم التوافق بين الفلسطينيين واليهود في العراق في حرب وتعاطف بعضها مع العراق في الحرب الخليجية وغزو الكويت.

ولكن مع تزايد قلق الغرب على مصالحه في المنطقة من استمرار وتوسع النزاع إضافة إلى المشاكل الديموغرافية المتزايدة، سارع للفلسطينيين في المناطق المحتلة، واستمرار المقاومة والعمليات الإرهابية، أدى إلى تخلي إسرائيل وأرجائها عن الأفكار والخطط القائمة (إسرائيل الكبرى، والاتحاد إلى التخلي عن بعض المناطق المحتلة لتفادي الحل الديموغرافي الذي قد يؤدي إليه حكم أغلبية إسرائيلية لأغلبية عربية وجاء القرار الأحادي بالتخلي عن غزة وأجزاء شائبة بعض الشكوك، باعتبار أنه آخر الخطاف أو التناقص بظهورات الأوضاع الجديدة التي تتيح لإسرائيل رسم الخرائط التي ما نعى بإقامة دولة فلسطينية غير مستقرة وغير هائلة للحياة، مما سنك لتهدد اقتصاداً وإسرائيل والمنطقة وأمن ومصالح أوروبا والغرب.

ولا مناص من تكثيف الجهود للوصول إلى حل سلمي معقول من الأطراف بإقامة دولة فلسطينية في الدولتين، وفي ظل نظام أممي

توافق قومي يحد من الحروب والنزاعات الداخلية، ولن تحدى ريادة ميراثيات الحشوش وأجهزة الأمن لتلعب على مشاكلها، بل قيام حكم صالح وتطور ديمقراطي واقتصادي. وستظل مشاكل أمريكا اللاتينية قائمة ما لم يتحقق تكوين وتثبيت المؤسسات والحياة الديمقراطية والاستقرار الاقتصادي الذي مارال مهدداً بالخطر والبطالة ونهب الثروات، إضافة إلى مشاكل الإرهاب والخدشات والترهيق الأبيض وأيضاً الجريمة المنظمة التي انتقلت عدواها إلى الشرق الأوسط الكبير، ومع ذلك فغزال أمام بعض دولها فرص الاستفادة من استعانة الإقليمي ومناطق التجارة الحرة وقيام سوق بيئية تتيح الاستفادة من العولمة والتقدم العلمي والتكنولوجي.

الشرق الأوسط

والعالم العربي

يضم الشرق الأوسط أكبر قدر من مخزون الطاقة من البترول والغاز في العالم، وفي نفس الوقت قسراً مترابداً إلى عدم الاستقرار السياسي الذي يؤدي إلى تحجيد أو عرقلة التطور الاجتماعي والاقتصادي، هذه العوامل مرتبطة بانحجار كيان في ظل عاصره من الشايب صغار السن، ونزاعات إقليمية قديمة وخلفية، وايدولوجيات شمولية ذات مصور ديني، وحركات إرهابية ونظم حكم سلطوية مستبدية، وطموحات نووية، جعله خطراً سياسياً متفجراً، أما أن يصب في معالجة سلمية تشهير وتحديث المنطقة أو يترك ليتصاعد مؤدى إلى امجارات تهيبة على لعلم، تؤدي إلى كرتة محصنة لمستطع الفصالح الخاصة جازة الأوروبية، أما لا احتمال التثبت الذي قد يراه لبعض في تثبيت الأوضاع المتعددية القائمة، فلم يعد وارداً ولن يستطيع الصمود أمام الأوضاع الدراماتيكية المتغيرة بسرعة وعنف والتي تحمل في وجهه نظر العرب مخاطر جسيمة لا يمكن التثني بما يتدلى إليه من مشاكل مستقبلية.

ولا شئ من المصيبة للمستطع تتصمر في المشاكل، وبدون حلها لن يتحقق الاستقرار بالمنطقة ولا يمكن

في التوصل إلى نظام تعاون ولكامل اقتصادي إقليمي والاقتصاد على مرحلة العولمة ومتميزاتها، وعندما تنظر إلى هذه المنطقة المليئة بالأخطار ناصجا بمشعل أيضاً في التوصل إلى نظام أمن جماعي عربي، ورغم أن النزاع العربي الإسرائيلي قد يشكل عقبة في سبيل ذلك فمن الملاحظ استقلال هذا النزاع وغيره من العوامل الخارجية لتحويل الأنظار عن الأسباب الحقيقية لتعرقلة التطور والحداثة وأن النظرة السريعة لنظم الحكم في المنطقة لا تطرح صورة إيجابية، فمجتعاتها تحكم بأسلوب سلطوي، وبديكتاتوري أحياناً ولا نجد في العديد من الدول تطبيقاً جاداً وشاملاً للديمقراطية واحترام حقوق الإنسان واستقلالية السلطة القضائية ومساواة المرأة أو نظم تعليم حديثة وفعالة.

يضاف إلى هذا أن الانتقال رؤس الأموال الضخمة للدول العربية للاستثمار إلى الدول الصناعية الكبرى يحرم شعوبها من الاستفادة منها، كما أن تركيز الثروة في أيدي قليلة، أضف الاستفادة من التقدم العلمي والتقني في الإنتاج والتقدم الاقتصادي والصناعي وفي مجال الخدمات.

في أي اتجاه التطوير والتنمية البشرية للإنسان العربي ليحتل مكانه اللائق في العالم يتطلب ثلاثة مبادئ مهمة، أولاً، سياسة ديمقراطية واحترام كامل لحقوق الإنسان وحرية تطبيقه الحكومات بشكل مطلق، مما يتيح تطوير إيجابي خلافاً للإنسان العربي ومجتمعه، والثاني، هو مساواة المرأة في الحقوق والواجبات ومساومتها في التطور السياسي والاجتماعي والاقتصادي والتعليم والعلوم، والثالث، هو التركيز على تحسين العلم والمعرفة والاستفادة من ذلك في كل جوانب المجتمع.

ولأنه اتجهت محاولات التحديث في العالم العربي بعد المرحلة الاستعمارية إلى نموذجين أحدهما قومي عسكري، والثاني ديني سلطوي، منتج الأول من التلاقي بين عناصر وراثية مع عناصر عسكرية وطنية، ومصلطية بأفكار الوحدة العربية وقد رصد العداء لتغرب بسبب ماضيه الاستعماري وهو ما أدى إلى تمامه تنسجس من الاتحاد السوفيتي والحصول على الأسلحة وبعض المعونات المالية والتقنية، واتجهت

كتاب الزاوية



الحب العذري عند العرب

شوقي ضيف

«والمحب العذري إلا صوفي خالص، صوفي في ظمئه الذي لا ينتهى إلى رؤية الحبيب ولقائه، وصوفي في تغنيه بعشقه الجامع الذي يملك كل قلبه وكل أهوائه وعواطفه ومشاعره، وصوفي في تعييه الحيلة وتوزنه الوسيلة إلى لقاء بالمحبيب، وإنه ليسير في طريق لا نهاية لها ولا مسيل إلى الدنو من غايتها إلا بإسلام الروح، وصوفي في ارتفاعه عن كل صفائر الحياة، لعله يقترب من قدس الأقداس، وصوفي في ابتهاله وذله وضراعتة، وما أشبه شعره بالترانيل الدينية، لذلك كله لا نفلو إذا قلنا إن هذا الحب العذري هو الذي أتاح لنا هذه الشروة البديعة من الحب الصوفي السامى».

ما سبق اقتباس من مقدمة لكتاب الحب العذري عند العرب للدكتور شوقي ضيف رئيس مجمع اللغة العربية وأستاذ الأدب العربي الراحل والذي أرخ فيه لموضوع الحب العذري عند العرب مع مختارات من قصصه ذائعة الصيت مثل مجنون ليلى وجميل وبشيرة وفيس بن ذريح ولبنى وعروة بن حزام وغفراء وكثير وعزة ونوبة وليلى الأخيلية والعمسة وريا ومالك وظرفيفة وابن أبي عمار الناسك وسلامة والعباس بن الأحنف وفوز وذوالرمة ومية.

وتعرض «وجهات نظر» بعض نماذج من هذا الحب من كتاب الدكتور شوقي ضيف الذي صدر عام ١٩٩٩ عن الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة.

ولنماذج السابق الإشارة إليها إلى شعور بمزيد من سيطرة الثقافة الأجنبية الخارجية مع ضعف متزايد للعالم العربي والتخبط وفوضى في الاتجاهات، وحنين للعودة إلى ماض عسري إسلامي مجيد مفتقد وإلى ظهور التطرف والحركات الإرهابية التي لا يمكن اعتبارها طريقاً ثالثاً أو بديلاً للتحديث والتقدم في ظل حرية وديمقراطية مبيداً عن أي نظم مسيطرة شمولية وإن اخفت رداء دينياً.

إن مجابهة الأخطار الشمولية والتخلف في العالم العربي لن تتأتى إلا باتباع طريق ثالث للتحديث والتقدم وهو بكل بساطة ووضع طريق التطور الليبرالي. ولكن طريق الليبرالية والديمقراطية والتحديث قد يكون طويلاً وليس سلا، فهذا الطريق يعتمد على الحرية والديمقراطية ومساواة الجنسين وإصلاح التعليم وتأمين العدالة الاجتماعية والانفتاح على العولمة. هذا الطريق العالمي الذي لا

يبدل عنه، لن يصلح فقط بمقاومة غلبة من الجماعات الإرهابية، بل إنه لن يجد ترحيباً من عدد من النخب الحاكمة التي تجد في ذلك تهديداً لكيانها ومصالحها. ويجب أن يكون دور الغرب في هذا التحول هو دور واضح لشراكة وتعاون من أجل إصلاح ديمقراطي ليبرالي لا تشوبه شبه الإسرائيلية الجديدة. إن أجندة الغرب بالنسبة للشرق الأوسط مع بداية القرن الواحد والعشرين هي عدم الاتجاه لإنهاء النزاع العربي الإسرائيلي والعمل على استقرار العراق وأفغانستان، ومكافحة الإرهاب وانتشار الأسلحة النووية، وانضمام تركيا للاتحاد الأوروبي، ومنع تسليح عدم الاستقرار إلى الجزيرة العربية، وضروة دعم القوى الديمقراطية الليبرالية في المنطقة وتشجيع الانفتاح والتكامل الاقتصادي والتحديث العلمي، وتشجيع إقامة نظام أمي جماعي للمنطقة، وليس أمام الغرب أية بدائل أخرى لبرنامج طويل المدى للتعاون من أجل تحديث الشرق الأوسط، في إطار ليبرالي ديمقراطي بعد أن فشلت نماذج التحديث التقليدية العربية وأصبحت سياسة الأمر الواقع وتجميد الأوضاع تشكل أخطاراً على المنطقة نفسها وعلى أوروبا. ٣

للتصنيع الوطني، واعتبرت المضمون القومى العربى أكثر من الاتجاه لمفهوم دينى سلفى واستخدمت فى معظم الحالات أسلوب الحزب الواحد لتوفير غطاء سياسى للحكم العسكرى وتعليق نظام اقتصادى مبنى على احتكار الدولة باسم الاشتراكية العربية.

أما النموذج الثانى فيمكن وصفه بأنه نظام سطوى يعتمد على سلطة مطلقة أساسها ملكى وراثى، يعتمد على المفهوم المدينى بمشاركة علماء الدين، واتجه فى عملية التحديث إلى الانفتاح على الغرب فى محاولة لتجاوز ربح التقاليد الدينية بالانفتاح تكنولوجياً استلآكى على الغرب

هذه التجربة اعتمدت وارتبطت بشكل كامل بعائدات البترول لاستيراد التحديث والتقدم مستتية بالخبراء الأجانب والتقنيات المستوردة والأفراس فى ضخ السلع الاستهلاكية فى مجتمعاتها وسهل ذلك زيادة أسعار البترول بعد ١٩٧٣ الذى ضيق مداخل حل هائلة إلى الدول المنتجة للبترول وخرائن نخبها الحاكمة. وكان من الطبعى والمنطقى استحالة التوفيق بين المفاهيم والتقنيات والسلع الاستهلاكية الغربية من جهة والاحتفاظ بالثقافى الإسلامية السلفية من جهة أخرى خاصة لترسيخ القيم التقليدية والدينية فى التعليم على الاستزادة من العلوم الحديثة والمعرفة. ولم يكن من المستغرب أن يولد ذلك التضارب إلى النظر للتحديث على أنه أمر مفروض من الخارج على المجتمعات الإسلامية لنذيل من قيمها التقليدية السلفية، وهو ما أدى إلى ردود فعل وظهور افكار وجماعات التطرف الدينى.

إن كلا النموذجين العربيين للتحديث قد استهلكا واستنفدا إمكاناتهما ووصل إلى نهاية المطاف ولم ينتج أى منهما فى فتح طريق دى خصوصية عربية للتحديث والتقدم والولوج إلى عالم ديناىكى جديد ومتغير. وانتهى بهم الأمر إلى تسليم باقتسل، أو إغراق فى اليأس والإحباط، وهو ما أدى خاصة بعد انتهاء النزاع بين الشرق والغرب إلى زيادة الاتجاه لتجميد وعرقلة تحديث وتقدم العالم العربى، وعزله عن العالم الجديد فى ظل العولمة وديناميكية الاقتصاد الدولى. وأدى فشل وتجمد النموذج

دواسات حمام

متواجد في مراكز بيع بواقى ال

قطع موكيت

سجاد اطفال



صديرة المنتشرة في كل ارجاء مصر

شرقي

مطبوع

مشايات

عادة صلي

www.makasep.com

الصورة

أيقونة الحياة والموت!

أحمد فؤاد سليم

اللاهوتى من تلك القوة العظمى التي
تقف وراء الشمس الزاهرة.

إن الصورة هنا تقوم بتربيع الوعى
بالملك. وهذه الصورة التي يتلقاها
المشاهد أينما ارتحل، تظل تتروى على
مكوناته الخشونة حتى تزجج ماعداها،
وتصنع لذاتها «أيقونوغرافية» من
القناعات الجديدة، أو المخالفة. فلا
الشعر، ولا الفلسفة، ولا الموسيقى أو
الرواية تملك أيها مثل تلك القدرة
البصرية التي من شأنها أن تعيد الخلق،
وتزيح الكاس والمكون معاً.

فليس من شك إذن أن المصريين كانوا
يدركون تمام الإدراك مغزى الصورة
ومناها في العقل، ولذلك فقد كانت
كتاباتهم هي بذاتها «صورة» جاءت إلى
العلن من أصل تصويري، خالص - بل
إن الصورة كانت عندهم من القوة حتى
أنها تتجلى في أقداس البيت، وتتجسد
للحياة الأبدية، ولهذا أيضاً فإن قبراً
واحد تم يخل من الصورة على نفس
ذلك القدر الذي عرفناه في المعابد
والقصور، وفي بيوت العمال والكهنة.

تراث تأليه الحاكم، والصورة!

كما أنه ليس من شك أيضاً في أن
الإغريق والرومان والبيزنطيين وغيرهم
كانوا قد أخذوا يدركون - في زمانهم -
أن «الصورة» هي أصلهم وحياتهم،
وهي التي تخلق على العكس من الحكوميين
المستغلين بغير الإلهام شيء
اللاهوتية، تعاليم وأقدار الحاكم الفرد.
وربما كان بفسطاطين الأول، هو أول
حاكم فرد جعل من صورته كحاكم قدساً
متجلياً، وذاقاً علياً لا تأسى، ثم اعتبر
ذاته الإلهية في أوائل
استغرافه بالمسيحية في

«لا نترض في هذا المبحث للمقيدة، فذلك أمر فوق
طاقاتنا، فضلاً على أنه ليس هدفنا ومبتاننا.

وإنما نحن نقف أمام الصورة وحدها، كونها فقير
«المكون» المخزون في وعى الجنس البشرى. ولكن زمان
«الصورة» سابقاً على زمان الكلمة حتى أنه يفلقنا إلى
اثين، ولأن الصورة أيضاً تدخل إلينا دون وسيط، وتأخذ
سبيلها دون عائق هتات، أو تجرح، أو تقيف، أو
تزيح.
ذلك أن الصورة التي تعنيها في هذا المبحث هي تلك
التي تصنع الخيال والمغفل».

اعتاد معركة المعاني في الكلمات، فأول
يسبق الثاني كلما أعفأ النظر في قيمة
الزمن. ذلك أن الصورة هي وحدها
القادرة على استعادة وإثارة المخزون
والمكون معاً، ومن هنا فهي التي تحول
ذاتها إلى فعل، ثم إلى حركة قد ترضينا
أو تعطينا، قبل أن تبدأ الكلمة التي تكون
إطار الصورة.
إن «الجنين» هو صورة دون لغة،
والميلاد صورة. والموت لا يكون موتاً سوى
بالصورة، كما أن تخليد الإنسان في
حياته وصماته تتوالد الصورة بأكثر مما
تتوالد الكلمة، حتى أن «البيجينال»
جعلنا نرى الصورة رقماً، أو غير رقم كلما
عبثت أصابعنا بالمرمجات المعطلة.



وقديماً كان المصريون يقومون
بتحطيم الصورة الجدارية واتماتيل
والنصب، أو يقومون بدهنها تحت الأرض،
أو داخل حوائط حجرية لبعض من
سبوقهم من الحكام. إذ كان الحاكم

الجنين صورة والموت صورة

■ يجزأ ما جرى في حكاية الرسوم
الدنماركية^(١) إلى مهمة أو مسألة كنا قد
أخذنا نتحدث فيها لحقب عديدة مضت،
وهي قوة الصورة على التأثير والتغيير،
وبوماند ما كان أحد يجعل بنا ولا
بقولنا حول الصورة كأيقونة، والصورة
كمفهوم، والصورة كسجل يسبق زمان
الكلمة.

كما نتحدث من الصورة وفكرتها على
تبديد معالم الحقيقة والواقع، أو على
مطابقة الواقع أو الالتباس معه، أو
تأكيد، بل وعن خاصيتها في خلق
طبيعة ثانية غير تلك التي نحسها.
وكنا قد تحدثنا عن الصورة وعن
فكرتها على تكريس الحب في مجتمع
بحاله، أو حشد البغضاء، أو بث الغضب
في عروق مشاهديها، أو إشاعة الازدراء
للهاشم بعينها، أو إشهارها بجلال
واحترام، أو حتى بقدرتها الصورة على
التحريض علناً على التمرد والثورة.
فلا الشعر، ولا الفلسفة، ولا الرواية
أو المسرح والسينما أو الموسيقى وغيرها
مقارن أي منها على حفز مشاعر مجتمع
نحاله يمثل تلك «الحاكمية» التي
تسلطها الصورة من تأثير على
مشاهديها.

لأن الصورة تنسخ الصائد أو تؤكد
تعبيره أو تقيمه، أو تعيد خلقه وهي حين
تدخل إليك فإنها تتسرب إلى العقل
الفاعل، لذلك أن الصورة هي بذاتها
«علامة» - أي تمثورية - قادرة على
احتراق الخيال بدون لغة الصوت
واللسان.

إن الإنسان حين يخضع لمعالم
الصورة لا يكون متمثللاً مع ذلك الذي





العقل الفاعل. هذا العقل الذي هو مخزن الصور بكافة عصورها على امتداد زمان الجنس البشري.

ومع ذلك فإن أسطورة الجامعة أو صبيدا، أو عالما، أو طبيبا، أو حتى موسيقيا وشاعرا، إلى غير ذلك من علامات الثقافة ورموزها، لا يكون أدنى اهتمام لثقافة الصورة، تلك الثقافة التي شكلت وحدها مزيج تحويل المكنات والبنيات لدى كافة الأطياف وتدعوهم إلى التصرف طبقا لأثارها.

فالشاعر مثلا لا يرى في الصورة سوى خدمة تزيينية لأشعاره، وكذلك الروائي، والاقتصادي، والسياسي، والديني، ونشأروا الكتب عموما على اختلاف مصادرهم، وهو حال يحمل الصورة بمنجاة من أية رقابة، ويدهوها إلى كسريب دلائلها حتى تلتحق ببرح الأشياء ذاتها، وتتمسك مكوناتها في العقل البشري على أساس كفى، وليس على أساس كفى.



لنتذكر جدارية «يوم الحساب» ١٦م «١٢ ميلكانجلو التي تعد بمثابة محطة فارقة في عصر النهضة الإيطالية. إن «المسيح» رسمه ميكالانجلو، وهو يقف على عتبة باب الجنة، وهو يحيط بالملأكة ويحدث من الشهداء بينهم مجموعات تحمل صليب السيد المسيح، الذي يتجلى لنا وهو في حالة عري كامل. ولكن هذا العري الذي يقدمه لنا ميكالانجلو هو عري مقدس، عري يجعل الجسد صوفيا وينجبه من المحسوس إلى المسموع، فما نحن نرى المواقع الدامية في جسد المسيح، وما هو ينظر إلى العصاة، والخاصعين ويكشف لكليهما عن وعد الحساب، الرباني، وهنا يقول لوت مكاشة في كتابه القيم عن عصر النهضة كان أثر هذه اللوحة في نفس الأبياء شديدا، فما كاد يلقى عليها أول نظرة حتى جمعت قواه أمام المشهد المدهل وانخرط في الصلاة سودا، «ربنا لا تؤاخذنا بما ارتكبنا من آثام ساعة العرض عليك يوم الحساب».

وبرغم ذلك المغيض الروحي في جدارية ميكالانجلو إلا أن «الصورة» التي تجلى فيها السيد المسيح وهو في ذلك العري الذي يمثل الباكورة البدائية في القضاء المصاعب، جرححت عديدا من الناس يومئذ. لقد جلبت الصورة ذلك الخوف الحارף حيال المقدس كجوه. خوف مشقوق إلى ثلاثة أصناف:

مجلة «الوقائع، الحكومية، تلزم الموظف العمومي بوضع صورة الحاكم فوق رأسه وإلا اعتبر متمردا على النظام، واستحق عقوبة تبدأ من التوبيخ وقد تنتهي بالتعصية.

الخوف من الصورة

إن الصورة هي «محسوس» يتعامل مع الكون، ثم هي تتقذف من مصادر طلاقة هي بحكم طبيعة الواقع أقل خضوعا للمرافعة. فالإبداع كونه «متخيلا، يملك في صميم بنيانه قوة تشهيرية تجعله أكثر «الخيالات، خروا للحواجز.

إن الصورة هي «العلامة» التي تراهها حجة ويرهاها على وجودنا وثمة من يرون في الصورة برسمها مجرد بهجة تكميلية للبيوت وساكنيها. ولكنهم سوف يصدرونها في النهاية بالحقبة، هذه الحقيقة التي تشي بتشييد الموجودات في

إن هذه الأليات نفسها قامت بدورها نكل تقنيات التجميل اللازمة لتمثيل صفات ذات طابع لا هوتي على صورة الحاكم. فهو قوي، ذو عين ذكية فغاده، متوسط العمر دائما حتى يكون رهيبا يبعث في طول، ويبدو بشكل عام شخصية صالحة لقيادة شعبه. سوف يتذكر الموظف العمومي دائما أن صورة الحاكم تأخذ وضعة فوق رأسه، وعلى ارتفاع محسوب بواسطة مختصين سيكولوجيين، وسوسولوجيين يهرقون ضامعا ممكن الإيحاء، ومناطق التبديل والإحلال هي الملح البشري. ذلك أن الصورة هي تجسيد تعليمات لا سبيل إلى التصرف عليها، مادام أن استمرار الصورة على هذا النحو سوف يكون كميلا بتكثيف الحزون المكون لدى الأفراد الذين يشكلون خلايا المجتمع المدني، بما في ذلك أفراد وجماعات النظم العسكرية في الجيش وفي الأمن العام.

إن الفوائح والقوانين التي تنشرها

القرن الرابع الميلادي، صورة، ينبغي أن يراها الناس أينما حلوا، بل إن الغلاة في عهده كانوا قد وجدوا الفرصة متاحة لتفاح الحاكم فجعلوا صورة إلى جانب صورة السيد المسيح، ثم بعرو الوقت أراحوا صورة السيد المسيح - تحت درجعة إسماعيل عبادة الصورة ذاتها - ووصفوا صورة قسطنطين مكانها. وهكذا أثقلت ثرات الجنس البشري المخزن في صورة السيد المسيح، إلى صورة قسطنطين فصار بذلك حاكما. وحاكما في وقت واحد.

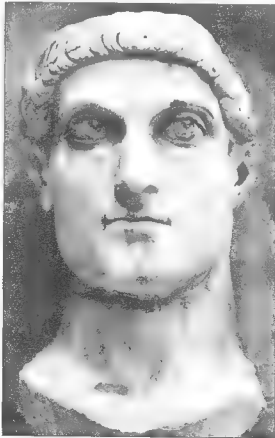
ولنتأمل ذلك التراث الذي يعمل على تأسيس فكرة الأهمية لدى الضمير العام عند مجموع المثليين، وبالتالي رهاض السيطرة والهيمنة التي تتطلبها الشروط الزمنية لتماثل الكون في عقيدة الناس، وكقرين لسلطة الحاكم المأله. إن الصورة رهينة بوظيفة الإراحة والتشويق معا، ولذلك فقد طهرت التماثلين لوضع صورة الحاكم أينما ارحل الناس من الكنيسة وحتى الميادين والحواط الخارجية في الشوارع، وفي المكاتب البلدية، وداخل بيوت السكان ذاتها ابتداء من بدايات القرن الرابع، ثم انقل ذلك التراث ليصير سلوا معا ترا به في نظم الحكم عامة، كما لو أنه جزء من الطبيعة ذاتها. ذلك أن الصورة - بخلاف جميع أنواع الميديا - هي المؤلفة لتجسيد الصورة في العقل.

فلنتأمل إذن ذلك التراث «الحاكمي» الذي يعمل على تأسيس وتكريس فكرة تأليه الحاكم لدى الصمير العام في مختلف جماعات الجنس البشري. وبالتالي ضمان الهيمنة والسيطرة التمتين لتتطلبهما الشروط الزمنية لكل حقبة في التاريخ على جماعات معينة، منذ محسوس القبيلة، عصورا المديكتاتورات الأيديولوجية، والنظم الليبرالية، وحتى الدولة المدنية التي تسمى نفسها بالديموقراطيات الليبرالية.

إن أي ملك أو رئيس يتم وضع صورته في حجرات جميع المكاتب الحكومية كبرها وصغيرها، أي من البلديات الصغيرة وحتى مقر مكتب رئيس الوزراء إن المقصود بذلك هو ممارسة فعل التقديس للحاكم، أي «الخطوة» والطاعة، أي «الامتثال».

إن الأليات الجهنمية عملت كل ما في وسعها ليس فقط لوصفية الصورة وتمجيدها - باعتبارها معادلا للجسد الحاكم - وإنما في التعاليم أيضا التي اشترطت مكانا يعينه على الحائط وفوق رأس الموظف العمومي مباشرة، بل

نمثال يمثل وجه قسطنطين أوائل القرن الرابع الميلادي (رام) غنثال قوة «الصورة» لسلطة القاهرة في عهده «إسماعيل» ٢٠٠٠





الآليات الجهنمية عملت كل ما في وسعها ليس فقط لتوضعية الصورة وتمجيدها - باعتبارها معادلاً لجسد الحاكم - وإنما هي التعاليم أيضاً التي اشترطت مكاناً بعينه على الحائط وفوق رأس الموظف العمومي مباشرة

من يحمل بعفري الخطاب المبلون على مثل ماجرى في معزى الصورة ومعناها ؟ إن ما نرعى إليه هنا هو « الصورة ». يعنى قدرة هذه الصورة على اختراق الحاجر، والزمن والكواسى هي ضمير الجنس البشرى. قدرة هذه الصورة على أن تحتل مرتبة تماثل المرتبة اللاهوتية، بحيث تتجسد للمشاهد من خلال الإيفوسوغرافيا المشرمنة فيها (Iconography) فتصير بذلك رمزاً معسوداً في ذاتها ولذاتها نظراً لرسوخ الإملات التصويرية فيها

تم لتذكر نموذجين هامين آخرين أحدهما في مجموعة الرسوم الطباعية على الزئجك « التشنج » التي أجزعها فرانسيسكو جويلا^(١) (١٧٤١-١٨١٣)، يعلن جويلا من خلالها احتجاجه ضد الظلم الاجتماعي.

المبتدل يومند لويس الثالث عشر ١٦٤٣ ١٧١٥، ومن حسن المصادفات إن نُسجاً لهاتين اللوحتين قد تم تهريبها كال لويس الثالث عشر قد أدرك أن الصورة يمكن أن تعمل على جرح الأخلاق، أو بالأصح على إعادة صياغة الوعي لدى الكافة، وهو حال قد يفسد سطوة الملك، وصورته العالية لدى الشعب.

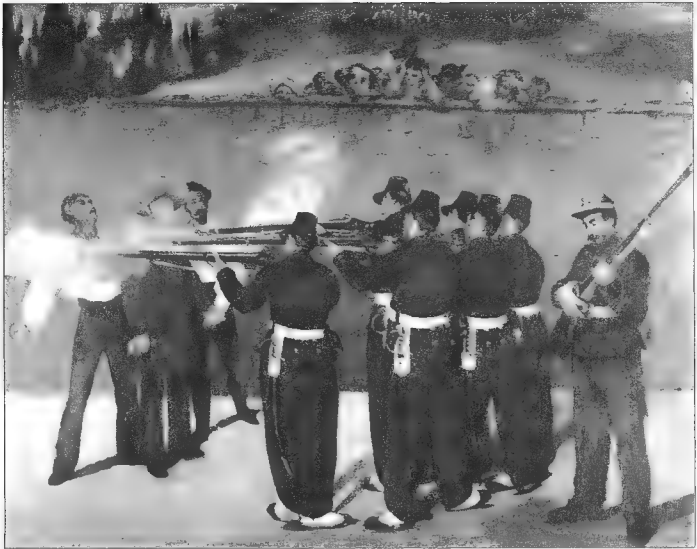
وكانت ليدا وطانير البجيج عند ليوناردو موحية، وربما أيضاً موحية. فهذه ليدا تسك بطريفة ذات معزى برقة الطائر وترفعه ليلسها في دماغها - وأما لوحة ميكالانجلو فقد بدا طائر الحب الذي هو « زئوس » يشارك الحب مع ليدا، ويضعها بينا حيه القويين محاولاً الانحداد بجسدها. هل لو كان ذلك مكتوباً ومدوناً على الورق. أكان هناك

بجريمته الشنعاء نظراً لرسوخه وجسارته في مواجهة أحد أهم معالم تاريخ الفن، وهي جدارية يوم الحساب.

ثم لتذكر، ليدا وطانير البجيج، التي أجزعها كل من ليوناردو دافينشي، وميكالانجلو، في زمانين متباعدين، وهما عملاً يميضان بإبداع مكين، حيث يروى التاريخ أسطورة « زئوس »، الذي نسيخ نفسه في صورة طائر البجيج حتى يتبادل الحب مع معشوقته ليدا بعيداً عن عيني زوجها وهما الصعلان اللذان واجها مصوراً أشد بأساً مما أصاب جدارية « يوم الحساب »، لقد نقلت اللوحات إلى إريارس حيث تم تدميرهما تماماً على يد مليكها

أحدهما أن السيد المسيح ينبغي أن يجل عن العرى البشرى في المخزون اليقيني لدى الكافة، وثانيها أن السيد المسيح لا ينبغي أن يكون هو ذلك الجسد الذي نعرفه كشرط في الحالة البشرية، وثالثهما أن الصورة قد نُصت المكون في العقل، ثم قد تزيح هذا المكون صورة أخرى، الأمر الذي لا ينبغي أن يصيب الرصيد الإيماني لمكونات العقل المسيحي.

وهكذا قام لتلميذ ميكالانجلو، « دانييل » داخل تيرا، برسم الشياخ فوق جسد السيد المسيح حتى يتعطل بث الصورة في العقل، وحتى تستحيل إلى علاقة كمية تصناف للمخزون الكمي في العقل. ومع ذلك فإن التاريخ لم يرحم « دافورتييرا » تلميذ ميكالانجلو فقد أطلقوا عليه وصف « الخياط » للتشديد



فرانيسكو دي خويلا ٢ مايو (١٨٠٨/١٨١١) - عظام الثوار - زيت على قوالب ٢١٠x٢٨٠سم، متحف الجرادو، مدريد

الصورة

من ملاقاته الآخر، ولم يبايهاوا لأثر الصورة، ولا لأطوارها في إدراك العقل، وصاروا بذلك الأيدي الأثمة لجلادهم أينما حلوا.

والخوف ذاته في الرسوم الدنماركية.

مع كل ذلك فإن معارضي الفن تمتع يومية ولا يزيروها أحد. لقد اكتفى الناس بعصر الصورة عصر النقاشة المبرمجة والأقراص للسمجة - وأعطوا ظهورهم لعصر الخطاب الصنمى - أي عصر القدس، ولعصر الطبيعة. يتماهى في ذلك أساتذة الجامعات وعمدواؤها وعلمائها ومتصفوها، وشعراؤها، وفلاسفتها وقلامتهم، بما في ذلك أملايف الناس جميعاً - وكان هذا الفن ملعو إلا نبته شيطانية مضادة دون إرادة أو رغبة من أو إلى الطبيعة ذاتها.

التمدد السابع والثمانون - أبريل ٢٠٠٦ م

ثمة ولا شك رعباً أخذ يربس العبد لدى «الطائيين»، رعب أخذ يهر من عقيدتهم هزاً. فإن التماثيل، البودية، قد استحاتت صورة مجسدة، لأيقونة التاريخ - صورة قد تعمل على إزاحة أطوار الهيمنة، ومن ثم إعتاق الناس من الماضي الحاكم - هذه الهيمنة التي كانت المرأة وهي تحت فمسانها، قد اعتبروها مع جيز وجودها عورة على الأرض، وقاسوا بدفقتها حبة في دهاليل، أطلقوا عليها «الحجاب الإسلامي».

فليس من استعاضوا أو يبدل سوى التحطيم والتسوية بالأرض. ولو كان الترسيعيون يريون بنا شراً هليس إذن أضر مما فعل الطائيين بإسلامنا - هؤلاء وأماثلهم في مختلف بقاع الأرض حاربوا التماثيل والصوور من شدة الخوف على العقيدة، ولهشاش في اليقين والتناسى، ومن فرط هوانهم

هل كانت وصية بطرسيرك، الضمطنطية في القرن الثامن الميلادي وثيقة تمتح الحركة لمخسرية أم تمتح اللعنة، حين قال: (الرؤية أوثق للإيمان من السمع) فاعتبروه وقد ارتكب كبائر الحق في دينه وإيمانه، وعقدوا معهم عام ٧٥٢ حيث انتهى بالصاق نهمة الجهل بالبطريك العظيم، وذلك (لعيته بالمقدسات)، ول (تصويره مالا يجوز تصويره مما مكانه القلب).

وتأخذ نموذجاً ثالثاً فيما رأيناه من حال «الطائيين»، وكيف راحوا يحطمون التماثيل البرونية التي شهدت القرن الأول قبل ميلاد السيد المسيح، حتى أنهم سواو المتفجرات أملاً أن لا يزلها برمتها من فوق سطح الأرض.

وصد أساليب الامتهال البشري - ثم لتذكر لوحته الشهير ريس اللتين يندد فيهما بالاحتلال الفرنسي، وقد أطلق على أولهما «الثاني من مايو»، وعلى ثانيهما «الثالث من مايو»، ثم كيف طورت أعماله الطباعية أينما استقرت وأينما رحلت، ثم كيف ظلت تلك الأعمال حبيسة الجدران لأربع حقبة كاملة بعد وفاته إلى أن أخرج عنها.

كانت السلطات بمختلف أشكالها تخاف الصورة.

وهي تخافها على نفس القدر الذي كان يتحسّر من فيض «الجورنيك» ليبيكاسو (إذ كان بيكاسو^(٧) في تلك الصورة المعلقة يلقى بيانه على العقل العالي مندباً بالتشعير وبالجريرة، وكانت الصورة أخته في تحت المكون القمري في عتق الممتلئين بعد أن كتبت الخاف ص معنى الدبح، وعن معنى صراخ التالم.

كتاب الزاوية

الحب العذري عند العرب

ليلة مع بيثنة

رصد جميل بيثنة ذات ليلة، حتى إذا صادف منها حلوة تنكر ودنا منها، وذلك في ليلة ظلماء ذات غيم ورعد وريح، فحذقها بحمصا فأصابته بعض صواحبها ففزعت صاحبها وقالت: والله ما حدثني في هذا الوقت بحمصا إلا الجن فقالت لها بيثنة وقد فطنت: إن جميلاً فعل ذلك، فانصره في يا اختي إلى خيالك حتى ننام، فانصرته، وبقيت مع بيثنة المجوز أم منظور وابنة خالتها أم الجيسر، فقامت معها إلى جمل، فادخلته الخباء، وكان زوجها غائبا، فدخل وتحدثا طويلاً حتى أخضعها النوم.

وجاء غلام زوجها بصبح من اللين، فقرأها نائمة وبالقرب منها جميل، فمضى لوجهه يغبر أهلها ولقيته اختها ليلى والصبح معه، وقد عرفت خبر جميل وبيثنة، فجات الجارية فتبتهما، فلما تبينت بيثنة الصبح قد أضاء والناس منتشرون ارتاعت، وقالت: يا جميل نفسك نفسك قد جاء غلام زوجي بصبح من اللين قرأنا نائمين، فقام ودعها وهو يبيكي قائلاً:

ألا أيها البيت الذي حبل دونه

بنا أنت من بيت وأهلك من أهل

ثلاثة أبيات فبييت أحبه

وبييتان ليما من هواي ولا شكلي

كللنا بكى أو كاد يبكى صباية

إلى إلفه واستعجلت عبرة قبلي

خليلي فيما عشتما هل رايتما

قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي

الأنباء وتصوص الخطاب تبعاً فوق الكوكب بسرعة الضوء.

لماذا لم تحركنا الكلمة ولماذا الصورة التي التي حركتنا. أليس لأن هناك هزلاً في الآليات البالية للاعتقاد. الآليات المترسنة في قنبيهم، وتقديم التمرن في الترجيعات الأولية.

ألم يحن الوقت لنبدأ التأويل الحق؟ ألم يحن الوقت لكي تنحدر من الوقوف على الحافة بين الأيقوني والحماسي، فتمحلل «الوفاة» المزود بكاميرا الفيديو، والبث الإذاعي، والتلفزيون الإلكتروني، بينما ترتدي ملابس الصحراء في الغارات الجبلية، وتخرط في خطاب اليأس؟

هوامش:

(١) راجع كتاب «كلمة الموتى» الصادر من دار الهلال عام ١٩٨٩ مترجمة عن الباحث الأمريكي ميشال كريتشن من مطبوعة الرحالة العراقي أحمد بن فضلان التي دونها خلال رحلته إلى دول الشمال وبين قبائل الفينكيغ (المنكوكيين والسويديين والتورينجيين) عام ٩٢١ ميلادية بتكليف من الخليفة العباسي المستنصر وقد ترجمها عن الإنجليزية تيسير كامل - وفيها يقرو ابن فضلان - عن ترجمة كريتشن، قوله بالنص من صفحة ٣٠ مشيرة لقتيل الشمال هذه (بهم أفر خلق الله، فهم لا يتظنون أنفسهم بعد النعاب إلى المرحاض ولا يسلون أنفسهم بعد الجناية أكثر مما تفعل الخمر الشاردة ...) وروايل ابن فضلان قوله من خلال ترجمة كريتشن في كل صباح تأتي جارية وتحضر معها طفث من لاء نضجه أمام سيدها، ويبدأ السيد يقبل وجهه ويديه ثم شعره ويصمها يتطاف لفة ثم يقبض في العنق - وعندما ينتهي تحمل الفتلة الطشت إلى الرجل الذي يليه والذي يقوم بنفس العمل، وهكذا تستمر بتقل الطشت من رجل إلى آخر حتى يكون كل من في البيت قد مضط وبقط في الطشت وعسل وجهه وشعره).

(٢) أنجيزم كوي ديويو ١٧٩٢ / ١٨٢٨ أنجز مجموعة الطباعة على الزنك (الفتح) سنة ١٧٩٩ وأنجز لوحته الثانية في مايو ١٨٠٠ من مايو من مائة الإعدام سنة ١٨٠٨. ١٨١٠ على التوالي، وهي اللوحات التي تائر بها «ماتيه» تألوا وأضما عندما ألع صياغة اللوحين المشار إليهما يورشته.

(٣) بابلويكسكو ١٨٨١ / ١٧٧٣ أنجز بيكاسو لوحة الجوركيك احتجاجاً على الحرب الأهلية الأسبانية سنة ١٩٣٧، وهي تتكثف مدى العنوة البشرية التي يمارسها اأرثار السلطبة على المدنيين. أما هذه الجوركيك فهو مدينة مسحت من فوق الأرض تحمل نفس الاسم في اسبانيا، ومن ثم جاء اسمها الذي يوركي في نفس الوقت كلمة «الحرب».

ويرغم عصر الشاشة، هذا، ويرغم الميديا التي تخترق الحواجز والعلل- فإن رسماً هزياً نشرته صحيفة مجهولة في بلاد «الفايكنج» (١) الأوائل بالدمنمارك، حركت واحدة من أكبر العقائد فوق الكرة الأرضية على أنه ليس موضع اعتبارنا في بحثنا هذا أن نقد الصواب من الخطأ أو العكس.

وإنما مركز اهتمامنا هو «الصورة» والناس الذين تقع عيونهم على الصورة، والأثر الذي سوف تقوم الصورة بطبعه في الدماغ، والزمن الذي سوف يتتبع من زمن الصورة، قبل أن تنشأ الكلمة التي تتخذ على المترك المسور.

ولنسا لنفسنا، ما الذي جرى؟ لماذا ضيقت الملايين في أصقاع الأرض وقد جرحتها الآلام مما رأته في بعض الرسوم الهزلية ضد الرسول الكريم. لماذا هي «الصورة»، ولماذا الكلمة لماذا حين نندد «فولتير» بالرسول الكريم في القرن الثامن عشر تنديباً مهيناً بحال المسلمين وإسلامهم تركنا الأمر ودل بالزل.

هل لم يكن هنالك يومين مملون على مثل أولئك الذين حركتهم الآلام اليوم؟

فلو قلنا أن ذلك جرى في القرن الثامن عشر حيث كانت الميديا عاجزة والتكنولوجيا المتقدمة في علم الفسيه فضلاً على الهيمنة الاستعمارية التي كانت تنصص الدماء والشرقة وتجعل الناس يمارسون حياتهم بحقوق الحيوان وحدها.

لو كان الأمر كذلك، فلماذا سكنت الناس حين تم التنديد بالعقيدة الإسلامية وأقران الكريم مؤخرًا في مقالات البعض في الغرب، وشروعهم حول الإسلام، حتى أن بعضهم اعتدى على شخصات من أقران الكريم على نحو رخيص، فلما زاد الكيل أخذ كثير من الناس يصاورهم الشك في مخزى وجوه الحضارة الغربية ذاته، وعما إذا كانت الحضارة في طور من أطوار التاريخ، أم أنها ردة فعل مشوية بصمغة العرب.

جرى ذلك لعدة مرات في الأعوام الأخيرة، ونشرت الصحف أخبار ما جرى للقران الكريم وكأنها من بين أخبار الحوادث «المتعة» والفرقة المصطنع. ولكن لماذا لم يثر أحد؟ مع أن الميديا وفي في عصب أجبيها كانت تطير

القديم جديداً..!

مايكل فرانيسيس جيبسون

تقاليد الزمن القديم ولحداثة الخصتت بها سنوات الأربعينات والخمسينات، وهي السنوات التي بدأ فيها بشق طريقه الفني الخاص.

مع ذلك لم يكن لأي واحد من هذين التأثيرين الهائلين أن يقوده إلى إنتاج أعمال متفرعة:

«الم أكن أجهل ما كان يحدث خارجاً في العالم»، كان يقول لي في وقت غير بعيد، «وكان هذا يعطيني نوعاً من الحرية». لكنني في الوقت ذاته كنت أحسب بأن ذلك لا يعينني في صورة تفوق الحد. كنت أقيس كل ما أراه على ضوء النحت المصري القديم الذي كان قد أصبح بمثابة حجر الزاوية لحكمي على الأشياء. ولذا لم أصره قط بأنني مستعجب حقاً إلى السريالية أو إلى التكعبية أو أي حركة أخرى.

بدايات صغيرة

إن أفضل منفذ إلى نشأته هناك يكمن، بحسب اعتقادي، في مقارنته بميكانيكي أن أضفها بأنها التروبولوجية (إنسانية). فكل عمل دي اثر ما إما هو، بطريقة أم بأخرى، جواب على السؤال الوجودي، أي على السؤال الذي يطرحه الوجود على كل فرد «ماذا أتيت فعلها هنا؟»، والذي يمكن اعتبار كل حياة إنسانية وجملة إنتاجها بمثابة جواب عليه. كل محاولة للإجابة على هذا السؤال ستكون، لا محالة، من منبع الخيال الذي يتيح لكل شخص أن يتوصل إلى بقدر ما أن البشر لا يصيرون إنسانيين بالفعل إلا لدى تشيئهم بهذا السؤال. «فالبشر يتأمنسون حين يرتفعون إلى مستوى الخيال، بحسب العادة التي صاغها بيار لوجنر.

إن تناول العمل الفني بوصفه جواباً خيالياً (وإبداعياً بالتالي) على السؤال الوجودي يسمح لنا بمعانلة الطريقة التي بموجبها

أقيم منذ أسابيع، ومصدر في نفس الوقت، معرض وكتاب يحكيان سيرة وتجربة فنان مصري، أكاد أن أغامر وأعتبره واحداً من طارقي باب النهضة، مثل النحات المصري محمود مختار.. والمصور المصري محمود سعيد، فهذه نوعية نادرة من الفنانين يسبغون حاملين مشروعاتهم النهضوية.. عيونهم تنظر إلى الأمام.. إلى المستقبل.. إلى الحديث، ولهم عيون أخرى تنظر في نفس الوقت إلى الخلف.. إلى التاريخ.. إلى الميراث.. إلى الأصل.. وهذه زيارة قصيرة إلى المعرض والكتاب.

حلمى التوفى

الإشارة إليها منذ الآن، لأن هذه التجربة لم تكشف له فحسب عن فن النحت، بل كشفت له كذلك عن بضعة أعمال رفيعة المستوى في هذا الضمار الفني، حتى أنها حثته على محاولة القيام بذلك على الفور بدون أن يتصور بأن هذا سيكون مدار حياته. بعد انقضاء عشر سنوات، وعندما كان يرلد مكتبة أكاديمية الفنون الجميلة في القاهرة، أتيت له الفرصة للإطلاع على عدة مجلات فنية جعلته يكتشف أعمال كبار النحاتين العربيين المعاصرين. قسطنطين برانكويز، هنري مور، أرستيد مايول، شارل ديبو، ماريون مارييتي، أرتورو ماريتيني وآخرون. وبفضل هؤلاء الفنانين ألم بالجواهر الفني للتمتع في لغته الحديثة التي تشكلت من مزيج لا معاملة.

يمكننا إذا أن نؤكد بأن عمل حنين النحتي يحمل البصمة المزدوجة لأرقى

||| مبعدا همت كتابة هذا الكتاب، وصعد فوق مكتبي صورة فوتوغرافية لأدم حنين ووجهه صاف. ثمة صور أخرى (التقطها كلها مسبقها ذليل بطرس)، تكشف عن ملامح متنوعة لشخصية الفنان (فكاهته مثلاً، أو طريقته في العمل على الجص أو الحجر) على أن الصورة المذكورة هذه (لناخوذة في إيطاليا في عام ١٩٨٩) يبدو لي أنها تجملني أفكر بطريقة لا تقاوم بتلك الصور الموجودة بكثرة في منحف الآثار المصرية القديمة في القاهرة (وفي متاحف أخرى كثيرة في العالم)، وهي تمثل رجلاً وامراً واقفين جنباً إلى جنب، في هيئة ثابتة ومستقيمة أو يخطون خطوة ثابتة للمثل أمام الألة.

في هذه الصورة يظهر آدم، بعينه السوداوين الكبيرتين، الضامتين والمتسانلتين، وهو ينظر مباشرة إلى عدسة التصوير. يبدو جدياً هنا، يكاد يكون احتمالاً (رجل متحفظ، ذو هيئة متواضعة وذو كرامة جذابة). أما زوجته، فهي تبدي حركة تراجعي إلى الخلف، وتدير رأسها بعض الشيء، وتتم عن الاحتفاظ بقدر من الفتنة المتبقطة، فيما تحقق في الشخص الناظر إليها.

هذه المقارنة مع النحوتات الموجودة في المنحف لا ينبغي لها أن تشاءع أحدنا بالفعل. لأن آدم حنين هو بالذات الابن الأصل لبنة الأهرامات ولأوائل بحاتي صور الأله والملك. على أن مثل هذا النسب لا يعني شيئاً كثيراً لو لم يكن أنه يقدم علامات البنية الجمالية والروحية.

سأعود لاحقاً إلى هذه المسألة، وحيداً لا تصبح متابعيتها لغرض

من كتاب:

أدم حنين

إعداد: منى خزندار

المصرية ودار الشروق

٢٤٢ صفحة من القطع الكبير. ٢٠٠٦

وجهاً نطرس ٥٠



أدم حنين وعصاف السديب



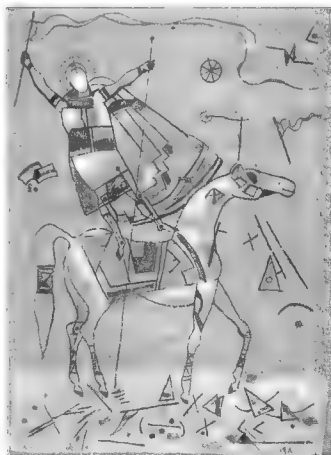
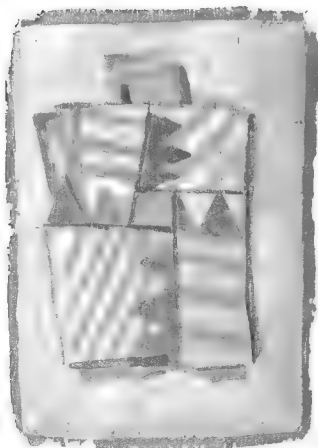
مرتكزها تتألف من قطعة واحدة، وهنا يروح المرء يفكر من بعد، وزرعاً عنه، بمنحوتات معينة تعود إلى مصر القديمة، أي الشكل الفني الأول الذي قيض لحنين أن يراه في طفولته. فهي هنا، نجد مرة أخرى نوعاً من الفكاهة الناعمة والرهفة يتبدى في سلوك الشخصيات الثلاث، فنحن نرى الأب، وهو أكبر حجماً، وطفله، والابن، وهما ذوا قاماة أصغر حجماً ولكن غير متساوية، جالسين جنباً إلى جنب باحتفالية صارمة، ذقونهم منتصبين باعتراز، واكتافهم عريضة بطرفهم مغالبية بعض الشبي، وظهورهم مقوسة وذلك استجابة منهم لمطالبات الكرامة الدينية التي تسكنهم. العلاقة بين الثلاثة تلمن عن الرهافة، وتنسفر بطرق مختلفة، وإننا نترك هذا للقرارة.

في الأعمال الثلاثة المذكورة، ثمة اقتصاد شكلي واستثنائي يرجع الخطأ لفة معينة وتواطؤ ضمني بين الفنان والمقر، وهو تواطؤ يجبر الاعتقاد بأنه يحيل إلى العهد الأولى الطفولة حيث يروي المرء سيرته مباشرة لكل شخص يلتقي به، سواء أكان مائلاً أم كائناً مظلوماً. من الصحيح أن هناك خاصية فريدة متعلقة بالطفولة تثلل من معظم الأخان في عمل حنين، ولا يمت هذا بأي صلة لا مع الفعوية البسيطة (أو المثرة للرجل)، ولا مع البراءة القليلة المهارة لمعلم سريع الغريشة، ولا حتى مع أي فضيلة أخرى ننسبها، بدون كبير تفكير، إلى الطفولة على وجه العموم، ذلك أن الأطفال، وبالرغم من وجود استمدادات قهوزية بالتأكيديهم، فيصحبون لا تصميم لا هودة فيه لتعشرون على صورتهم، وعلى مبرهمهم وينتهج بالذات، على أن هناك ملمحاً معيناً للطفولة يظهر ويثقل على عمل حنين، الحاجة إلى مظاهر عدد من المسائل الفارقة الأهمية من خلال عمل خيالي رائق الصياغة. هذه الخاصية البسيطة واللازمية في المظاهر والتي تقع عليها أحياناً في نتاجه، تكشف عن مقاربة مباشرة للبعوض (تقوسها وتبدوها) ما بعد صنعة الفنان، ويضلل هذه المقاربة يروح لكل لقاء يعقد وفق النمط الجمالي بصدر دأماً عن رشحة غريبة، وعن افتتان

هذه الأعمال تجتمع سويًا معالم حرفة، عرفة، وحكمة لا ادعاء فيها، وخليط لثيد من الرصانة الغنائية والندابة الماكرة، ونحن نجدها، مثلاً، في منحوتة صغيرة من البرونز تثلل أباً وطفله، الابن، جالسين بطريقة مستقيمة جداً على قامة مستطيلة (مصورة ص ٦٦). إن البساطة القاضرة والمستوى المتواضع للأعمال الثلاثة تدعون إلى تقديم تفسير وشرح. الرسم الأول، الملون جرى تصويره بدون شك كعمل تحريري، علماً بأنه يعكس كذلك أن يمثل كتابين اثنين موضوعين فوق طاولته، وأياً يكن الأمر، فإن هذا الرسم مما يمتاز الانطباع بعفوية ويومع من السكونية الميتافيزيقية. ويشمل الرسم الثاني ثلاثة مصاصير سواه والسرا على خلفية زرقاء. قطع ورق الأمراء الصغيرة التي رسم عليها هذان العلمان تبدو متحركة بعض الشيء عند اطرافها، مما يعزز الانطباع بعفويتها إلى زمن قديم. على أن هذا الانطباع يتأتى خصوصاً من الطابع اللازمي للصبغة نفسها (لا جديد في الأمر، يؤكد آدم حنين: «لا ليس هناك زمن في الفن»)، ومن البساطة الفارقة للرسم الأول، ومن المعاني المتأسسة وغير المجردة من الدعاية التي يمنحها الفنان للعصاير في الرسم الثاني، وفي كلا العلمان ثمة استحضار للجوهري اللازمي للفن التشكيلي بحيث يتبدى أمام أنظارنا في براءة وحكمة القصة بالتواضع المنحوتة الصغيرة في أبعاد ذات شكل بسيط. فالشخصيات مع

حجماً بينهما، مع الرسومات السحيقة القدم العائدة إلى أزمنة غابرة، إلى حد أنه يمكن لبعضها أن يظهر وكأنه أجزاء من رسومات جدانية قديمة. هذا الانطباع ليس جديداً بالنسبة إلى (فانا) أتابع عمله بعناية منذ عقود من السنين) على أن يظل يفاجئني. إذا كنا نلصق على معرفة السبب الموصى لهذا الانطباع، فإنه من الممكن أن يكون الأمر عائداً بدون شك، جزئياً على الأقل، إلى ورق البردي الذي أخذ يستخدمه الفنان في صورة حصريّة منذ فترة معينة. فالساحة المحيطة (ذات الحيوي) للمادة يمكنها بالطبع أن تجعلنا نفكر في الجدانية. كما هي الحال مع الألوان الحارة المتأثية من الأصطفة الطبيعية المخلوطة مع الصمغ العربي (مع الاشتباه بإضافة الكلس، يقول الفنان) التي استخدمها عدد لا يحصى من الفنانين على مر العصور. على أن الاعتماد على مثل هذه الأسباب ذات الطابع المحسوس ببساطة لا يهدهد للإحاطة وكتيابة نوعية العمل. ففي أيامنا هذه، ثمة بالفعل كمية مهمة من الرسم الفني المخصص للمعماري وهي أيضاً مصورة على ورق البردي في مصر... وعليه فإن الأسباب الأشد قوة وحسماً يدفعني أن تكون غير مادية ويغنيها بالتالي البحث عنها في الشخصية الفنية الاستثنائية لحنين وكذلك، بطريقة الحال، في الشخصية الحميمية التي تسمح للشخصية الأولى (الفنية) بالوجود. يخاضرون الشعور ذاته أيضاً أمام منحوتات حنين الأصغر حجماً. ففي

يعقد هذا العمل أو ذاك الصلة بين المبع وبين الواقع المثلج الذي يواجهه (كما في حال كل واحد منا)، والتي تشتمل على سائر وجود حياة معينها. الأصول، النصب، الحب، اللوعة، الحضور والانفصال، الألم، الحزن والموت. كل عمل فني جدير بهذه الصفة يستحق أن يكون تأسوله على هذا المستوى ومثل هذه المقاربة جديرة كذلك بأن تعمينا من الأسئلة الخارجة عن الموضوع. بما في ذلك، على سبيل المثال، معرفة (إن كان الفنان) ونشأه هنا (أو كانا في المسابق) على الموضة، مهبان، ثقته حيان، رجسبان، عربالبيان، وصفة أثنية، وهم جراً، ذلك أن الموالا الوحيد المتأشب يبقى السؤال التالي: هل يتوجه حقاً إلى المسألة، مخاطباً نفسه بنفسه، كما يجدر به أن يفعل؟ لقد صوّاد من حنين ولحت، طاول حياته كلها، عبداً من القطع الكبيرة سيمية (ويضها كبير جداً) على أدنى أدنى أبدا بتقديم بضع قطع من بين الأصغر حجماً والأكثر حميمية. كنت قد أتيت لزيارة حنين في ربيع سنة ٢٠٠٤، قبل أن يحل الصيف ويفجر مصر بقطعة البيت الجميل المصنوع من الطين والذي كان شديد له رمسيس ويصا واصف في سنوات الخمسينيات والحرف الفني منذ وقت أقرب بكثير، كان يقعد جنباً إلى جنب على تخوم حي الحراسية وهو حي كان يعشقر في لسابق مثالي في محيط مدينية القاهرة وكان ما يزال حتى وقت قريب يتبع للناظر في من وراء الحديقة، أن يليح الهندسة اللازمية للأهرامات وهي ترمز بوصفها أفق شروب الشمس هناك داخل محترف عال بعض الشيء، وهما كئنا تنصّص رومة من الأعمال. الحراسية على ورق البردي (لم تكن موضوعة في إطار) والتي كان قد صنعها ذو حل قطعة أشد أكيرة ذات جوارير داخل العمق، اكتشفت عدداً لا بأس به من الرسومات الصغيرة جداً وصنعها على حدة لإعادة تقديمها في هذا الكتاب. أثناء معابيتي اليوم لنسخة مصورة لوحدة منها، شمرت حمداً بالدول أمام السلطة التي تشترك فيها أعمال حنين، بما في ذلك الأعمال الأصغر





أشياء أساسية : بالواقع الوجودي للزمن، يتتابع الأجيال، بضروة الولادة والموت، يقصر مدة وجودنا وغناها، بوجود أن لنقل ونحصر على إدامة أشياء أو بالأحرى بأن نذكر بالحاجة إلى ذلك، وعلى النحو هذا كانت أعمالهم، الفارقة الأب، تطالب بالرغم من كل هذا بالاعتراض (المتعلق بمزايهم المعتبرة حاملة للتجديد) وتطالب، فوق هذا، بنوع من النسب راح مؤرغو الفن يتمحوه أياهم بلطف، على طريقة الأنساب التوراتية: وإرول أوجد فلاناً، وفلان وأد فلاناً آخر وهذا وأد بدوره فلاناً ثالثاً.

في مقدور حنين، بالاستناد إلى شعوره بالتواصل اللازمي للفن، أن يؤكد بصفاء بال بأنه «ليس هناك أي جديد، وبأنه «ليس هناك زمن في الفن، وهو يقول هذا علماً بأن نتاجه يحمل بالفعل، وفي معنى ما، صفة الجديد، على أنه من الجائز أيضاً الحديث بأن نتاجه يمثل مشاركة فنان مبدع، من بين مبدعين آخرين، في هذا الحوار المتصل واللازمي الذي تتخلله المحادثة المقدسة للفن، وهي محادثة تشمل كل الأجيال وكل الحقب، وهذا ما يجعله قادراً على أن ينسب لنفسه البوارب التالية :

... أن اكسو بالجديد الكلمات القديمة، تلك هي موهبتي الفضي الذي قبل :

وعلى غرار ما هي الشمس شامخة، جديدة وقديمة كل يوم، فساود عشتاق قول ما كان قد قيل من قبل. ■

أشعر بهذه الحاجة، وعلى النحو هذا توصلت إلى تنفيذ عملي التحسني الأول. بعد مرور بضعة أيام وضع الولد في جيبه قطعة من الطين الصلصالي كان قد التقطها في محترف الفرسة، ولدى عودته إلى البيت، شرع في إعداد صورة (بورتريه) لأخواتنا ناسخاً صورة تسمال موجودة أيضاً في كتابه المتعلق بالتاريخ، فقولبه ولونه ثم عرضه على أبيه الذي كان يعمل مناسخاً في القاهرة القديمة وسر الأب بالعمل سروراً كبيراً، فوضعه في واجهة محله وزاح يظهره للزائرين القادمين لثيادل الأحاديث وهم يشربون فنجان شاي. ■

يقودنا هذا إلى مسألة البنية أو النمب. إذ يبدو أن شعور الفتى آدم بوجود صلة نسب تربطه بملوك مصر القديمة ونحاتيهم، قد ساعد في تطويره اللاحق كفنًا. ويسمى اليوم أن ندمهم الفكرة القائلة بأن تمتع حنين بامتياز اللقاء مع أسلافه في مثل تلك الظروف هو ما يجعله يتمتع بموضعية مختلفة جداً عن وضعيه عدد غير قليل من الفنانين المصريين الذين راحوا ينزعون جارين مجرى الانقلابات الثورية الصاحبة في القرن العشرين إلى التمولع بوصفهم أبناء لا أب لهم ورواد ولدوا أنفسهم بأنفسهم من عالم مجرد من ماديه.

وفي هذا كان هؤلاء يصادفون، حتى بدون أن يتفكروا في الأمر، على فلسفة لا تاريخية خاصة بزمنا (وهي تعتبر الماضي عديم الأهمية). ويمحون معالم صلتهم بأي مصدر من شأنه أن يتضامن

كما لو أنه ضل طريقه داخل غابة مسحورة. كانت تجربة لا توصف. «لا أعلم بالضبط ماذا حصل، يقول حنين، «على أنه انتابني الانطباع بأن شيئاً ما راح يتبدل داخلي.. ويضيف ملمحاً إلى التحليلات والروايات والإنهات عموماً، كان ذلك تقريباً أشبه ببعض التجارب التي ورد ذكرها في التوراة». راح الأستاذ يهكم على الحية في زمن الفراشة. وأرفع أحد نظره نحو هذه الرؤوس الكبيرة وهذه الصور الكثيرة جداً والشديدة الوطأة للأنثى والملك، بدا له، على ما يقول، كما لو أن الملوك الأسياء الجموسيين في هذه القاعات، والتناطرين إليه برفق كانوا أسلافه بالذات، أي أجداده.

«هذه التجربة زعزعت كياني بعمق. وأنا أجهل نفسي على الدوام لاستماعتها مجدداً. ولعيش هذه اللحظة المحددة مرة أخرى. حتى في يومي هذا، فانا أحتاج للتعرف عليها من جديد وكل يوم. وحينما استيقظ، أراني متلهثاً للوصول بسرعة إلى محترفي بحدوثي هذا الأمل. وأنا أعرف جيداً ما ينطوي عليه هذا الأمل. وإن كنت لا أقدر على صياغته بواضحة الكلمات. في عملي الفني فقط، يتسنى لهذا المكون أن يتبدى حقاً.

في تلك الفترة لم أكن، بطبيعة الحال، سوى ولد صغير ولم أكن أفكر في الفن بل حتى أنني لم أكن أتعلم إلى أن كلمة «نحات» تعني بالتحديد مهنة يمكن أن اختارها لنفسه ذات يوم إذ لم يكن أي واحد من أصمغاء أبوي فناناً تشكيمياً أو نحاتاً. مع ذلك بقيت

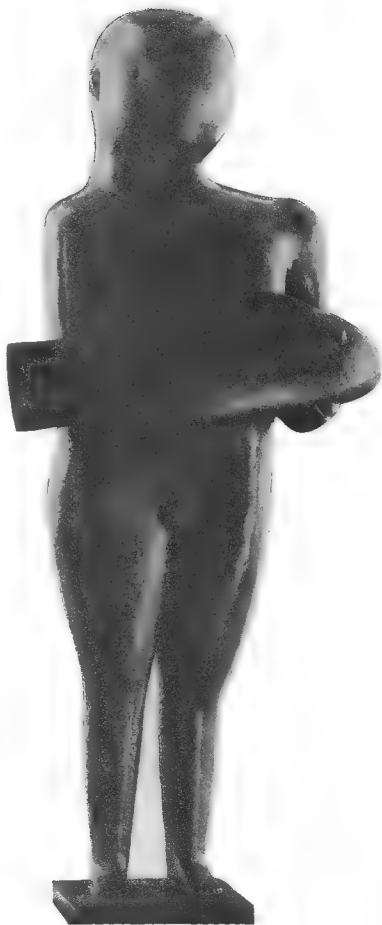
إلهي يشعر بهما كل طفل صغير حينما يلعب. للمرة الأولى في حياته. بسببائه المتردة القرون الحساسة جداً لحظرون. هذه الحال المعنوية. أي حال الاستكشاف والذهب التي تيقن نشاطها داخل شخصية الفنان الناشئة، فهي سمة مميزة للطريقة التي يتناول حين من خلالها تجربة تصوج عموماً. حتى على المستوى الخاص. ذلك أن هذا النوع من الخيال يكون، في عالم البالغين، مرادفاً للشكل الرمزي الذي يعتبر كما يقال، موطن الألهة. الثور أم الظلام. أيهما الأسبق؟ دقة الحقيقة لتشمع بطريقة غير مفهومة داخل ظلمات جهنما.

متحف الآثار المصرية

وماذا عن هذه الزيارة إلى متحف الآثار المصرية ؟ أظلمني حنين، قبل ثوب وثلاثين سنة، على تجربة عرفها ولم يتحدث عنها قط في السابق. وهي تعود إلى زمن كان فيه في الثامنة من عمره، إذ أخذ أساتذ المدرسة حينذاك، هو وبلازمة صفة، لزيارة متحف الآثار بالقاهرة

كنت قد دونت آنذاك حكايته بالعبارة التالية

ما إن أصبح ابن الثماني سنوات، بحسب ما قال حينئذ حرفياً، داخل المتحف، وحتى دخل في حال من صدمة الذول، فهاض عن مطرقة الأسناد والتلامذة الأخرى وذهب بمفرده يتحول هائماً على وجهه داخل المتحف





من أشهر لاعمان غنية حول عالم الممثلات: المشهد الختامي للمسرحية الموسيقية «المقطب» المأخوذة عن قصيدة للشاعر شمس الدين

■ ■ ■ قد يقال غداً في تاريخ الأدب إن الكاتبة السورية أمل الخير خسرت معركةها مع مرض السرطان وغادرت دنياها أوائل ديسمبر، كانون الأول ٢٠٠٥ أي قبل أسبوعين من عيد ميلادها الثامن والخمسين لكن هل خسرت الكاتبة التي أسعدت الكبار والصغار معركتها فعلاً؟

مجموعتها القصصية الجديدة التي صدرت بعد وفاتها تقول شيئاً مختلفاً عن ذلك الحكم التاريخي الجامد فمن يصبر على نشر الجمال ويشجع على البحث عنه لا يمكن أن يقال إنه خسر معركته حتى وإن غيبت التراب.

عنوان مجموعة الأدبية الراحلة أمل الخير (زينة والبحث عن الجمال) وهي آخر ما أبدعت من قصص لأطفال الذين سبق أن كتبت لهم (زينة بين

رغم المرض والموت زينة تبحث عن الجمال

أوغاريت والإنترنت) وهي مجموعة مغامرات تقوم بها فتاة كتيمة من اللاذقية تسوح برع العالم على السباط السحري وترحل في الزمان والمكان من مرشدتها وعملها سندايد لتفتش للأطفال كل ما يشجع على التفكير ويثير الدهشة وحب المعرفة.

على سرير مرضها وفي أيامها الأخيرة وحين أخبرها الأطباء أن أيامها صارت معدودة بالشهور إن لم يكن بالأسابيع وبدلاً من المرات والأيام اختارت الأبيية الراحلة أن تتنازل للجمال والحبة حتى آخر لحظة في حياتها فأرست فطنتها السورية الدكية مع مرشدتها لتبحث عن مواطن الجمال في الكون وكتبت به على لسانها ولسان سندايد بلغة مبسطة صافية عن جمال المسرح وجمال الرسم وجمال الموسيقى وجمال الشعر وجمال الطبيعة وجمال المكتبات.

إن من يقدم كل هذه الإبداعات هو الأجمال حسب رأي الكاتبة التي ختمت مجموعتها بالحيثيت عن جمال الإنسان فقدمت للأطفال عدة نماذج مشرفة من الجنس البشري كتيكسون مانديلا والمهاثما غاندي وتشيكيوف ونجيب محفوظ ومن النساء الأم تيريزا التي

كانت تعتقد أن الجنة الحميقية هي مسامحة الضعفاء والمسكين وأكثر ما يميز هذه المجموعة بعد بساطتها وسحر لغتها هو غزارة المعلومات المتعلقة بكل حقل من الحقول التي تطرقت إليها رحلة البحث عن الجمال ففي مجال الموسيقى مثلاً وهي من الفنون التي كانت مهلهة عربياً يتعرف الأطفال بعد الموسيقى العربية رزيباً على أعمال موتسارت والأماكن التي أبداع فيها ويرحلون إلى بحيرة البجع مع هواجس تشايكوفسكي وخيالاته ثم يتعرفون على إيطاليا وفن الباروك من خلال فينالدو والفضول الأربعة والرحلة التي أنتجت كل تلك المون الرائعة.

إن العرب الدين يغيبون جزلياً عن المسرح والموسيقى يظهران ظهوراً قوياً في رحلة البحث عن جمال الشعر حيث تظهر ثقافة الكاتبة وميولها، فمن بين الوف الشعراء العرب ضم مرواً عابراً على المتنبي وولادة وابن زيدون ثم تقف مع قطتها وأطفالها لتحضن حفاوة خاصة بشاعر العلفات رهير بر أبي سلسي لأنه وقع مع نزعات السلم والتسلح في وسط جاهلي مله بالعرف والعصية أما محاولتها بالشعر العالي فقد أنصبت حول مصمة أسماء مؤثرة حيث عرفت الأطفال العرب على شعراء كبار كناظم حكمت وبابلوردو واليوث وطاغور عاشق الطبيعة التي اهرت لها الكاتبة فصلاً خاصاً هو الخامس من مجموعتها الصادرة بعد رحيلها.

في رحلة القطعة ريدة للبحث عن مكان الجمال في الطبيعة يأخذها الهياط مع سندباد إلى شلالات نياجرا حيث تأملها مع الطيرفين الأمريكي والكندى ثم تعود إلى سحر بلاد الرافدين مع دجلة والفرات ومنهما إلى منابع النيل قبل أن تحط الرحال عند الدانوب الأزرق الذي خلده شتراوس بإحدى أشهر مقطوعاته الموسيقية.

غزارة الثقافة تظهر في فصل المكتبات أيضاً من خلال ثلاث زيارات لكتبة الإسكندرية مرمورها وعراقتها وافتتاحها على الفكر البشري منذ قرون ما قبل الميلاد ومكتبة الكونجرس الأمريكي التي تضم قرأت جيفرسون الرئيس الثالث للولايات المتحدة الأمريكية الذي قال لا أستطيع أن أعيش من غير كتب ثم زيارة لكتبة المتحف البروطاني التي تصم صورة من وثيقة (المانجا كارتا) أول وثيقة سياسية واضحة عن حقوق الإنسان والمواطن منذ القرن الثاني عشر الميلادي وهناك تمرجة على مركز بومبيو في باريس لإصناف الفرسين الذين قال كاتبهم فلووير: أقرأ لأعيش.

وتظهر ثقافة أمل الخير الشاملة ليس من خلال كتاباتها فحسب بل من

خلال تأجيرها فيهم الرحلة والكتابة المناسبة هي والدة الشاعر بالإنجليزية (عيوش اللاذقاني) التي نشرت ديوانين من الشعر قبل أن تبلغ الثامنة عشرة من عمرها فقد عرست الكاتبة الراحلة والمسة الكبيرة ميروها الفنية في أطلالها فابنتها الكبرى (بيسان اللاذقاني) بالإضافة إلى كونها عالمة في الهندسة الوراثية هي أكبر المختبرات الدولية رسامة ممتازة هي التي قدمت رسوم المجموعتين لدا نالت مع احتها عيوش اللاذقاني الشكر في المقدمة، أما الإهداء فكان لمجموعة الخير الشقيقة الكبرى للكاتبة الراحلة والرحلة كانت بمثابة أم حقيقية له.

لقد اختارت أمل الخير أن تكون مربية حتى آخر لحظة في حياتها وكان جها للأطمان هو والي دفعها لتعقب لهم بأسلوب سهل مبسط فيتعلم بأسلوب غير مباشر حب الجمال واحترام القوانين التي تحافظ بها على تماسك المجتمع البشري.

ومع أن المسرح أول رحلة جمالية تقوم بها القطعة الكية في مجموعة (زينة والبحث عن الجمال) فقد تأخر الحديث عنه لتكافئه وعلاقة الكاتبة الوثيقة به، فربما لتأثيرها للمجاستير في كلية لسد للدراسات الشرقية والأفريقية كانت عن المرأة في المسرح السياسي لسعد الله ونوس صاحب عبارة (محكومون بالآمل) والذي تذكرنا محتته من وجهة النظران بمحنة الكاتبة ومحنة الشاعر والمحرر السوري ممنوع عبوان فقد أبكى الثلاثة بذلك المرض الصغير وواجهوه جميعاً بشجاعة وبأصبار على نشر الحب والجمال من خلال الص والإنسان في رحلة البحث عن جمال المسرح مع هؤلاء وغيرهم تفت القطعة الكية مع معلمها سندباد عن (جرامر) مسرح كبير في لندن وتعود في رحلة عبر الزمان إلى اسخيلوس الإغريقي الذي كان يكتب المسرحيات في القرن الخامس قبل الميلاد وغير المصور ثم في معاصرة اكتشاف المسرح على خيال الطفل (والباتوامايم) ثم يظهر البراعة الفنية عند الوقوف عند مسرحية موسيقية عن القطط لاليوت، فالكاتبة ذات الأسلوب المشوق تعرف أن فطنتها الدكية قد تصف ولقب حاصلة عند مسرحية لحص جيسها

ماذا أرادت الكاتبة الراحلة أن تقول للكبار والصغار في هذه المجموعة القصصية التي كانت آخر ما أبدعت؟ الجواب في الصفحة الأولى التي سبقها الإهداء، فقد اختارت أمل الخير أن تقدم لمجموعتها بقول جبران خليل جبران: هيما وزاد الجمال، التيمو، أجل التيمو، ولو كان ذا جناح وأمل لا جناح لكم، التيمو، التيمو، بل انشدتم الجمال، افتقدتم كل شيء. ■

في مكتبة الكونجرس ٥٣٠ ميلاً من أرشف الكتب، وفيها من الكتب فقط ١٨ مليون كتاب، هذا غير ملايين المخطوطات والأشرطة والصور والأشرطة المسجلة وغير ذلك الكثير مما ستراه عند زيارتنا لها



حاولت تذكر قول من ظلم تعرفه، فأرأته أن تتشافي، قالت: قال جيمسبون، على الرغم أن يعطى فحشته سمكة باستشرار ورومنه أسئلة، ضحك سندباد وأعطاها سمكة وقال فحله ثانية، سأعبد عليك ما قال وستريته مكتوباً على كل الأشياء التي اشتريتها، لا أستطيع أن أعيش من غير كتب، قالت زيدة، وأنا لا أستطيع أن أعيش من غير سمك.

همس سندباد: جاهلة.. تعيش لتأكل شحرت زيدة وزاحت لخبرته وتقول سمعتك، سمعتك، فهما حط البساط في حديقة ريجنت.. هي لنثن.

قال سندباد: زيدة.. لا تستطيعين أن تقولي إن حدائق لندن غير جميلة. أنا أقول الحقيقة، حدائقها كبيرة وجميلة.

تناول سندباد زيدة شداً معها في مطعم الحديقة، ثم تجولاً فيها قليلاً وبعد ذلك توجهوا إلى المكتبة. امام المكتبة وقفت زيدة تأمل شتالاً ضخماً، قالت: من هو؟

قرأ سندباد اسحق نيوتن ومن هو اسحق نيوتن.

هو عالم بريطاني اكتشف قانون الجاذبية الأرضية، ألا تعرفين حكاياته الشهيرة مع التفاحة.

لا.. أحبكها لي سندباد.. أنا أحب الحكايات

حسن.. سأحكيها لك بشرط أن تتي هيأة داخل المكتبة، وأن جيبني عن كافة الأسئلة التي سأسألك إياها.

موافقة.. لكن لا تسأل أسئلة صعبة. سأسألك من محتويات المكتبة.

في المكتبة راج الدليل يشرح لهما، قال، هذا أكبر بناء عام في بريطانيا، تألف من أربعة عشر طابقاً، تسمى طابق فوق الأرض، وخمسة تحتها، أضاف، ما يميز المكتبة البريطانية أن فيها نسخة من كل مطبوعة تصدر في بريطانيا وإيرلندا، شاهد سندباد وزيدة الكتب المخطوطات والأشرطة والجلدات

والصحف وأرشيف المكتبة لكن زيدة أعجبت بالطوائف خاصة قال الدليل في المكتبة أكثر من ثمانية ملايين طابع، أضاف لكنني سأصحبكما إلى الكونج الحديقة لتعريفك.

في قاعة المعارض فوق الدليل وقال وهو يشير بيده هاهم كنوز المكتبة، هذه الـ (Magna Carta) حجر الزاوية لتدريته وحقوق الإنسان.

شحرت زيدة، أشار لها سندباد بالصمت، همست، ومادا عن حقوق الحيوان؟

ابتمس الدليل لها وقال، لا تقلقي هناك أيضاً قوانين لحماية الحيوان.

سندباد.. أريد أن أخرج عسلى واشتطن.

سندباد، ولكن بعد أن نشترى بعض التذكارات.

اشترى سندباد بطاقة وكأس وقلم وعضاص، وجميعها كتب عليها: لا أستطيع أن أعيش من غير كتب، ثم أخذ زيدة وراحا يتجولان في واشتطن.

قالت زيدة، هذه المدينة صغيرة وهائلة مع أنها عاصمة أكبر دول العالم.

قال سندباد: عندك حق، ربما تكون لهم وجهة نظرهم، ذهبتنا من

هنا، وفيها ينسا إلى المكتبة الثالثة، سميت.. ما هي؟

المكتبة البريطانية في لندن.

لندن.. آف، أنا لا أحب لندن.

حملها سندباد على ذراعه اليسرى، وراح يصيح على رأسها بيده اليمنى.

قال، عندما تزين المكتبة ستحبينها.

في طريقهما إلى لندن، راح سندباد يسأل زيدة، قال: والأن.. أخبريني، من هو الرئيس الثالث لأمریکا؟

وتعطوني سمكة؟

بالتأكيد.

حسن.. أعطني سمكة، أعرفه، توماس جيمرسون.

أعطى سندباد زيدة سمكة وقال ادكري عملاً مهم قام به.

سمكة أخرى مكنته الكونجرس

تسم لها سندباد، وقال وهو يتناولها سمكة، أنت ذكية وبقية الملاحظة يا زيدة.

تابع، والأنا إلى السؤال الأخير.

ادكري فولا مهماً له؟

سألت زيدة، ما هذا البناء الجميل

الصور واحد؟

هذا مقر الرئيس الأمريكي

لا تقلقي، سوف ذراه، ونرى كل المآالم

الرئيسية في واشتطن، ولكن بعد مكتبة الكونجرس.

سندباد.. أنت تكره كلمة الكونجرس، كثيراً ما معنى كونجرس؟

الكونجرس هو البرلمان الأمريكي، أو ما نسميه نحن مجلس النواب.

بناء مكتبة الكونجرس بناء عريق وجميل.

قالت زيدة، هو بناء جميل، لكن مكتبة الإسكندرية أجمل.

شاهدة لوحة كتب عليها: لا أستطيع

في مكتبة الكونجرس ٥٣٠ ميلاً من أرشف الكتب، وفيها من الكتب فقط ١٨ مليون كتاب، هذا غير ملايين المخطوطات والأشرطة والصور والأشرطة المسجلة وغير ذلك الكثير مما ستراه عند زيارتنا لها.

جلسا على البساط، وقال، إلى واشتطن.

قالت زيدة، أنا جاهلة.

قال سندباد: هناك مثل يقول، من لا يعمل لا يأكل.

شحرت زيدة، قالت، لا أحب هذا المثل.

ثم، كيف أعمل وأنا في الجوف؟

بالعمل ليس باليدنين فقط، بل هو بالعمل أيضاً.

ومادا أعمل يقيني؟

فتح سندباد حقيبة، وأخرج منها عليه سدرين وقال، سئلبك لعبة، أوجه لك أسئلة وكل إجابة صحيحة تأخذين عليها سمكة.

فرحت زيدة، قالت، لعبة مسلية أنا أحب اللعب كثيراً، لكن، لا تسألني أسئلة صعبة.

حسن.. هيا نبدأ..

ما هي عاصمة أمريكا؟

عزت زاسها وقالت، هذا سؤال سهل، واشتطن.

أسمت، خذي سمكة.. ثم سميت بهذا الاسم؟

أعرف هذا أيضاً، على اسم أول رئيس لأمریکا جورج واشنطن.

أسمت، خذي سمكة ثانية، لكن من هو أول رئيس لأمریکا؟

شحرت زيدة وزاحت لخبرته وتقول، تسخر مني.. أعطني سمكة.

صالح سندباد كثيراً، وأعطاها سمكة، ثم قال، ومن هو الرئيس الثالث لأمریکا.

أوه، لا أعرفه، ولا يهمني.

قال سندباد، إنه مهم لرجلتنا، لكن لا عليك الآن.. سأعطيك سمكة وعند عودتنا

سأسألك عن اسمه، وعن عمل مهم قام به وجملة جميلة قالها.

كل هذا يسمة واحدة؟

لا تخافني.. كل سؤال يسمةك ثم همس، جملة.

قالت زيدة، لتتخط، سمعتك

حط البساط أمام البيت الأبيض في واشتطن.





على (Swan of Avon) سار سنجاد وزيدة على ضفة النهر باتجاه بيته الذي نشأ فيه. قالت زيدة: لقد وعدتني أن تحكي لي حكاية نيوتن والتجاذب.

نعم، ولكن بعد أن أسألك عن أهم شيء في المكتبة البريطانية.

أعرف أي جواب تريد (ماجنا كارتا). حسن.. فيها احك لي الحكاية.

قال سنجاد: كان هناك سؤال يحير (نيوتن) وهو: لماذا لا يسقط القمر على الأرض. وفي يوم كان يجلس نيوتن في حديقة منزله، وفجأة سقطت لقاحة على رأسه، فراح يصرخ فرحاً (وجدتها.. وجدتها) وهو يعنى الحكاية الأرضية.. لكن، هل تعرفين ما هو الجدل شيء في الموضوع؟

إن أم نيوتن فضيت منه؛ لأنه تأخر عن طهارة الغداء، الذي برد وروسته إلى الحفريات، لتعاقب نيوتن على تأخره. صمكت زيدة حتى استلقت على ظهرها وقالت: أم جاحلة.

وهل سنجاد وزيدة إلى بيت شيكسبير كان البيت صغيراً في حجمه، لكنه كبير ومحتوياته، هناك أشياؤه وكتبه وصوره والأهم من هذا مخطوطاته. بعد ذلك توجهوا إلى البيت الذي سكن فيه مع زوجته (إن هاتوا).

اصعبت زيدة بحديقة البيت الكبيرة المليئة بأشجار التفاح. ويسجدون الماء المتدفق قريباً منها واشترت صنماً شعبياً كالذي كان يأكل فيه شيكسبير؟ قالت البائعة: يجب عليك يا زيدة أن تنظني الصحن بطريقة شيكسبير. وكيف كان ينظفها؟

كان الناس في ذلك الوقت وضعهم شيكسبير ينظفون الصحن بعد استعمالها بلعقلها بالسننهم، وأظنك يا زيدة ستفوقين في ذلك.

نعم.. ويخ.. هيه.. لقد كان شيكسبير يقدلني.

كل شيء في ستراتفورد يقيم برحلة شيكسبير. كنيسة المدينة فيها قبره، وممرحها مسرح شيكسبير، وهناك مزرعة أمه، وبيت ابنته والمدرسة التي درس فيها. قال سنجاد: هذه المدينة تعيش على ذكرى شيكسبير، هنا شاعر عظيم، لكن المتنبئ ليس أقل منه، ومع ذلك لا نجد له أو لغيره من شعرائنا أي مكان.

قالت زيدة: لا تجزن سنجاد، حين نعود سنبحث عن أماكنهم ومخطوطاتهم وأثارهم. ونبينها من جديد؛ لأنها من ثروتنا الحقيقية. ■

قال سنجاد: من فضلك، زيد أن أعرف المزيد عن ذلك.

قال الدليل: هذه الوثيقة، صاغها الملك جونز عام ١٢١٥. وفيها وضعت القوانين الأولى لحرية الإنسان وحماية حقوقه، التي للأسف ما زالت تنتهك حتى الآن. تابع: وهذا دفتر ملاحظات ليوناردو دافنشي.

تمتت زيدة: هيه.. أعرفه، صاحب الموناليزا. وضع سنجاد أصبعه على قسمها و همس: صمت أو همس.

ثم همس قائلاً: أحسنت. أنت قطعة ذكية حقاً.

تابع الدليل قائلاً: وهذه مخطوطات الخنافس (The Beatles) (إضافة إلى مخطوطات (جيني أوستن) و (جيمس جويس) و (هانسل) و (غيرهم، وهذه مخطوطة كتاب (تخليص الإبرور في تلخيص باريز) لروالد النهضة العربية رفاعة الطهطاوي.

همست زيدة: ولماذا هنا وليس في مكتبة الإسكندرية؟ ثم أشارت بيدها وما هذه؟

كان همسها جميلاً جداً. علق الدليل: هذه أول مرة أسع فيها همس قطبة، تابع مجيباً زيدة: هذه تسجيلات لطقط (نيلسون مانديلا). قال سنجاد: إنها مكتبة شنية جداً بالمعرفة، حقاً إن المكتبة هي مستودع الثروة الحقيقية للبشرية.

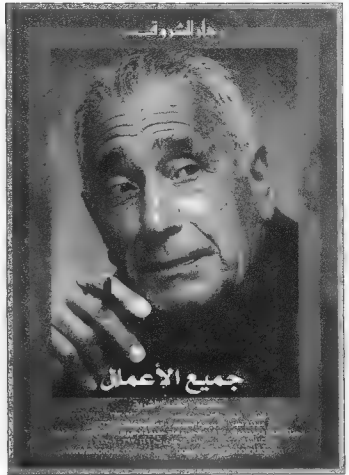


سألت زيدة سنجاد وهما يهادران المكتبة. هل اكتفينا من جمال القراءة؟ قال: ليس قبل أن نقرر مدينة شيكسبير.

ما أسها؟ ستراتفورد. ولماذا نرؤوها، هي ليست مكتبة. لا حظي يا زيدة أن ستراتفورد هي مكتبة شيكسبير، هناك بيته ومخطوطاته وأشياؤه. بالإضافة إلى أنها مدينة جميلة.

سنجد.. من أين تعرف هذا كله؟ من القراءة.

جلس سنجاد وزيدة على اليساط السحري، الذي حط على شاطئ نهر (افون) في مدينة ستراتفورد. قال سنجاد هذا نهر افون. ولذلك سمى شيكسبير (بجعة الأفون) (The)



دليل الأعمال
التكاليف في مصر

نستعرض ترويجاً

يتميز

يوليو

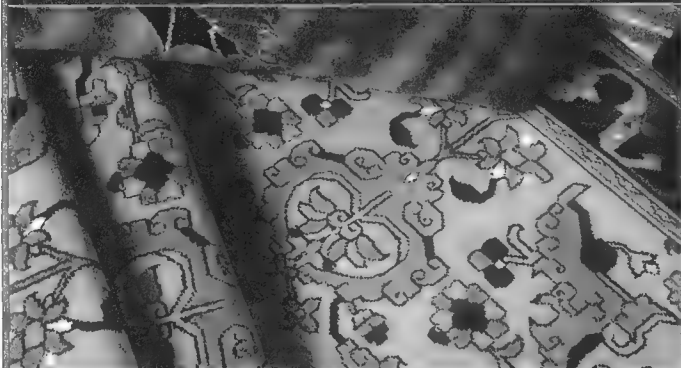
مجاناً

نائب يوم استنك الحديقة من دليل أو الإطوفه

19345

YellowPages.com.eg

Area rugs and carpets designed with the trust and innovation
you have come to expect from Oriental Weavers



مجمع صناعة السجاد
مصر والسجاد بالعالم

نحن مجموعة صناع السجاد ونصنعه في مصر منذ أكثر من مائة
سنة، ولدينا إنتاج الخرافات الخاصة لهذه الصناعة ولا ننتج
التياج على مصر بل نمتد إلى أمريكا والصين والهند وإيران
والأفريقية التي نرسلها للمصريين في جميع أنحاء العالم.



النساجون الشرقيون
Oriental Weavers

Corporate Office : 8 El Shaheed Zakaria
Shall Street, Heliopolis, Cairo, Egypt
tel : 02 - 2672121 fax : 02 - 2672224
e-mail: owc@orientalweavers.com

■ طوعا أو كرها... غادر العرب نقطة البداية في تعاملهم مع عصر المعلومات، وبدلوا بمعون حثيثا. منذ مطلع الألفية على الأقل. للحاق بهذه الثورة العالمية وشاركوا في القمة العالمية لجمع المعلومات بدوريتها (جنيف ٢٠٠٣ وتونس ٢٠٠٥) وافهمين شعار بناء مجتمع المعلومات، لكن هم عاليا في مراتب غير مؤثرة ومحليا يعيشون أوضاعا غير مواتية بما يشاء. وبين الهبات نحو المكانة العالية والرغبة في النضج المحلى قهقروا أشواطاً مختلفة الطول والعرض وفي غمار ذلك كله كان على الدوام هناك سلاخ هل لجمع المعلومات مستقبل بالبلدان العربية؟ ومعظم من تصبوا للإجابة تناولوا الأمر من جوانب الاقتصادية والتقنية لكنهم نادرا ما تناولوا لب القضية الأساسى المتمثل في مدى استعداد (العقل العربي) لفهم وتقبل ودعم وإنجاح جهود التحول لجمع المعلومات، وهو الجانب الذى تركز عليه هذه المقالة التحليلية حيث حاول رصد (فجوة العقل المعلوماتى العربي) وتأثيراتها على فرص بناء مجتمع المعلومات.

لا شك أنه من غير الممكن الحديث

لا يمكن الحديث عن مجتمع المعلومات دون الأخذ في الاعتبار أن هذه الأنشطة والأشكال الجديدة لا تولد أو تنمو في فراغ بل تنشأ وتتطور في بيئة اجتماعية قائمة لها ذواتها ومتغيراتها وطموحاتها وتفضيلاتها وتوازنها المختلفة

جمال محمد غيطاس

هل يعرف العرب مجتمع المعلومات؟

أبرزتها وفرضتها التحديات والتطورات الحالية، وموقع العقل المعلوماتى المجتمعى فى هذه المنظومة ودوره ومسؤولياته، ويمكننا تصور منظومة الوضع المعلوماتى العام داخل أى مجتمع كمثلث بثلاث زوايا وقلب أو محور فى المنطقة الوسطى بين الزوايا الثلاث، وكل زاوية من زوايا المثلث يحتلها طرف يتأثر ويؤثر فى الزاويتين الأخرىين كما يتفاعل فى الوقت نفسه مع من يحتل منطقة القلب أو الوسط.

الأطراف التى تحتل زوايا المثلث هى ثلاث شورات: (الثورة المعلوماتية، ثورة التفسير داخل المجتمعات، ثورة العقل المجتمعى)، أما من يحتل منطقة القلب أو الوسط بين الزوايا الثلاث فهو (العقل المعلوماتى المجتمعى) المضطر للتواصل مع كل منها بمنهج وفكر خاص، وفيما يلى سنحاول تمسك العناصر الثلاثة الأساسية لهذه المنظومة والتعرف عليها، ثم نتناول طبيعة العقل المعلوماتى المجتمعى العربى من منظور علاقته بالشورت الثلاث وانكاس ذلك على مستقبل مجتمع المعلومات.

الزاوية الأولى: ثورة المعلومات

ينظر الكثيرون إلى التطورات المتلاحقة والسريعة فى أجهزة وأدوات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، من حاسبات ومعالجات وبرمجيات ونظم وخطوط الاتصالات وشبكات معلومات وصراخ الكترونية، على أنها أهم ملامح ثورة المعلومات الحديثة، بيد أننا عندما نتناول ثورة المعلومات من منظور تأثيرها الاجتماعى نجد الواقع يخالف ذلك، فهذه الملامح تتدفق وتلاحق بصورة مجازة متبادعة مفتتة، ويهده الصورة لا تقوى على ممارسة ثورة اجتماعية، مجتمعية معلوماتية معرفية شاملة، وذلك كان لابد، من عامل يمدحها هذه القدرة ويهدمها بقوتها وعفوانها ولوريتها الطاغية، وهذا العامل هو ما يطلق عليه مفهوم (التمازج والتلاحم) الذى صهر الأشياء السابقة جميعا فى منظومة هائلة ذات تأثير متعدد الأوجه، تتحرك فى جميع الاتجاهات وتعصف بكل المجتمعات والدول، وتقلق وتزعج التفكير وصير الحياة القديمة وتعرض حقائق جديدة، تجمع بين المتجزئات غير المسبوقة وأشكالها غير المألوفة فى تحد لا يمكن تفاديه.

المعد السابح والثامنون، أبريل ٢٠٠٦ م

فى أن تكنولوجياهم فى طريق بناء والاتصالات اندفعا على طريق بناء مجتمع المعلومات يعرف مبادئ وأعراف بما يكفى بأن ما يفعله إنما يتم فى النهاية داخل بناء مجتمعى له عقله الخاص) المستقر والموروث الذى يتعامل به مع قضية المعلومات والمعرفة، وبمعهم اعتبر انه يبنى مجتمعا جديدا فى محيط اجتماعى خال من الشوائب والعقبات التى يمكن أن تتقاطع مع جهود بناء هذا المجتمع وتعرقها وربما تعرقها من ضموها أحيانا، وبالتالي نشأت فجوة واضحة بين ما هو متاح من خطط وقدرات لبناء مجتمع المعلومات، سواء كانت صلبة أو لينة، وبين قدرة المجتمعات العربية على استيعابها والإفادة منها كما ينبغي، وهو ما يمكننا أن نطلق عليه (فجوة العقل المعلوماتى العربى) التى أصبح مستقبل مجتمع المعلومات العربى رهنها لها، وهو ما يعرض التساؤل عند هذه الفجوة بالتحليل والملاحظة.

منظومة الوضع المعلوماتى العام

تتمثل نقطة البداية فى تحليل هذه الفجوة فى التعرف على منظومة الوضع المعلوماتى العام بأى مجتمع كما

منازع (منظومة العقل المعلوماتى) السائدة بال مجتمع، وهل هى داعمة لهذا الشكل الجديد من المجتمع أم معوقة له، والأسوال الآن: ما المقصود بالعقل المعلوماتى المجتمعى؟ العقل المعلوماتى المجتمعى هو مجموعة الأفكار والقناعات والسلوكيات التى تسود مجتمعاً ما وتحكم توجهاته وتعاملاته مع قضايا المعلوماتية والمعرفة فى جميع نواحيها، أو هو الخلفية والنعنية المتركمة لدى مجتمع ما، تحكم وتحرك فؤاده ومن خلالها جميع أشكال التعامل مع المعلومات والمعارف والتكنولوجيات والأدوات المرتبطة بها، ويمكننا وصفه كذلك بالإطار الثقافى والسلوكى الذى يشكل الواقع الاجتماعى ككل، ويتعامل المجتمع من خلاله مع قضايا المعلوماتية والمعرفة المختلفة، كالوعى بقيمة المعلومات والمعارف وأهميتها وكيفية إنتاج العلوم وكيفية استخدامها وكيفية تأميمها وكيفية المشاركة فيها مع الآخرين أخذا وعطاء، وصولاً إلى كيفية توظيفها بفعاية كاداة تحسين الإنتاجية والإبداع والتطوير وصولاً إلى نوعية حياة أفضل فى شتى المجالات.

وهل نقطة الضعف الأساسية التى تواجه نشوء وتطور ونضج واستقرار مجتمع المعلومات بالوطن العربى تتمثل

في مجتمع المعلومات دون الأخذ في الاعتبار ما أبرزته ثورة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات من أنشطة وأشكال جديدة وجديدة شاماً وغير مألوفة بالنسبة للمجتمع التقليدى، وفى الوقت نفسه لا يمكن الحديث عن مجتمع المعلومات دون الأخذ في الاعتبار أن هذه الأنشطة والأشكال الجديدة لا تولد أو تنمو في فراغ بل تنشأ وتتطور في بيئة اجتماعية قائمة لها ذواتها ومتغيراتها وطموحاتها وتفضيلاتها وتوازنها المختلفة.

هذه الحقيقة، التى نشهد انه لا يمانع فيها أحد، تمنى أول ما تمنى أن مجتمع المعلومات ليس حالة تكنولوجية محصورة، بل هو بالدرجة الأولى حالة مجتمعية تتطلب إعادة تهئية لعقل ووعى المجتمع نفسه، بمعنى آخر، لكى يثبت مجتمع المعلومات فى مجتمع ما ثم يتطور ويتصمم مع الوقت لابد له من (عقل مجتمعى معلوماتى) جديد، يعمل وفق منظومة تهيئ الفرصة كاملة للتفاعل الخلاق المستمر بين قوة إتاحة وتداول المعلومات من جهة ومكيزات إدارة المجتمع ومفاصله وأطره المختلفة من جهة أخرى.

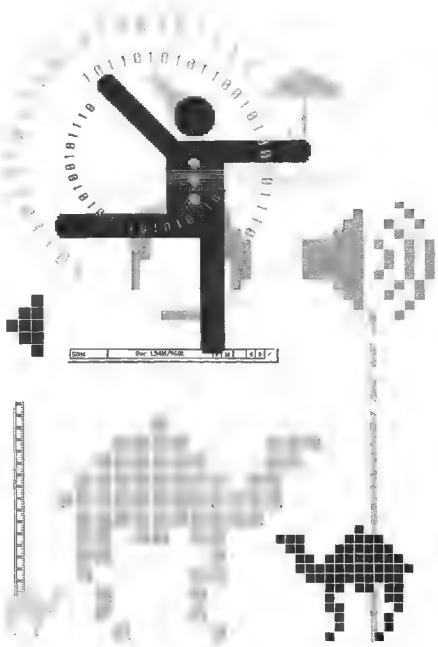
من هنا بدأ مركز الصدارة فى قائمة الأوليات أو الشورتوط المعلوماتية والتطوير والتجديد ونصبح مجتمع المعلومات يحتله دون

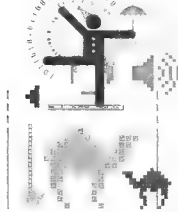
الأساسي للتأثير الاجتماعي والمجتمع
العريض لثورة المعلومات يتمثل في
إسقاط العوازل بين جميع أدوات
وأجهزة ونظم وشبكات توليد ومعالجة
وتداول وحفظ واسترجاع المعلومات في
كيان واحد، يعمل كتهر عظيم الاتساع
سريع الجريان يجعل المعلومات متاحة
لأي شخص في أي مكان وفي أي وقت،
وتتدفق فيه المعلومات بين أي نقطتين
على الكرة الأرضية بمنتهى السهولة
والسرعة وبغير عذر غير محدود من
الأجهزة. وعمليا تنوع المعلومات التي
يحملها هذا النهر من مجرد إجراء
الاتصال العادي الصوتي مع أي شخص
على وجه الكرة الأرضية بسمر رخيص
وسهولة شديدة إلى أكثر عمليات التجارة
والأعمال الإلكترونية تعقيدا على
مستوى الأفراد والشركات والدول. إضافة
للعديد من الخدمات التي لن تنتهي
وتشمل خدمات صحية وتعليمية وثقافية
وتدريبية واقتصادية وسياحية وإعلامية
وغيرها.

وبمعل هذا التمازج تفلعلت ثورة
المعلومات إلى مستويات عميقة هي كل
المجالات وبغير الكثير مما يجري داخل
المجتمعات وجعلتها تعيش حياة فورة،
تتغير فيها الطريقة التي يحيا بها البشر
وممارسون بها أعمالهم وتتكون بها
أفكارهم. فظهرت في الأفق بيوت تتحدث
للحاسبات ومجلات تتحدث للتليفونات
اللاسلكية وسيارات تتحدث للإنترنت
وشركات وبيروحات تنشأ وتمارس نشاطها
كلية عبر الإنترنت أو شبكات المعلومات
الأخرى. وأنشطة واسعة للتعليم
الالكتروني والرعاية الصحية
الالكترونية والتجارة الالكترونية وثورة
المحتوى العلمي والثقافي والإعلامي
وغيرها، حتى شبه البعض النور الذي
قلعه ثورة المعلومات حاليا بالدور الذي
لعبته الآلات في الثورة الصناعية مع
الفارق في سرعة التأثير.

الزاوية الثانية، ثورة التغيير

أدى اندلاع ثورة المعلومات على
النحو السابق إلى توليد تحولات هائلة
في نشر المعرفة والتفاعل الاجتماعي
والممارسات الاقتصادية ومجال الأعمال
والنظم السياسية والتعليم ووسائل
الإعلام الجماهيرية والصحة والترفيه
وتخصية أوقات الفراغ، مما قاد الإنسان
إلى أكبر ثورة تغيير عاشها طوال
تاريخه، لكونها ثورة تعبير متعددة
المستويات والممارات، ففي المجال
الاقتصادي ظهرت موجات تحول وتعير
غاية في العمق والتأثير، على رأسها
الانتصار الكاسح والانتشار الواسع
لأفكار الاقتصاد الحر وسياسات السوق
والمنافسة المستوحدة محليا وإقليميا
ودوليا والانتقال من مفهوم
الإنتاج النمطي إلى مفهوم





والسلوك والطموح وأدوات العمل والإنتاج.

وعند محاولتنا تقصى الملامح الثورية المطلوبة في العقل المجتمعي على نجد أفضل مما كتبه الدكتور نبيل علي في مقال مطول بعدد يناير ٢٠٠٥ بمجلة الحرس حول فحوة العقل العربي المتخصص لكي نستخلص منه هذه الملامح الثورية، فقد قدم نبيل علي نقدا عميقا مميزا للعقل العربي في عصر المعلومات، ونستطيع القول إن إعادة قراءة هذا الفكر قدوة مكالسة تضع بين أيدينا نقلاها أهم الملامح الثورية التي يتعين أن يتميز بها العقل المجتمعي العام في عصر المعلومات، وهذا بالفعل ما قمنا به وجاءت نتيجة هذا العقل كما يلي،

أنه عقل في غاية الوفاء لما يستلزمه على البحث والدراسة والإبداع ومخاطبة الحرفة

عقل له استقلاليته وحصانته ضد التبعية بجميع صيغاتها الفكرية والعلمية والتكنولوجية والتعلمية والإعلامية والإبداعية، ومن ثم لا يستوره رؤاه وأستراتيجياته ومناهج تعليمه وبرامجه وأعلامه وحلول مشكلاته، بل قادر على الإبداع في التعامل معها ليس فقط بما يضيفه ولكن أيضا بالإبداع في الاختراع والاستفادة من أفكاره ومثل الآخرين، وهذا فهو عقل غير ناقل ولا يحتاج لتوسيع معرفي ينقل عنه.

عقل لا يستسلم لما لديه من ثراك فكري وفلسفي وعلمي واجتماعي، بل لديه احترام التراث وفي الوقت نفسه جرأة الانتفاض عليه إذا ما دعت الحاجة دون أن يخسر ثوابته أو تتعطل قدرته على هضم واستيعاب ثورات التغيير.

عقل ذو استيعابية متغيرة قابلة للتعميل والتطوير، لا يتحلى على ملو الخبث إلى القاطع والحسد والتحكم والثابت بل يعطي مساحة مناسبة وضرورية للتفكير المتجدد، ويقبل بعبدا المتدبر على السائد وانهاك بحثا عن أفق جديد، وهو عقل لا يحفل أصحابه بل يحثهم على التجديد والإبداع في ملازمة ما يجري من تغييرات واستيعابها وهضمها.

عقل لا يمتدح ويقبل ويهي أهمية الاختلاف والتنوع على أي جنب من الإجماع والتمطية والتوحد.

عقل لا يرتعد من اللايقين، وقادر على استكشاف المشوش وغير النقيض والفكر المتكامل واستيعاب الا محدود واللا نهائي

الزاوية الثالثة ثورة العقل المجتمعي

بالانتابح المنطقى للأشياء كان لا بد أن تقود ثورة التغيير إلى الزاوية الثالثة في هذا التثلاث وهي الثورة المطلوبة في عقل المجتمع المعاصر وهذه العام، لأنه من غير المحبول نظريا وعمليا أن يستخدم المجتمع الإنسان عقله التقليدي بأدواته القاصرة ومنطلقاته الجزئية في إدارة التعامل مع لفاعلات ونتائج ثورة المعلومات وثورة التغيير بما تطرحه من منطلقات وتصورات كلية وأدوات تكنولوجية متمايزة متلامعة وتحولات عريضة النطاق صميمة التأثير.

بعبارة أخرى نحن أمام وضع يتكرر فيه السيناريو الذي شهدته المجتمعات الإنسانية إبان انتقالها من العصر الزراعي إلى العصر الصناعي، حيث لم يكن ممكنا للعقل المجتمعي السائد في العصر الزراعي أن يظل كما هو بمنطلقاته وتصوراته بينما المجتمع برمته ينتقل إلى العصر الصناعي الخاير تماما في كل شيء، وما يحدث الآن أن المجتمعات الإنسانية تنتقل من العصر الصناعي إلى عصر المعلومات، ومن ثم فهي تحتاج إلى عقل مجتمعي بمنطلقات جديدة وتصورات جديدة للسياسة والفكر والفلسفة والثقافة والامن والسياسة

الخدمات، بل إلى الاقتصاد نفسه من حيث البنية والليات العمل والإنتاج شهد عمليات تحول صميمة وتحوّلنا لتلخيص ثورة التعبير في الواقع الاقتصادي صنعها تتمثل في: تراجع المنافسة بالسعر والجودة أمام الخاصة في الوقت والحدوة والسعر. تراجع عوامل الإضافة والتجديد أمام سرعة الاستجابة لسرد فعل السوق.

ظهور قوى ومطرز للمنافسة بين المؤسسات التخيدية التي ليس لها وجود والقي مادي من ناحية وبين المؤسسات والكيانات التقليدية من ناحية أخرى.

تراجع التكرار والنمطية أمام الابتكار والاختلاف. تراجع وفرة الإنتاج وضخامته أمام سرعة الإنتاج وتكريره على فئات معينة.

تراجع كثافة العمالة أمام كثافة المعلومات. تراجع الوزن النسبي للسلع والآلات أمام الوزن النسبي للخدمات والبرامج.

تراجع دورات الإنتاج الطويلة أمام دورات الإنتاج القصيرة. وطالت ثورة التغيير للمجال الاجتماعي والمجتمعي، حيث بدأنا نلاحظ موجة التغيير والانتقال من القيم المحلية الموروثة والراسخة والمستقرة إلى القيم العالمية غربية المنشأ بالأساس، وهناك مفات المراتب التي ترصد هذه الموجة على مستوى السلوك والطموحات والآمال والعلاقات الأسرية والعائلية وداخل محيط المسكن والعمل والدراسة، ووسائل وأدوات الترفيه والحسنى والتعليمي والمحتوى الثقافي والمحتوى العلمي، وأنماط شعراء واستهلاك السلع والاحتياجات وكيفية التعامل مع الإعلام والفن والثقافة وعموم الوطن وألمة ككل.

وأصبح هناك من يتحدث عن طبقات وشرائح اجتماعية عريضة بالمجتمع الغربي النشمت لأبعد مدى باتجاه تحويل اليهيا الخاصة إلى قيم عالمية، وتشتمل مداب في تبني وشتر امتدادات مؤثرة لها داخل الشرائح الاجتماعية الفاعلة بالمجتمعات النامية حول العالم، وراحت هذه الامتدادات تعمل كراس حورية تتولى نشر القيم (العالمية) غربية المنشأ داخل مجتمعاتها سواء بقصد أو بغير قصد.

ولعل مجال البحوث العلمية

يحدث الآن أن المجتمعات الإنسانية

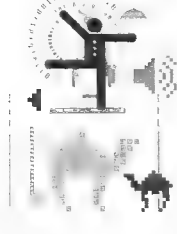
تنتقل من العصر الصناعي إلى عصر المعلومات

ومن ثم فهي تحتاج إلى عقل مجتمعي بمنطلقات

جديدة وتصورات جديدة للسياسة والفكر

والفلسفة والثقافة والفن والسياسة

هل يعرف العرب مجتمع المعلومات؟



وعلى القبول بأن للفوضى علماً وللتعدد نظريات وللفوضى سحراً.

عقل يعتبر العلم منفصلاً عن الحقيقة المطلقة، وأنه أي العلم، معنى بالحقيقة الموضوعية اللابينية المرتبطة بالاحتمال والتجريب، وأن المعرفة ليست واقعة نهائية، بل عرضة دوماً للخطأ، وأن العلم لا يكتسب جدارته العلمية إلا من خلال قابليته للتفنيد.

عقل يدفع بنفسه دوماً إلى اصماع التداخل بين المجالات الحرفية وتعددتها، ويصنع رابطاً قوياً بين علوم الطبيعة وعلم الإنسانيات، وبين المعرفة العلمية بشقيها عن المعرفة الكامنة وراء الفنون.

عقل يبتني التوجه المنطوق الذي يضمن الاتكامل والاشتمال، ولا ينشغل بالأمور الفنية دون سواها بل يهتم دائماً بالتوازيات المتعددة الأبعاد لكل ما يعيشه ويواجهه من القضايا الاجتماعية والثقافية، ومن ثم يصب عليه الوقوع في غف التصاويل أو الضياع في توهيمات التفسيرات، أو الاستسلام لسنسنة الرغبات التي ترقى الحزنى قائلة مستعلاً ببلاده أو استسهال إيجاد التفسيرات والنصوص والشواهد المؤيدة لأطروحاته ولغاه الجوانب الأخرى التي من شأنها أن تدحض أطروحاته أو تظهر تناقض أقواله وتعصف أحكامه.

عقل علمي يعطيته، أي ينتج العلم ولا يكتفى بالتفسير به، ويصنع الاعتراف بالأخطاء مهما كانت كبرى هو الذي يجعل منه مجتمعاً علمياً قادراً على الصمود في وجه موجات التغيير وأنواء التحولات العاصمة.

عقل ذو بنية عقلية، أي قادر وقائم على إدراك وتوظيف واستيعاب العلاقات فيما يواجه ويتعامل فيه من قضايا، فعلى السبيل المثال إدراك العلاقة بين اللغة والممارسة والفكر، واللغة بالبرازيات وعلم النفس والبيولوجي، وعلاقة اللغة بالفنون والهندسة والتكنولوجيا.

عقل قادر على أن يسلو فوق مقتضيات ومطلوبات وأعباء وتناقضات السياسة، ومن ثم يكون خطابه دائماً غنياً بالإبداع والخيال الاجتماعي ويعمداً من الضلالة والتفوقية والغايش.

عقل شديد الارتباط بواقعه، فيرى الواقع احتمالاً ومن ثم يحاول أن يضع ما لديه من مفاهيم وأفكار لحقائق هذا الواقع، عقر يقترن القول للعلم كما يفضي العقل النظري الخلاق للعلم الواقعي.

منطقة الوسط، العقل

المعلوماتي المجتمعي السائد

بعد أن استمرزنا زوايا المثلث الذي يشكل منظومة الوضع المجتمعي العام في عصر المعلومات والتي تضم (ثورة المعلومات، ثورة التغيير، ثورة العقل المجتمعي)، نصل الآن إلى قلب المثلث أو الهدف الأساسي الذي نسمى للتحرف عليه في معرض حديثنا عن سمات تطور ونضج وانتفاضة مجتمع المعلومات مستقيلاً، ألا وهو (العقل المعلوماتي السائد بالمجتمع العربي) الذي يعتبر شريحة من العقل المجتمعي العام تقوم بدور جسر التواصل بين العقل المجتمعي العام من جهة وثورة المعلوماتية من جهة ثانية وثورة التغيير من جهة ثالثة، وبشكل أكثر وضوحاً يمكننا تصور مهام العقل المعلوماتي المجتمعي على النحو التالي:

• صناعة ثقافة معلوماتية مجتمعية تناسب ثورة المعلومات وتستطيع استيعابها وإعادة توجيهها.

• الاستعمار المبكر لطاقات الخطر في ثورة المعلومات وثورة التغيير والمباداة والإبداع في مواجهتها واتساق لها.

• الرصد المبكر والاستمرار لكائن القيمة والخطر والمالدة فيها واقتناصها وتمتيعها وسرعة توظيفها وتفعيلها في

أماكنها الصحيحة داخل مفاصل المجتمع وأطره المختلفة لجنى أقصى ما يمكن من فوائدها.

السمي الدائم إلى نشر توجهات ورؤى وشكائات وأفكار واستراتيجيات داخل المجتمع مهمتها أن تجعل ثورة المعلومات وثورة التغيير تكتسب ثوراً وتسريان داخل المجتمع وفق سلوك منضبط بروصها ويحتوي عنقوانهما ما يحصل من تعامله من هوجالية وفجائية إلى منفعة.

• إفراز طرقي مبدعة تتخلص من التدفق اللامتظم لثورة المعلومات وثورة التغيير طارفة جيدة الإدارة عالية المنفعة للمجتمع.

• رصد مناطق ونقاط التبيس والمجز شريحة من العقل المجتمعي والمباداة والمجتمع وتوجيه حالة الطوارئ والحادثة والسفوان الموجود بشورة المعلومات وثورة التغيير إلى هذه النقاط لتستعيد حيوياتها وتوازنها وكما لها من جديد، بما يساهم في استعادة المجتمع لحيوته.

العقل المعلوماتي العربي

والتناقضات السبعة

والسؤال الآن: كيف يبدو العقل المعلوماتي السائد بالمجتمعات العربية؟ وإلى أي مدى هو قادر على لعب دوره

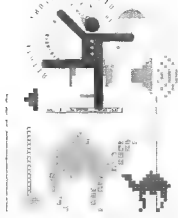
الحيوي في قلب منظومة الوضع المعلوماتي العام سزوايتها وثوراتها الثلاث؟

حقيقة الأمر أن العقل المعلوماتي العربي السائد حالياً يتشكل من حزمة تناقضات جوهرية تصمم سبعة عناصر تصف وراء الضجوة الموجودة بين ما يحتاجه مجتمع المعلومات لكي ينمو وينطلق، وبين ما يقدمه أو يوفره أو ربما يسرع به هذا العقل المعلوماتي من ناحية أخرى، ويمكننا استعراض هذه العناصر كالتالي:

التناقض الأول: الاحتياج للرؤى الكلية مقابل تبني الفرق في التفاصيل؛ داخل العالمية الساحة حصة من المجتمعات العربية هناك دماج وخطط وأفكار شديدة التشعب والانتشار، وجميعها يرفع شعار المعلوماتية بشكل أو بآخر، وخصيصاً من طائفتين من الدولارات، لكن بقدر قليل من الملاحظة تكشف أن العقل المعلوماتي العربي، على مستوى النخبة وصنع القرار بوجه خاص، مهموماً بنشر مناجات المعلوماتية لكنه ليس مهموماً بإيجاد نخبة جاهزة بالبروز التي تقف وراء ذلك كله، وغير مكثرت بأهمية بناء هذه النخبة مهنية تعمل (عقل المجتمع) يستوعب المعلوماتية ويسهم فيها ويصمم تعميدها. ومن هنا ينشأ أن لدى كثير غير موجود على الإطلاق أن تجد عقلاً معلوماتياً عربياً لتحلص من فيض التفاصيل وبدأ يستشقى هواء الفكر الربح والرؤى الواسعة، ولذلك طمعت آثاره هذه الحالة في مناج عدة، منها مثلاً أن مجموعة السبعة المعلوماتية ببلد ما تضع خطة مصلحاً للتنمية المعلوماتية، لكن سرعان ما تتذوق (الخطة) في دائرة من صفوها، ويصاؤون (مان روحها) لم تعاد حردوم الضيقة ولم تسر في المجتمع من قولهم، وأنها قولت أحياناً ما بجزوء وأحياناً بصدم الصهم، وفي أحيان ثالثة يعدم الوعي بها من الأصل، وذلك لأنها بنات أفكار عقل غارق في التفاصيل وفادع للرؤى

التناقض الثاني: الاحتياج للاتساق مع الواقع الاجتماعي مقابل تبني الفخر على هذا الواقع؛

إن بناء مجتمع المعلومات بأي مجتمع يتطلب نشر المعلوماتية في تسج هذا المجتمع، ونشر المعلوماتية يمس بدوره تغيير العديد من القواعد السائدة بهذه المجتمعات، لكي ينتقل من الورقة والقلم وتخزين المعلومات في الدواليب والموسبات، إلى العصر الرقمي وقواعد



طفلة البداية هي مارلون التفاعل مع المعلوماتية هي أن يكون لديك خطة مسبقة واضحة لما تريد أن تفعله، سواء كانت الخطة متعلقة بشراء حاسب شخصي منزلي أو لإسعاد الفوائد اللازمة لبناء مجتمع معلومات أو عدة مجتمعات تجمعها قومية واحدة كما هو الحال في العالم العربي، وهذا المنهج هو التفاعل مع المعلوماتية هو شيء أقرب إلى الثقافة داخل العقل المعلوماتي العام، تعمل كآلية أو خلفية يتحرك فيها نوع من الوعي التخطيطي على الجميع، ولتقضي بطلانها على كل سلوك أو قرار يتصل بالاقتراب من عالم تكنولوجيا المعلومات وكيفية توظيفه عليها في بناء مجتمع المعلومات.

والحقيقة أن العقل المعلوماتي العربي يعاني من حالة فقر واضحة في ثقافة التخطيط للمعلوماتية، سواء على مستوى الأفراد والمنشآت والوزارات والهيئات الحكومية والدول العربية، ككل وليس من قبيل الباطلة القول بأن العديد من الجهات تنعدم لديها هذه الثقافة من الأساس مما يدفعها للتفلسف الدريع السريع في توظيف المعلوماتية، ومن ثم لا يمكن القول بأنها تمتلك ثقافة تخطيطية داعمة لبناء مجتمع المعلومات، التناقض الأساس، الاحتياج لمهارات التقييم التكنولوجي مقابل تبني الأعراس والأغلى،

تلبس المعلوماتية دور الجهاز العصبي المركزي داخل مجتمع المعلومات، ولكي تبني جهازاً عصبياً مركزياً يتناسب مع متطلبات مجتمع المعلومات فلا بد أن يكون لدى المجتمع بمؤسساته المختلفة عقل معلوماتي يمتلك مفاهيم ومهارات التقييم التكنولوجي، بعبارة أخرى عقل قادر دوماً على فرز وتصنيف وتقييم ما يحرص عليه من راي وتكنولوجيا ومهارات ومنتجات معلوماتية وفق قواعد ومعايير واضحة وفيها من الكفاية ما يضمن الاختيار السليم والمناسب لمتطلبات مجتمع المعلومات.

والشائع أن بعض هذه المعايير يعلى من قيمة الجودة والأصالة في السلعة ويعتبرها الأساس عند التخطيط، والتصميم والبناء والإنتاج والبيع والشراء ولا يلتفت كثيراً لقضية التكلفة، وبعضها الآخر يحاول الجمع ما بين الجودة والسعر والرخيص، بينما توجد معايير ثالثة تعلو من قيمة السعر الرخيص ولا تلتقي بالألوة، وتزاهن على فكرة (الاسترخاس) في كل شيء. والحاصل أن العقل المعلوماتي العربي

الآن هو عقل تابع لا مبدع، يترشح للنقل عن الأجني، ويألف من بذل الجهد في الإبداع المحلي، عقل مسود لا سيد، يعيش رد الفعل ولا يبادر بالفعل، والأمير لا يحتاج جهداً كبيراً لإثباته، فالمؤشرات الدالة على ذلك بلا حصر ومنها على سبيل المثال:

أ. عدد براءات الاختراع الأصلية والجددة التي خرجت من المنطقة العربية ومن باحثين وعلماء عرب في مجال المعلوماتية تكاد تعد على الأصابع وأصحابها يكادون يكونون معروفين بالاسم.

ب. أن العالمية الساقطة من الشركات والمؤسسات العربية التي تعمل في مجال المعلوماتية أقرهه المختلفة وتدعي أنها تشكل قطاعات لتكنولوجيا المعلومات بالبلدان العربية، هي في الأغلب الأعم لتاجر في تكنولوجيا على عق تصنيها وإبتكارها، وسيطر عليها عقل معلوماتي استيرادي، أقصى ما يفعله أن يدع الشركات العربية تمرق في توريد وتهئية وتعديل حزم البرمجيات والأجهزة والحلول التي تنتجها شركات البرمجيات العالمية الكبرى لتتناسب احتياجات الأطراف المحلية التي تحتاج إلى تكنولوجيا المعلومات أو يقوم (بالتخديم) على هذه البرمجيات والمحتاج بعد مهمي

التناقض الخاص: الاحتياج لثقافة تخطيط معلوماتية مقابل تبني الفوضى التنموية.

الانتهائية (الفكرية) التي تعلو من شأن ما هو مأمون ومضمون وتبتعد عما هو شاك ومأمول. وإن شئنا الدقة هنا قلنا أن العقل المعلوماتي العربي يأنس للدعوة إلى نشر تكنولوجيا المعلومات التي هي في النهاية الأنوار والأوعية التي يمكن من خلالها جمع وتخزين ومعالجة وتحليل وإدارة المعلومات وتنظيمها وتوزيعها، لكنه يأنس من الدعوة إلى نشر المعلومات التي هي المحتوى الذي شأله به هذه الأنوار والأوعية كونها تتطلب قيم الحرية في التداول والتفكير والتعبير وتشكل العصب الأساسي لمجتمع المعلومات، ويضعنا التباس العلاقة بين المعلوماتية وحرية تبادل المعلومات داخل العقل المعلوماتي العربي في متناقض خطر، فحينما لا تتوافر البيئة المجتمعية والقانونية والاقتصادية التي تسمح بالتدفق السريع والسهل للمعلومات يتم بل عقل المعلوماتي بذلك بانتهازيه واضحة تكون النتيجة هزلاً شديداً يصيب جميع مشروعات المعلوماتية ودعواتها في جميع المجالات من الاقتصاد وزراعة وتجارة وغيرها. ويحولها مع الوقت إلى بنادق فارغة من الطلقات.

التناقض الرابع: الاحتياج للإبداع الذاتي المستقل مقابل تبني التبعية والتقليد؛

مجتمع المعلومات إلى قدر كبير من الإبداع في كل شيء، والاحتياج للإبداع يحتاج بدوره إلى عقل معلوماتي مبدع، لكن العقل المعلوماتي العربي حتى

اليانفات وشبكات المعلومات المفتوحة وهذا بدوره يحتم تغييراً فيما يوجد بالتحتم من تراث حضاري وسلوكيات وطرق في التفكير وثقافة سائدة وأساليب في العمل وإوزان لتقوى نشأت في كنفها مصالغ ومكتسبات للبعوض. وصراع بين أيد قوية تكبح حركة وأنساب المعلومات لأسباب متعددة، ولديها رؤاها الخاصة بكيفية إحداث تنمية معلوماتية. وفي المجتمعات العربية يضاف لذلك تشاك الفقر من الفنى والجهل مع العلم والمهولة مع النظام. وهنا ينشأ ما يمكن أن نطلق عليه العقبة (التكنو اجتماعية)، أو المشكلات التي تبرز عندما يحدث التماس بين ما هو لتكنولوجيا من جهة وما هو اجتماعي وسلوكي ومتمحى.

وهذه العقبة على وجه التحديد تتلبد بوجود عقل معلوماتي لا يقبض فوق الواقع الاجتماعي ولا يتجاهله، ولا يفرض المعلوماتية من قبل النخبة وصناع القرار ويهدم بها على الجماهير العريضة وفئات المجتمع المختلفة فسراً وقهراً، كوصفات ملزمة للتقدم، مفتوحة ومقتضيةها. ومى أسف... أن العقل المعلوماتي العربي لا يلقى بالألوة للعقبة (التكنو اجتماعية) ويعمد في كثير من الأحيان للتفلسف على وإقحام المجتمعى الاجتماعي حامل لواء تفكيك وإعادة ترتيب الصناديق والهياكل القسري لمعلوماتية من أعلى لأسفل دونما اعتبار لإرادة ورؤى أفعال المجتمع ومدى تهيئته أو تقبله للمعلوماتية وأشكالها المختلفة. التناقض الثالث: الاحتياج لحرية تبادل المعلومات مقابل تبني كبشها واعتقالها؛

يحرص الكثير من دعاة بناء مجتمع المعلومات العرب، من المفكرين والرسامين والعاملين بالقطاع الأكاديمي والخاص، على الترويج للمعلوماتية بشدة داخل مجتمعاتهم، لكنهم في العادة لا يفترون من هسية (حرية تداول وتدفق المعلومات) في هذه المجتمعات، على الرغم من كونها (مطلبة حيوية) لا يستقيم الحديث من مجتمع المعلومات بدون، حرية تداول المعلومات هي (روح وقلب) المعلوماتية ومشروعها، وهذه العلاقة المتبادلة بين دماء المعلوماتية وقضية حرية تداول المعلومات تعد واحدة من أبرز وجود التناقض في حالة العقل المعلوماتي العربي، فهي تحمل في طياتها قدراً من

عدد براءات الاختراع الأصلية

والجددة التي خرجت من المنطقة العربية

ومن باحثين وعلماء عرب في مجال المعلوماتية

تكاد تعد على الأصابع وأصحابها يكادون

يكونون معروفين بالاسم

كتاب الزواجة

الحب العذري عند العرب

وهافة جميل

لحق عبد العزيز بن مروان وإلى مصر جميعاً نساء كريماً،
ولكن القدر كان له بالمرصاد، فلم يلبث أن مرض مرضاً
قضى فيه نحبه، ولما ثقل عليه المرض عاده رجل من
عشيرته، فلما دخل عليه نظر إليه وقال: يا ابن سمد ما
تفعل إن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله منذ
تشهد أن لا إله إلا الله وإنك من الجاهلين، فقال: والله أنه ناج
لأن الله تعالى يقول: «إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ
تُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَتُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمٍ»، قال جميل:
أنا هو هذا الرجل، فقال له صاحبه: أتزعم ذلك وأنت
تشبه ببشيرة منذ عشرين سنة، فقال: أنا في آخر يوم من
أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة فلا تالفتي شاعة
محمد إن كنت وضعت يدي عليها لريبة قط وإن كان أكثر
ما كان مني إليها أني كنت أخذ يدها أضعها على قلبي
فأستريح إليها، ثم أغشى على جميل، وأفاق، فأقبل على
صاحبه، فقال له: هل لك في أن أعطيك كل ما أخلقك على
أن تفعل شيئاً أعهد إليك، فقال ابن سمد: حبا وكرامة،
قال: إذا أنا قد فخذ ثوبى هذا فأعزله جانباً، وكل شيء
سواه لك، وأرحل إلى رجلي، فإذا صرت بمنزلة،
فأركب ناقتي هذه، ثم البس ثوبى ذلك، وأشققه عليك،
وصح بهذه الآيات:

صرخ النعى وماكنى، بجميل

وشوى بمصبر شواء غير قفول

صرخ النعى ذي همة

حول الشامل لرجال قفول

قوسى بشيرة فاندسى بعويل

وابكى خليلك دون كل خليل

المختلفة، كما أصاب العديد من شركات
البرمجيات وخدمات المعلومات
والاتصالات العربية في مقتل، وجعلها
غير قادرة على تكميد المشروعات وتقديم
المنتجات التي تتطلب مشاركة أكثر من
تخصص، ودفعها لأن تنجرع بلا وعى
في تنفيذ مشروعات وإنتاج برمجيات
مشابهة الوظائف والأهداف والعمل
وفق معايير تقنية غير موحدة.

أما تجاهل المبادرات الفردية، بل
ومحاربتها في كثير من الأحيان، فقد
فوت على المجتمعات العربية وعلى
الشركات أيضاً، الكثير من فرص الإيجار
الحقيقية، القائمة على الإبداع الفردى،
والمبادرة الشخصية، كما أشاع الإحباط
في دارة أكثر، لأن كل تحريرة أو مبادرة
فردية تسقط تحت مظلة التحايل
وعدم الاهتمام، تقطع الطريق على
عشرات من التجارب والمبادرات الأخرى
التي كان يفكر أصحابها في التقدم بها
والضى في تنفيذها، بفعل علوى
الإحباط، وانكسار الروح وإتثار السلامة.

الخلاصة

من خلال استعراض وتحليل
منظومة الوضع المعلوماتى العام
للمجتمعات المختلفة توارثه الثالث، ومن
خلال استعراض حالة العقل المعلوماتى
العربى بشأهاته البسة نخلص إلى أن
العقل المعلوماتى العربى المائل حالياً
لم، وربما لى، يساعد المجتمعات العربية
على فهم ثورة المعلومات جيداً واستيعاب
إمادها وتحدياتها وفرصها واستشراف
مستقبلها، ولنى يساعدها كما ينبغي على
استيعاب احتواء وحضم ثورة التعبير
وجعلها عامل دفع للأمام دون أن تزلزل
ثوابت العقل المجتمعى العام أو تعكك
أركانه أو فقد بوصلته وإتزانها، وأن يبدع
كما ينبغي على نناء ثورته الخاصة داخل
عقل المجتمع العام ليحولها إلى عقل
متناسب عصر المعلومات، فيستطيع
ممارسة قدر من الصطب والترشيد فيما
تأتى به ثورة المعلومات وما يترتب عليها
من ثورة فى التحولات والتغيير، ولذلك
فإن مستقبل مجتمع المعلومات بالمنطقة
العربية يحتاج بشدة لإعادة بناء العقل
المعلوماتى العربى وفق عملية طويلة
النفى عميقة التأثير، حتى تنشئ له
تحقيق انطلاقته محموسة وواضحة
الأثر فى مستقبل مسيرة التنمية
الاقتصادية والاجتماعية بالمنطقة
العربية

يبدو كسولاً بعض التره في هذا الصدد،
فهو أكثر ميلاً إلى حسم مسألة الاختيار
وهذا للمعيار المادى، ففى المجتمعات
العربية الفقيرة ترى عقلا يعلى من قيمة
معيار (الأرخص هو الأفضل) من ماب
تفسير الحال، وفى المجتمعات العربية
الغنية ترى عقلا يعلى من معيار (الأعلى
هو الأفضل) من باب الوجاعة لا الكفاءة،
وكلا الحليين سهل لا يتطلب جهداً فى
الاختيار، لكن هذا العقل قليلاً ما يحتسى
بمعيار (الأجود هو الأفضل) الذى لا
يرتبط بالثمرة والوفرة المادية، ولكنه
فى مجرة الاختيار، ويدفع هذا العقل
المعلوماتى، الذى يعجز كمارف التقييم
التكنولوجى، المجتمعات العربية إلى مربع
الخسارة، فهو يجعل غالبية المنتجين
يقدمون منتجات وخدمات وبرمجيات
مشتركة الجودة مليئة بالعيوب، وبعبء من
المعايير الفنية السائدة عالمياً، ومن ثم
تصبح غير قادرة على المنافسة مع المنتجات
الأجنبية، أو التحول للتصدير خارجياً،
وغير قادرة على الوفاء بدورها المتطرفة فى
تغيير البيات وبيئات العمل التقليدية
السائدة لدى الجهات التى تشتريها، أما
الأسواق العربية فأصبحت، بسبب هذا
العقل كسول، فضاء خلفياً تلقى به الكثير
من السلع الرديئة الجودة من مختلف
أنحاء العالم.

التنافس السابح: الاحتجاج
للمواجهة بين العمل الجماعى والإبداع
الفردى مقابل إهمال العمل الجماعى
وتجاهل الإبداع الفردى:
تفرض الطبيعة الشبكية للمجتمع
المعلوماتى مستويات غير مسبقة من
المشاركة والاعتماد والتأثير، المتبادر بين
أطراف عديدة بشكل متزامن، وهذا بدوره
يتطلب قدرًا عالياً من العمل الجماعى
والإبداع الفردى معاً، لكن الحاصل أن
العقل المعلوماتى العربى يجمع فى وقت
واحد بين ظاهرتي ضعف القدرة على
العمل الجماعى وتحايل المبادرات
الفردية، ويشترك الساحة مفتوحة
لعلاقات عمل بين المجموعات والأفراد
يمكن وصفها بأنها هلامية غير ثابتة
اللامح، لا تخضع لقواعد معينها ولا
تؤسس عملاً جماعياً يجمع القدرات
المتفرقة ويوحد الجهود المتكررة فى
الجهات المختلفة وصولاً لأهداف
مشتركة، ولا تضع بنية مناسبة لانطلاق
المبادرات الفردية والقدرات الإبداعية
والخلاقة ورعايتها حتى تؤتى ثمارها، مما
أضع ظاهرة الجهود المتكررة والمشروعات
المشابهة بين المجتمعات العربية

الأسئلة الدنماركية

عبداء القلوب للإسلام

إذا أراد الله نشر فضيلة طوبى
أتاح لها لسان حسود
صاير محمد عبد الواحد
عصو اتحاد الكتاب الأفريقيين الآسيويين

3- سهير شتير
استشاري حسابات - الخالصة - الهرم

المستشار السابق للحكومة الدنماركية لحقوق المهاجرين

تعدد السباع والثديون - أبريل ٢٠٠٦ م

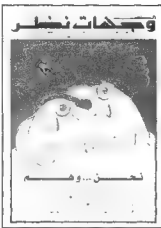
كل المسلمين قضاة .. فمن المتهم؟

شباب صغار يمارسون هواية الدعوة وأصدار الأحكام وتخصيص الآخرين بدور حساب، هيتجولون في المنتديات والمواقع على الانترنت، ويقرؤون عناوين مقالات، ويمارسون سادية متطرفة في الرد على من لم ترق لهم عدوين كتاباته

إنهم يلففون إصمالم الحق، وليس لديهم وقت لقراءة فحوى مقال أو دراسة، والخسعة لا تستمعهم وللعولومات المتوافرة لديهم من بعض المحاصرات الدينية أو العتايوى الماهرة لا تسهض نقاش أو حوار جدى ومثمر يمارسون الطاسمية وتكفير الآخرين وتحليل الدماء، ويصدرون أحكاما خارجه من اعطق النخطة في الفكر العصري الكارد للحياة والكرامة والحرية والعظم دعاة وقضاة أينما رايتهم تحدم يمارسون مملك تفسير الحق، ويهبطون بحاشية الرسائل المساوية إلى أكثر ساحات العقول سطحية، وعلومك وخبرائك وقدرتك على التحليل والأجتهاد.

عنصريون وطائفيون ومنشرون من رسالة مساوية متعقلة أركانها، نزل بها الروح الأمين على قلب نبي الرحمة، صلات الله وسلامه عليه. يكرهون الطائفة الأخرى وأصحاب الدين الآخر والفكر الآخر، يمارسون السباب والتكفير، والتشديد والبوسيد، ويغشرون حديثك خبر طاهره واطننه، وقد تمكنوا من توحيد خصوم الإسلام معيائهم وتخليصهم عندما يصمت المسلمون تعود إليهم صمحاتهم الرائعة التي أثرت العالم رداً طويلاً من الزمن

محمد عبد الجيد
رئيس تحرير طائر الشمال
عصو اشاح الصمحين
لروحيين



وإن يذهب مع مجموعة دعوية شجاعة إلى قسم الشرطة وينصحبون المأمور اليأشا أن يحترم أدمية وكرامة المواطن؟

هل تستطيع قوة من أشد مسلمي النوى عن المتكسر الدخول إلى غرفة المحاضرات وتوجيه النصائح الدينية اللطيفة للغالبيين داخلها وأناطرة التهرير؟ وقواب الأخرى غير مضمون، وشيوخ الضالوي لم يتطرقوا إلى تلك الصفات والصفات، ههه لن تترك حسناتهم سبعين صمعا، وستنتهي بعبوة قرن غزال في بطن أحدهم، هل يفتي أحدهم بأن الدروس الخصوصية حرام، وأن على المسلم مقاطعة المدرسين والمعلمين الذين يتكاسلون في مدارسهم ويهملون تعليم تلاميذهم؟

هل سمعت من مسلم يقابلك فيحدثك عن أهمية الكتاب والنطق والفكر وعلوم البحار والتسامح مع غير المسلمين وحقوق المرأة في أجر متساو مع الرجل، وفي تقاسم أعمال البيت الرقعة إن كانت الزوجة تعمل؟ هل قابلك مسلم سائلك عن عدد الساعات التي تقضيها مع أولادك، وعن أهمية تربيته على المعرفة والقراءة واحترام الكتاب وتوقع مصادر العلوم؟

كل هذه الأشياء لا يكثر لها المسلمون (إلا قليل منهم) فهي تحتاج لمناسبة وجدال وفكر وقوة إقناع واحتمامات بشؤون الدنيا وهجوم الوسط وعصام الألام والتواجس والأصطدام مع السلطة؟

منفصل تماما عن واقع لا يتغير.

لكن هذا المسلم متعجب شرايين جسمه غصبا، ويستغل لسانه شجبا، وتلوح قبضته في الهواء بالتهديد لأناس في الجزء الآخر من صالته لأن إحدى المدارس رفضت دخول

تلميذتين مسلمتين يغطاه الرأس براك تمارس حلق العنبيس غير القابل للفتاوى والأحوال أو استئذان الآخرين، تسع موسيقى، وتشاهد فيلما، وقرأ ما تراء أنت ضروريا لعرك وعقائد وحاجاتك الثقافية، فيدخل على عاكك مهرولا، وصانحا، ومنذرا بكل عذابات القبر وجحيم سفر، فيضع لك في فائق معدودة خطوطا تفصيلية يراها هو الطريق المستقيم الذي يجنبك به الضميا الأقر، ويضمن لك أكثر من سبعين من الحور العين.

والمسلم يمارس دعوته التي لا تكلفه شيئا، فالحديث عن الحجاب والنقاب والفصل بين الجنسين وأهمية الدعاء عند الجهر صوب الفتات على الكفار وحفظ كتاب الأدعية والاستماع لشرائط عمرو خالد، ووجدى غنيم والغنى، والألم والقارئ.

أما الجهاد الآخر المكلف فمعاد الله أن يفتقر منه هؤلاء القضاة والدعاة الذين تراه في البيت والشارع والمدرسة والصنع والجامعة والمسجد والأوقاف والمهاجر. هل يستطيع المسلم أن يقوم بحملة ضد الغش والفساد والرشوة،

إذا فذر لك ودخلت محكمة وجدت كل من في قاعاتها ودهانها واستراحاتها ومكاتبها ومنصاتها وحماماتها وعلى سلالمها وفي صمبعا قصة فقط، تفتح بشقة بافغة عن متهم أو محام أو حاجب أو حارس فلا تضر عليه أو على أثره. هذا المشهد الخيالي هو بعينه حال المسلمين اليوم، فأينما وليت وجهك عثرت عليهم دعاة وقضاة في فترة قصيرة من الزمان اكتشف من الملون طريقة مخدرة وغيبية للهرب من واقعهم المألوم والمؤسف ومن تخلف أمة تكالبت عليها الأمم الأخرى من المسجد الأقصى إلى نطق العراق، ومن أموال المسلمين في مصارف الغرب إلى تحديد ما ينبغي أن يصنموه في لالامم أو يصطوره من قدرات عسكرية أو يصدروه من صناعات محلية أو أدوية أو تقصيرات لديهم.

ألا قطع المسلم عليك كل طرق الحديث والمعلوماتية والتكثير الحر والاجتهاد واختيار مصادر معرفتك وعلومك ومنهج حياتك وهوياتك، فلهذه مسبقا أحكام على فكرك بالسجن مدى الحياة، وهو مشغل ومهموم بجمع حسنات الآخرة ولو ضرب بالآولى عرض الحائط ناسيا أو متناسيا بأن الأصل في الحياة هي الخلافة في الأرض، وأن تسميرها وتطورها وسعادته في طبيا ما فيها تشكل الهدف الرئيس والواضح والصريح لذلك الزمن الذي فصل ما بين العهد والحلد.

يشاهد المسلم لسنوات طويلة ظلمنا شديدا، ويعرف أن في أقبية سجون وطنه آلاف الأبرياء، ويقرأ بام عينيه عن ملات من حالات الاغتصاب وانتهاك الحرمات فلا تتحرك نحوه، ولا يبتز ضميره، ولا يبحث عن ثواب الأخرى في الاضطلاع لطاهرة ضد طافية أو في التكاثر مع غيره لرفع العلم عن العقليين، ولا يكثر للألام وأوجاع ملايين من أهلهم وديهم، فيمارس حياته العادية كأنه جزء

الترجمة

فصل حضاري

محمد عدنان سالم

أشواطاً واسعة، سيكون لها أثر كبير في كسر الحاجز اللغوي أمام المتلقي، والسماح له باختيار اللغة التي يحب أن يقرأ بها. أي كانت لغة كتبها. وإلى أن يُبلِّغ الترجمة الألفية مداها، وتُستوى على سوية لا بد من تحسين أداء الترجمة التقليدية، ورفع مستوى التأهيل للمترجمين. وهو ما يطرح بدوره صعوبة تحويل الترجمات بين اللغات، التي تشكل عِدةً على الناشر في البلدان النامية، لا يستطيع أن يحمله للناشر لأسباب، يأتي في مقدمتها انخفاض مستوى الدخل وصعوبة القوة الشرائية لديه، وحالة العزوف القسري التي لا تُرقى بالكتاب عنده إلى مستوى الحاجة

واقع التبادل الثقافي

يبدو أن العلاقة بين الثقافتين العربية والغربية، لم تدخل عصر الحضارة الكونية بعد. هلا يزال التبادل بينهما يسير على خط واحد بين مرسل لا يستقبل إلا نادراً، ومستقبل لا يرسل إلا نادراً، والمرسل هنا حتماً هو الغرب. ومع ذلك فإن هذه الترجمة ذات الاتجاه الواحد لا تزال تعاني من مشكلات عديدة تحد من فاعليتها وأثرها الثقافي، هي ثمانية،

١- ضآلة في الكم، فما يترجم للعام العربي مجتمعةً لا يتجاوز ٣٠٠ كتاب سنوياً بمعدل كتاب لكل مليون عربي مقابل ٥٠٠ في المجر و٩٠٠ في إسبانيا لكل مليون من السكان.

٢- وصعوبة في الكيف تاجماً عن ندرة الترجمة المتخصصة، والضعف في جودة الترجمة والتحرير والمواعيد.

٣- وعشوائية في الاختيار لا يترجم، تعتمد على الصداقة من غير رصد دقيق للإنسان الثقافي العالي ولها معايير للانتماء

٤- واستباحة حق المؤلف، لا يشعر المترجم مهما بلغت مجهوداته للحصول على إذن بالترجمة ما مالكه الحق في أن ذلك من غير انصاف فيه أي المجتمع العربي، بحيث إن المترجم غالباً

من لندن اللواتي يشرهن على تحليلهن، وقد أرفقت الأميرة الصغيرة بهدية متواضعة لمقامكم الحليل، أرجو التكرم بقبولها.

مع التعظيم والحب الخالص خادمكم جورج ملك بريطانيا

ومع غاية الحضارة التي فهمتها ثورتا المعلومات والاتصالات، انهارت الحواجز الفاصلة بين الأمم، وازالت الحدود، وتهدمت الجدران، وامتدحت الثقافات على بعضها، وبات من المتصور التوقُّع والانكشاف على الذات، مما خلق وضعا جديداً للعلاقات بين الأمم في الشعوب، أراد له البعض، ممن لا يزال يحمل أفكار مدرسة الهيمنة والإمبراطوريات العتيقة، أن يكون صراع حضارات يقوم على الشाय والتضييق والفهر، ويريد له الآخرون، على شاكلة السيد شرودر، أن يكون حوار ثقافات يقوم على التفاهم والتفاعل والتكامل، وهذا الخيار الأخير هو ما يتسجم مع اتجاه التطور البشري وجهود الإنسان للتخلص من رذيلتي الفساد وسوء المعاملة، ومن أوار الحروب وويلاتها، ذلك الاتجاه الذي جعل في الاتحاد الذي منه أوروبا بعد حروب طاعنة وإقليمية فيما بينها عبر القرون، كان آخرها حربان عالميتان مدمرتان اضفتيهما خلال قرن واحد، أدركت بعدهما أن الحروب لا تحل المشكلات، إنما يحلها صبر جميل على طاعة القوانين التي ولدت من أهم وأول ضرورات التحول إلى هذا العصر التكنولوجي، تدليل صعوبات التبادل والتفاهم، وفي مقدمتها الحاجز اللغوي. وقد لاحظت ثورتا المعلومات والاتصالات هذه الصعوبة فعممتا أن تدليلها عن طريق الترجمة، وعوالة المصطلحات العلمية والصحية.

بعد أن كان انتقال الأفكار من بلد لآخر يستغرق عقوداً من الزمن رفضاً لتأخر العصر لترجمتها، قامت فرق التبادل الفوري للأفكار عبر الترجمة الفورية التي أصبحت للمستمع بلاغيات اللغة التي يفضل أن يسمع بها أيًا كانت لغة قائلها، وقبضت الترجمة الألفية

الحامول أكثر سعادة، فما إن وصلت إلى أحمال الكتب، حتى دفع بها إلى مترجميه في بيت الحكمة، وروى الحنين بسحاق أن المأمون كان يحض المترجمين وزن الكتاب المترجم دهمياً، وأهم لذلك كانوا يختارون كتبهم ورقاً سميكاً، ويكتبونها بالخط الكوفي بقلم عليح، ويساعدون بي أسطرها ليريدوا هي ورنيها ويستبدون من المصنف، وأن المأمون كان يعرف ذلك منهم ويغض الطرف تشجيعاً لهم. ثم لم تلبث، بعد أن اعتلت صهوة الحضارة وأمسكت بزمامها، أن تحولت إلى دور المرسل وعلى الرغم من قول السيد بيتر زيبكي أنه: «كانت هنالك في الماضي عصور يتسم فيها التلاقي بين الشرق وأوروبا والعالم العربي ما لتقدير واحترام التبادل، فالأندلس، وبلطجة وإسبانيا، وأص مطوعة كانت ممرًا لتلاقح الحضارات، بما يشهر بأنه كان شمة تبادل وأخذ وعطاء، غير أن النص الثاني الذي أنقله من كتاب الاستدكار لابن عبد البر يؤكد ما ادَّعى إليه من سير الثقافة في اتحاد واحد من المتقدم حضارياً إلى من أبطلت به حضارته

فقد كتب الملك جورج ملك بريطانيا إلى هشام بن الحكم الخليفة الأندلسي ما تمس

صاحب العظمة هشام الجليل المقام بعد التعظيم والتوقير، فقد سمعنا عن الرقي العظيم الذي تمتع بمصنعه الصافي معاهد العلم والاعتماد في بلادكم العامرة، فأردنا بأبناء اقتناص نماذج من هذا الفضائل لتكون بداية حسنة في اقتناء التاركم لشر أنوار العلم في بلدنا التي يستعجنا الحل من أركانها الأبرمة

وقد وضعنا أنه شقيقا الأميرة (دوبست) على رأس عشرة منات الإخبار ليشرف بطلع أهداف العرش، والتماس التكرم نكون مع رعايلها موضع رعاية عظيمكم وحماية الحاشية الكريمة، وحذب

«إن التبادل الثقافي ليس علاقة أحادية الجانب، ويجب ألا يكون كذلك.. إنه شرط أساسي لكي يفهم بعضنا بعضاً هماً العمل ولكي نتعلم من بعضنا بعضاً في عالم يتقارب أكثر فأكثر»

كان هذا نصاً معتظماً من كلمة المستشار الألماني شرودر في افتتاح معرض الكتاب في فرانكفورت ٢٠٠٤، فهل العلاقة بين الثقافتين العربية والعربية تسير وفقاً لما أراد له السيد شرودر؟

على ما التاريخ، لم يكن ثمة تبادل إنمّا هو مد من جانب واحد، تسيل فيه المعرفة وتهدر رايها من الجانب الأجنبي والأعلى حضارياً إلى الجانب الأفقر والأضعف المتماثل إليها.

فقد سبق للثقافة العربية - التي انطلقت على وقع صيحة (أفرأ) عندما دوت في غار حراء وتردت أصداؤها في حنيات مكة - أن قامت بدور المتلقي وراحت تجوب الأفاق بحثاً عن المعرفة، تجلب كتبها من كل صوب، وأقامت لها بيت الحكمة لتعكف على ترجمتها من كل لغة، ثم تضعها في أيدي الباحثين لتحليلها وصهرها ثم لإعادة تركيبتها وإنتاجها طبقاً لمعاييرها ومنهجها، وقد وقعت في العرب على صيد شعبي من كتب الفلسفة اليونانية وعلموها فلم تتردد في أن تهلل منها.

وسنطرح ما وقع للمأمون العباسي في القرن التاسع الميلادي، عندما فتح جزيرة قبرص، وكان يعلم أنها داخرة الكتب التي حرمت الكنيسة تناولها، وجعلتها في متروعة أحكمت القفال، خشية أن تنوع منها روائح لكرم والصلال، فطلب من الملك أن يرسلها إليه فكان الملك وأساقفته سعداء بطلبه عليه، وراوا فيه ربحاً مزودوا بصلبهم من عبء تحريرها ويرمون نصالاتها المالحين، وكان

معاصرة القيت في معرض القاهرة الدولي للكتاب من ورشه عمل مع معهد، حوته.

ما محل محل المؤلف في المطالبة بحق الترجمة، ويستغرب جداً أن يطالبه الناشر بالإذن بالترجمة مما أعرق سوق الترجمة في فوضى عارمة؛ تعتمد فيها ترجمات بعض الكتب إلى ما يزيد على عشر ترجمات مختلفة للكتاب الواحد أحياناً.

ولقد في الجدي لها لم تتوفر إرادة التحضر لدى المتلقي فلن تغني وفرة الترجمات لديه شيئاً مهما تعاملت ولا بد أن نتذكر هنا أن الوطن العربي يعاني من حالة وهم حماسي مرمي طال أمد لن تلغ معه الترجمة قبل تحقيق إرادة الخوض من هذا الوهم، نتوقف ما نترجم في استئناف السبر في ركب الحصار.

ومن دون هذه الإرادة لن تضيق الترجمة إلى الفعل الحضاري شيئاً، ولن تعمل أكثر من تكرار الأفكار محاكاة وتشبيهاً؛ يلحق المترجم له بالخلف لإحاطة تبيعية لمعها بخصوصية، وتزول عنه بصمته، ويبقى الأصل أكثر الغا، وبالتالي فإنه لن يستطيع أن يثرى الحضارة المتقدمة بأي رؤية جديدة خارج منظومتها الفكرية؛ وأن يتحقق ما أرادته ضرور من الارتقاء بالعلاقة الثقافية من خلال الأحادية بالإصلاح، إلى حالة التبادل والتفاعل والإغناء

هل لدى الثقافة العربية

مسألة ترجمتها؟

من بين ١٠٠٠٠ كتاب أدبي مترجم مطبوع بين يدي القارئ الأجنبي، لا يوجد أكثر من ٥٠٠ كتاب قصصي مترجم لكتّاب عرب نسبة لا تليق ٢١ معظمه مترجم من الفرنسية لكتّاب عرب قديمين في فرنسا، وليس حال الترجمة من العربية إلى الإنجليزية بافضل حالاً والكتّاب العرب عامة لا يتم التعرف عليهم في الغرب إلا بعد تصامهم في بلدان اللغات الأوربية؛ أو حصولهم على جوائز مهمة. ولا ينشر من أعمالهم إلا ما كان مكتوباً بأدب القص العربي، ومروايت لنوع القارئ الأجنبي، وحتى هذه لا يتلقونها من دور النشر الغربية إلا صغارا.

ويدهد المعايير تمت ترجمة بعض أعمال نجيب محفوظ وجمال

الغيطاسي وحنا الشبي وادونيس وإميل حبيبي وادوار الحراطين وإبراهيم الكوسى والياس حورى وجبران خليل جبران ومحمود درويش بعيد الرخص منهف وصنع الله إبراهيم، وآخرين على شاكلتهم من المثبتين بشهادة الغرب السانديين في زكيها

وبالمعايير ذاتها عاد الناشر من العرب من معرض فرانكفورت للكتاب - الذي استضاف الثقافة الإسلامية - صيف صيف شرف عليه عام ٢٠٠٤ - بحسب حين كانوا محرروا ريان اشتروا حقوق ترجمة بصمة كتب إلى العربية، ولم يبدوا من حق ترجمه كتبهم العربية شيئاً يذكر

إن أقدم الناشر العربي على شراء حقوق الترجمة إلى العربية يعد مفامرة تجارية غير مأمونة؛ فهو فضلاً عن الشروط القاسية والجمالات المزعمة التي تطالب منه من دور مراعاة لطرف النشر الضعيفة صعد، فإنه كثيراً ما يباع بالكتاب الذي تعالاف عليه قد ترجمه القرصانة وأغرقوا الأسواق به، أو وهو لا يزال في مرحلة التفاوض، أو وهو في مرحلة الترجمة، بعد أن يكون قد أدى الجمالة المقدمة للأصل. أما موضوعه إلى بيع حقوق ترجمة كتبه العربية، فإنه لا يزال مرهوناً. لكي يستطيع أن يثير الرغبة الموهومة لدى الناشر المرمي بشراء حقوق ترجمة شيء من إصداراته، بأن يحقق شروطاً تمييزية متعدي.

كان يكون على النتو الأدي (رواية، قصه شعر، مسرح).

وأن يكون مكتوباً بحسب أساليب القص ومعايير الكتابة العربية.

وأن يكون جازلاً على جائزة عالمية مشهورة كحائزة نوبل

وأن يكون موافقاً لنوع القارئ العربي ولبيعه ومسلطه.

وأن يجعل عنواناً مشيراً لفضول القارئ العرسي عن المنطقة العربية

ومشاكلها

والا يكون موضوعه قد تم إنشاعه بأفلام أوروبية نشأته بالأفكار

والتصورات المعنوية البسيطة عن الإسلام والمرأة والحجاب والديمقراطية والإرهاب.

هناك الرغبة بالسعر على الآخر المختص على القيم المكتوبة في خافيات أخرى؟

وأي من الثقافات الذي

يؤجبه مهر الحصار الكونية ليلبي بوساطته احتياجات تطوره المتسارع ووصفه العالمية؟

وما جدوى الحوار إذا كان مع آخر مؤلف، مسافر أو مفقد أو متمار يدفع عنه ويستبد منه الآخر المختلط؟ وما عسى أن يعيد العرب من الحوار مع الآخر المؤقت، بعد صدعة ١١ أيلول (سبتمبر)، وشعوره بقصر معلوماته عن الآخر المختلف التي أمدته بها معاهد الاستشراق ومراكز الأبحاث؟

وعلى الرغم من الوهم الحضاري المزمن الذي تعاني منه الثقافة العربية الإسلامية، ورادو الأفعال المنفلتة خارج منظومتها الفكرية، فإن لديها من مخزونها الفكري ما تقدمه مثلث الثقافة العربية التي تعاني ندورها، راضاً، من أزمة فلسفية خرجت بها من العداثة التي أسست نهجتها عليها إلى ما بعد الحداثة التي اقتضت معامها بعد، وأزمة سياسية اضطرت لها تأويلها بعد، أمثال الاتحاد السوفيتي وتصددها بإدارة شتون العالم وفق نظام دول جديد أعرج، وأزمة أخلاقية تجسّلت بين غواستاساوا وأيس غريب والسجون الأمريكية السرية، وكشفت عن هشاشة منظومتها الفكرية حول العدالة والمساواة والحرية وحقوق الإنسان، التي لم تقو على مواجهة الصدمة



إن لدى الثقافة العربية الإسلامية من المخزون الفكري الأخلاقي المستمر في ضميرها ووجدانها، لا مما يسمح لها بأن شير بسبب الحق أو اللون أو الجنس أو اللسان أو الدين، بل كلكم لادم وأدم من تراب، لا قد تمزق لعمري على أعجمي إلا بالثقوى وما لا يسمح لها بأن إكرام في الدين أو المنصب أو الرأى - لا إلا كراه في الدين) (البقرة ٢/ ٢٥٦) (ومن شاء هليوم ومن شاء فليكن) (التكوير ١٨/ ٢٩) وهي بذلك تحمل على اكتفاء أربعم عشر قرناً من التعايش والتسامح بين مختلف الأديان والأعراق، وما لا يسمح لها بأزواج المعايير، العدالة حق للجميع (لا أفرح منكم شأن قوم إلا أتعادوا، لا عدوا هو أقرب للثوى) (المائدة ٨/).

إن علينا أن نقوم بجهد مشترك من أجل

أجل تعارف أعمق بين ثقافتنا العربية الإسلامية والثقافة العربية، ومن أجل تنق طريق أعرض وأسرع للتبادل بينهما يسمح بالتيسر فيه بالاتجاهين، ومن أجل أدمج الناشر العربي، الذي يعاني من العزلة هي خصم النشر الدولي، ثمة مبادرات من الجانب الغربي كمبادرة (مداد) التي ينشر فيها معهد

جونه في القاهرة للتعريف بالأدباء العرب الشباب في موقع على الإنترنت ومبادرة (كانت الدنيا) التي يتم بموجبها دعوة كاتب من كل من الجانبين للإقامة في بلد الأخرمة تمكن من الكتابة من تجربته فيها، ومبادرة (الدوا الفري - تشرقي) التي يقوم أصحابها بدعوة أدباء عرب إلى الجانب لتقديم قراءات أدبية في مراكز الثقافة، ومبادرة من دار الفكر مدقق في مشروعه (حوارات لقرن جديد) التي وصفت لظافة ليكو حواراً بين كاتبتين عربيتين وغربيتين عليهما لن دعم هذه المبادرات وأن نسميها

بابتكار مبادرات ومشاريع جديدة ثمة صعوبات تحول دون التعرف على الأدب العربي والثقافة العربية بكل أنوعها التي قد لا تتردى ثوب النص البروي، وأخرى تعيق الترجمة بين اللغات وفي مقدمتها صعوبة الترجمة وتقسيمات الأدباء بها، وبالتالي ترهق الحواجز بين اللغتين من الطرفين وتزول كلا منهما عن الآخر علينا أن نتناول جميعاً على تدلها.

ثمة اختراعات علمية تسد فيها العيون بنشيط التبادل الثقافي بين ألمانيا والعالم العربي أمثال عبود عبود، تنتظر من يتبناها وينعدها، يراهن الكمبيوتر على الجهد الحكومي والمؤسسات الرسمية وأراه على مد الحسور وإقامة العلاقات المباشرة من المؤسسات الثقافية الأهلية من الجمعيات والروابط والاتحادات المهنية للكتّاب والأدباء والترجمة والإعلاميين والناشرين، وللتعريف بطبيعتها إما هي ثقافة الشعوب المستقرة هي مساهماتها لتحكم قضاهاها وزود أعلامها، ولتفيد الثقافة هويتها وتخرج عن طبيعتها عندما ترتدي الزي الرسمي، وتتمتع شخصية السطاح هذا إذا أردنا أن نعمل معاً من أجل تحقيق حلم شروء في، بأن نجمع بعضاً فيما أعصل وتعلم من معصا البعض من عالم يتقارب أكثر هاكتر.

هل نحن بلا نظير؟

جيمس تريل
الكروت عالم المعرفة ٢٠٠١ ٢٢٠ صفحة



لماذا نحن؟ بس الإنسان متفردون عن بقية الكائنات، يمكن أن يقال الكثير في الإجابة عن هذا السؤال، استناداً إلى رؤى فلسفية ودينية، لكن المؤلف يتبع نهجاً مغايراً، إنه يسعى لإثبات هذا التفرّد علمياً، دراسة الدماغ البشري وعقارنته بأدلة الكمبيوتر من جهة، وبالتكبيرات من جهة ثانية ليعرض على أن العقل هو السمة المميزة للبشرية، وأنه مختلف عن بقية الحيوانات، ليس بل في الدرجة بل في النوع. كما أن هذا الكتاب هو الذي صمغ أجيال الدكاء الاصطناعي الحديثة فكرة تفرّد الإنسان كما يقول المؤلف متسقة تماماً مع البيولوجيا التطورية الحديثة، وهو ما يعني أنه لن يأتي يوم يتمكن فيه شهابيوز من حل مسائله في الرياضيات كما تفعل نحن، بل في المرحلة بل في التحدي الحقيقي الذي يواجهه تفرّد الإنسان، ربما يكسب في أمكنية أن يعود جهاز الكمبيوتر كمن عقل الإنسان، وهو مسألة بعيدة عن التصور خصوصاً إزاء تلك الأنظمة التي يمكن وصفها بالإنسانية أو القدرة على الشكّاء التحريدي، فالحكمبيوتر لن يكون بوسعه أن يرمس الخواطر أو يكتب ملامح أو يبتغ نظرية النسبية.

الأدلة يقدمها المؤلف في تاريخ التطور العضوي وعلم النفس وعلم الكمبيوتر والمفصّل، ودراسة الدماغ في الواسع التركيبية والوظيفية

المتاهة

محمد عبدالسلام
القاهرة: مؤسسة الأهرام، ٢٠٠٦، ٢٥٢ صفحة



يبحث الكتاب في المشكلات التي تواجه إقامة منطقة حالية من الملاجئ النورية في الشرق الأوسط، خصوصاً مع التمهيدات التي تشهدها الترتابة الدولية الإسرائيلية للأمن المصري والعربي، وسعى

بعض دول المنطقة إلى حيازة هذا النوع من الأسلحة، ويعدّ المؤلف في البداية مداخل الكتاب في هذه المشكلة عالمياً وأقليمياً، مشيراً إلى معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية في منطقة الشرق الأوسط وشبهات العراق التي ورفضها إسرائيل التوقيع عليها وإسقاط عدداً، وكذلك كلفة التعامل السياسية الأمريكية مع قضية التسليح النووي في المنطقة، وفيها يتصل بالداخل الإقليمي يعرض المؤلف لشرح إقامة منطقة خالية من السلاح النووي في الشرق الأوسط، ويسدّ المؤلف المصري والإسرائيلي من المعاهدة، ثم يعرض في الباب الثاني للتحديات التي تواجه إقامة منطقة خالية من الأسلحة النووية في الشرق الأوسط، وهي إشكالات خاصة بالنطاق الجغرافي وأخرى متصلة بالصراعات القائمة في المنطقة وثالثة تشير إلى الأوضاع البيئية في الشرق الأوسط، وإسماً الإشكالات الخاصة بموافاق الدول النووية من هذا الأبعاد.

استناداً إلى هذه الإشكالات جميعاً، يشير المؤلف إلى ملامح أساسيين، أولهما أن هذه العملية ستكون ممتدة متعددة المراحل، قد تستغرق من ١٠ إلى ٣٠ سنة، وأن أي محاولات لدفع تلك العملية بالتسريع في ظل غياب الشروط الضرورية لها سيكون نوعاً من «هرطقة الفات»، بحسب تعبير أحد الخبراء.

والملح الثاني أنه سوف تتم في إطار ترتيبات إقليمية أكثر شمولية، أو كجزء من ترتيبات صير تسليح إقليمية عامة، تتعامل مع معظم مشكلات التسليح التقليدية وغير التقليدية في المنطقة، ويشير المؤلف إلى أن مشروع إقامة منطقة خالية من الأسلحة النووية في الشرق الأوسط رغم كل هذه التعقيدات والتحديات، يبقى مشروعاً واقعياً، وسيبقى كذلك مادامت هناك مشكلة نوية لا يوجد مدخل دولي ملائم للحل معها في الشرق الأوسط، وفي كل الأحوال يرى المؤلف أن مصر دوراً سواء في صيغة إقامة منطقة خالية من الأسلحة النووية أو منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل.

مفهوم القتل وإشكالياته الطبية

جوة الزراي
القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٦، ٢٢١ صفحة



تقدم الطب والبحوث العلاجية بدرجة كبيرة في العقود الأخيرة وهو ما

جعل قتل المريض أو ما كان يعرف بالقتل الرحيم قضية ميوست من شأنه، مسأله غير مشجولة كالمعقد يقدم كل يوم جديد يعطى أملاً للمرضى في إمكانية تعافيهم من أمراض قهراً يفتنون أن لا أمل في الشفاء منها، ولذلك فلا مبرر لنزاع الذي يتنادى بقتل الأطفال المشوهين والتجنس عقلياً بحجة اليأس من شفاؤهم، والشرع والأخلاق والتقاليد لا يشترطون في الإنسان الذي متواثر له أسس الحماية سوى أن يكون على قيد الحيات، بصرف النظر عن عيونه الحماية أو مكانته الاجتماعية، وأى اعتداء على هذه الأسس يشكل جريمة قتل للإنسانية بشكل عام، وإن كانت الأجرة مهمة لحل كثير من المشكلات الصحية المستعصية، فإن شدة الإشكالات، حاليةً، يشهداها أنظمة أخصية الأجرة في نقل ورعاية الأعضاء، خصوصاً أن ذلك يفتح الباب واسعاً أمام عملية شحارة: لا حنة وزبادة حالات الإجهاد مع وجود أفراد ما تدرج كيرة، وترى المؤلف أن الأبحاث الطبية جرت على الأجنة ولأدوى التي هلكها في أعظم أنواع العمد والدمار، وفي جرفهم هي مبرار الشرع والإجهاض، وأله جريمة في حق الشرع والتقاليد يشبه جريمة الدواب التي كانت ترتكب في الجاهلية.

وفي هذا الإطار تطرح المؤلف عدداً من التسويبات لتجاوز تلك التسوية ومراقبة التقنيات والصيدليات لضمان عدم ارتكاب هذه الجرائم إلى من القوانين وتقليد العقوبات على المخالفين، وإنشاء مؤسسات رعاية المشوهين والأطفال المعوقين، وعلمياً وفلسفياً وتدريبهم وإعدادهم لمواجهة الحياة

الفلسطينيون في أوروبا

إشكاليات الهوية والتكيف
تحرير: عباس شلاق
رام الله: القدس، شمل، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ٢٠٠٥، ٢٨٠ صفحة



يعرض الكتاب دراسات قدمت في ورشة عمل عقدت بمركز دراسات الشرق الأوسط التابع لتلكه سانت بوسبي في جامعة السوربون قبل ٥ سنوات، وسأول حالة الفلسطينيين في عدة دول أوروبية أقامها واستكسدا، وبريطانيا واليونان وإيسرلا والسويد وفرنسا وغيرها، مستأينة من الهجرة الفلسطينية في أعقاب قيام دولة إسرائيل، إن الهجرات الفلسطينية إلى باقي دول أوروبا تعتبر

حديثه نسبياً، وتشكّل الحثايات في تلك نهاية أساساً من ضلاب استمر معدّية در ستجيب في أوروبا وإلى بداية الحاسباب هاجر آلاف الفلسطينيين الذين هجروا أساساً من لبنان في أعقاب محزنة صابرة وشهنايات إلى المول الاسكندنافية ومعهم هؤلاء اللاجئين كانوا لا يفتقدون قدرات التعليم أو مهنية مميزة مما يجعلهم يعيشون حتى اليوم على الإعانات الحكومية، ويشترطون في أعمال هامة، وفي أعقاب حرب الخليج الأولى والثانية هاجر آلاف من الفلسطينيين إلى أوروبا، وكان هؤلاء اسعد حالاً لأن كثيرين منهم امتلكت أموالاً مكنتهم من ممارسة أعمال حرة، وهي بريطانيا مثلاً لاج عدد كبيراً من رجال الأعمال الفلسطينيين، وهذا مية مناسبة لتجارة والأعمال هناك، ونحو ٢٥٠ من هؤلاء يعمل في قطاع الخدمات، وآخرين يعملون في مجالات البناء والتجارة، وهؤلاء استأدوا من ستهم هناك والمعاهير في السيرة العلمية الإسرائيلية فاقوا: مؤسسات صناعية وتوسيعية، يعمل نحو ٢٠ في القطاع ثنائي والمصري، والملاحظة الهامة أن هؤلاء حققوا نجاحاتهم بمجهود فردية بعيداً عن دعم الحائلية، ورغم أن هؤلاء يعانون مشكلات ثقافية أو اجتماعية مع المجتمع الإسرائيلي، فإنهم لم يتمكنوا من الاندماج وتكوين علاقات مستقرة في أوطانهم البديلة، وعلى العكس من ذلك، انغمز أغلب الفلسطينيين في المجتمع الفرنسي، وأسسوا علاقات إنسانية ومستقرة، جعلت روابطهم بالحائلية الفلسطينية ضعيفة جداً، وعلى العكس من دول أوروبا، فإن روابط الجالية الفلسطينية في الولايات المتحدة في الأمان مقارنة بكل دول أوروبا، ربما لأن أغلب المهاجرين إلى أمريكا هم من أصول ريفية

ثلاث شخصيات بين الشكافة

والسياسة
السيد أمين شلي
القاهرة: الهيئة العامة لتصور الثقافة، ٢٠٠٦، ١٢٥ صفحة



يلقي على الكتاب أضواء على حياة وفكر ثلاثة من الشخصيات التي تركت بصمات واضحة في مسيرة الفكر النقضاني، أندريه مازيو وديور الشافيه الفرنسي في حكومه جوبر، وشرى كينسزور الحارحية الأمريكي الأشهر،

وفاسلاف هافيل رئيس تشيكوسلوفاكيا
المعتزل. كما شاع عن جوانب خفية في
حياتهم

الجانب الأكثر سطوحاً وتأثيراً في
مسيرة المؤلفات، ليس كونه وزيراً لشؤون
فرنسا النيجولية، فرمما كان هذا المنصب
هو الذي حوّلته من الخلافات والعارك
أكثر من أي شيء آخر، وإصاً مواقف
المنهجية التي دفعته إلى الفصل في
صفوف، لا حراً من أماء وطنه، ومناصرتة
لشيوخين رغم كونه ليس منهم. ورأيه
مشقة التي استتقت يوماً مع موافقه،
والتي جعلته عصياً على الأصواء تحت
لواء أي جماعة. وقد كانت الجولات التي
قام بها مألوف في الهند الصينية، واليابان
وأفريقيا، على جنوب شرق آسيا هي التي
أثرت على حياته وتغييره

قد كان تأثره ثقافات وحضارات هذه
المدارس سبباً رئيسياً في تحقيق هذه الغفر
من الصفاء الروحي والسيكينة، وتحديد
اختياراته على نحو صحيح. وقد بدأ هذا
التأثير في كتاباته وبالأخص، الغواء
العمر وهو، بـ «صوب الضمير»
أما الرئيس التشيكي شافل فهو
معتز ومثقف ربما أكثر من كونه سياسياً
وهو لدى قاء ما بات يعرف بـ «الثورة
الخضراء» إشارة إلى سلميتها وانفتاحها
على العنف ثم قيادته للتحول في بلاده
ببدء من العام ١٩٨٨، دون أن يمسس
للتصفية حسابات من أي نوع مع
خسومه. وفيما كتبه، أطلق دائماً، وكان
شوقاً إلى المسير على وجه الخصوص، من
تقارب الدنيا، وأهترت ما يعرف وما يثير
قلقهم، مستخدماً خبرته، وليس
ليؤثر شيئاً في الوجود بوجه عام للناس.
وكانت أزمة الإنسان المعاصر حاضرة بقوة
في كل ما كتبه، خصوصاً بعد ما صار
مكتب الخلل بشكل متشتم، ومثلت
مسألاته بوضلة للحركة السياسية
والفكرية ليلاده في معيها نحو التطور
وتخلص من أعباء إرثها الإيديولوجي
لناسق

وكما يتابع المؤلف، فإن هافيل يعطى
قيمة كبيرة للأخلاق وحقوق الإنسان،
يعتقد في التقاض والتضامن بين
الانتماءات والحضارات، ويرى أن الضمير
الإنساني وحده قادر على إنقاذ البشرية
من مصير مظلم إذ صارت في اتحاد القوة
الغامضة
أما هنري كيسنجر، فرمما كان الأخطر
بين الشخصيات الثلاثة، إذ أنه لم يكن
كأنه مخططاً وخبيراً سياسياً من طراز
هريد. وما كان صانعاً للعديد من الأحداث
والوقائع التي غيرت وجه العالم في القرن
المعاصر

فهو الذي فتح الطريق لمرارته للنسب
عام ١٩٧١ نحو مصالحة تاريخيه بين أكبر
كلمة بشرية في العهد واللاه، بعد سنوات
طويلة من العداء منذ محبة الحكم
التشيوعي للنسب في العام ١٩٤٩، وهو
الذي توصل إلى عقد المصالحة سلام
فيتهام الشمالية عام ١٩٧٣، ومرحله

المكوكية كان صاحب تأثير كبير في عقد
معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل في
اغاب حرب ١٩٧٣.

هنري كيسنجر من أتباع منهج
«الواقعية السياسية» والتي لا تضع اعتباراً
لبيراً للأخلاق في الممارسة السياسية.
وبما كان هذا أهم ملمع يفسر مواقفه
واختياراته التي يشير المؤلف إلى العديد
منها.

الفينغ - شوي طاقة المكان

ناسايو وإيرا
ترجمة رقيقة العبدله
مراجعة: عاملة أمين
سوري دار الطليعة الجديدة ٢٠٠٥ ٢٧٧
صفحة



يوضح في الصيغ، شوي معنى الحوار.
هذا الحوار الهوي يعني ويشي الأماكن
التي تسكن أو يعمل فيها. كما أنه يبين
بأن أصول البناء والتشييد والمناظر
شيئاً مرتبطاً بين العلم والجمال. ولذا يركز
في الفينغ شوي على مسألة إيراد
الإنسان للانسجام مع البيئة، أي أن تتناغم
الإنسان مع محيطه الذي يحيطه، فمضمونه،
يحمل الحياة أكثر فرحاً وسعادة، وهو
شرط أساسي من شروط الفينغ شوي.

يمكن أن تكونوا قد سمعتم بهذا الفن.
ويمكن أن تكونوا قد صادعتم على عشرات
المقالات في الصحف التي كتبت في هذا
النم، ولكن لا يوجد لآن لديكم صورة
واضحة حول كيفية تطبيقه في الظروف
الحديثة لكم. وكيف تسخرونه لصالحكم
وصالح الناس الآخرين
فإننا نأخذ هذا إلى مستوى اهتمامكم
إلى هذا الكتاب، مختص لكم، للوصول
إلى أفضل نتائج بينكم وبين محيطكم،
ولتحسين طاقة بيتكم ومكتبكم
ويكني استخدام كتاب الفينغ شوي
كموسوعة مرجعية لتسردون به، من
أجل اختيار الجدل الأفضل لتطبيق
مركزكم أو مكتبكم الذي تعملون فيه.
وسوف تلاحظون لاحقاً بأن تصحيح
وتعديل الظروف، لسيته المحيطة لكم، هي
عملية بسيطة وفعيلة الزمن.

الفينغ - شوي إلى جانب كونه
مجموعة من المبادئ والتفاسات التي
عمرها أكثر من ستة آلاف عام فهو
منهجية قائمة ومنهجية للتفكيرية
الإنسانية، وأهميته تضاهي أهمية الجمع
والطرح في الحسابات الرياضية.

دروب المنشي.. الوطن في الذاكرة

فيصل حوزاني
طلسطن، دار الهم، شمل - مركز اللاجئين
والشتات الطلسطيين ٢٠٠٤ ٢٥٧ صفحة



هذا الكتاب هو المجلد الأول من
خماسية دروب المنشي. شهادات فيصل
حوزاني التي رسمت فلسفة الأدب
بالوقار ما جرت الفلسفة في من آخر
للاجئين العرب المنصريين حتى أواخر
سبعينيات.

وقد صدر هذا المجلد أول مرة في
العام ١٩٩٤. في طبعة حصر توزعها في
ميد الناشئ فلم يقدر له أن يصل إلى
جمهور القراء الواسع.

يحمل الشوية بأن هذا المجلد تبعه
أربعة مجلدات هي: التصود إلى الصبر،
ورسم الأسنة، والجرى إلى الهزيمة، وأبين
بقية الحكاية، وقد وردت جميعها في
بين ١٩٩٦ و ٢٠٠٢ في عام وزمات النشر



صفحة جديدة

تحرير سيد محمود
القاهرة دار شريات، ٢٠٠٦ ٢٠٠٦ صفحات
يضم الكتاب حصيلة اللقاء الإنماعي
السوري الذي تنظمه مؤسسة المور
الثقافي والذي عقد بالقاهرة في يوليو
٢٠٠٤، واستهدف إنشاء شبكة تتراوح
أعمارهم بين ١٥ و ٣٠ سنة. تلاقى أفكارهم
الإبداعية والتفدية على مدى أيام اللقاء
الذي قاده وأشرف عليه الشاعر الليبي
خالد المظفر والروائي المصري سحر
الحوي والروائي الليبي خليل مويصل،
هدف الاثنى من مواءج تقديم لديها
ميد للتقانة الأدبية لكنها تحتاج إلى من
يرشدوا إلى بداية الطريق.

تتوالى اللقاء ثلاثة موضوعات أساسية
هي: الشخص والعالم في الكتابة الأدبية
والمكانة كموضوع أدبي، وحرفية الكتابة
الأدبية. شارك فيه ١٤ ليبيا وأربعة من ستة
بلاد عربية، وإلى جانب الأوراق والخطبات
التي يصممها الكتاب عن اللقاء، فإنه
يضمن قصصاً إبداعية للمشاركين

نقد ملكة الحكم

إميليو كيب
ترجمة عام هدا
بيروت المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٥،
٤٧٨ صفحة



دكانات أن تكون مع كتب أو أن تكون
ضده ولكل ذلك لا تستطيع أن تتلفس منهوله،
ومعها يكن هذا الكتاب أو النقد الثالث
هو مثالية هذا الخلق في المنطومه
السياسية الكنتية، التي يثير القضايا التي
يبحث موضوع ملكة العقل الثالثة، ملكة
الحكم، وذلك بعد أن تأسست المشرقة
النظرية بالتمسكة (نقد العقل المحض)
والقيم بقيس الفعل الأخلاقي (نقد العقل
المعلى). ولهذه الملكة ميذا قبلي، هو
الاستقلالية الذاتية، ولها حقول، أيضا.
ليست موضوع النقديين السابقين وأعتبرت
في الماضي خارج تأثير الفلسفة، لكنها في
صلب اهتمام النقد الترسندنتالي،
الحميل والناسي، الشسور بالبلدة
والألم، الرغبة والعنفية، سمعته نتاج العمل
الإنساني، أكانت فناً أو غاية أو إيماناً، من
هنا كان لابد من البحث في الضنون
الطيفة والرغبة والبرهان ومن وجود الله،
فجاء هذا النقد كحيلة بين فلسفة
العلماء وفلسفة الحرية، تتوكل على صفة
فلسفة كت الرئيسية أي مدنيها.

خدعة الديون

إريك توسان - داميين حميد
ترجمة: مختار بن مصصة
مراجعة: رندة بعت
سوري، دار الطليعة الجديدة ٢٠٠٥ ٢٥٧
صفحة



لا يحسن أن نعلم البلدان مجدداً،
وقد تحورت من دينها الخارجي، في فيخ
مدنيوية لا تتحمل أن تستفيد الأنظمة
الديكتاتورية والأنظمة من رضى آخر
مفضل إلقاء الديون
أن يتحمل دافعو الضرائب في بلدان
التشمال مصاريف الإلزامية ويظهر الكتابان
إلى إلقاء الدين شرط مدني، ولكنه غير
الذي يجب أن يكون مصاريف وإجراءات
أخرى مثل استرجاع الخيرات التي جرى

نجمة ماركيز

عبد الله عبد غادر
تقدير د. علي



٢٠١٦ نسخة

مجموعة من النصوص القصصية لا يغيب عنها النفس الشعرية نابغته ورمزيته وإيحائه المتكشفة خصوصاً في النصوص الأولى: رحيل، طلاق، حبه الليل مات، هي الشيطان، رثاء، وهي كونيها باعة القصر، عميقة الدلالات ومعبود دا برعة فتمسك ياني مثلاً والليل مات، على هذا النحو مات الليل هي قصته، كان الألب قد نشر مقالاً عن الحرية تزامن مع موت الليل، حزن الولد، لوت الليل، قرا مقال والده، دول الليل هي حديقة المنزل، وصحح موعه

قال لانيه قلدا تكسب عن الحرية؟ وترسم لنا العار، صورة للعار التي عاشتها آلاف العذراوات من العراقيات اللاتي يهن في غياهب السجون واعتدى عليهن واغتصبن وواجهن الاختيار الصعب بين الموت والعار فاخترن الموت وبني السجون بمعون بحياتهن اما من بني منهم محتطاً بمر صيل من صميم فقد استسلم للسجون او الانتحار كما جرى لسكان طحلة فصنتا صوت الخنثى، تقدر ايضاً في رثاثة بالعراق، وضوءها مفتاح لا يعرف أحد نبعته، كان يصدر من داخل رثاثته باعاسي التراث والمفكرين، لكنه فجأة اضطلع عن الفناء وغاب صوته، منذ تلك اللحظة لم اسمع بأخبار خالد ابن الرافدين، إني أتمنى اني عبرت جدران الرافدين لثقة، واظعموا لحمه لتماشج القمر الجمهوري، الآن ان صدق صوته وهو يؤذن يقينا نسمعه كل فجر في انتظار الفجر الآتي،

مداخلات حول الحقوق الجماعية والدولة القومية

تحرير: د. أمل حلال
حيفا: مدي الكرمل - المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية، ٢٠٠٥، ٢٠٢ صفحات



ادى الاهتمام المتزايد بالاختلافات الثقافية والأثنية واللغوية والقومية، في أواخر القرن العشرين، إلى تحولات مهمة في النظرية السياسية، وفرض عليها أجندة فكرية جديدة، منذ الستينيات، أخذت بالظهور في الدول العربية بوادر لتجديد الحديث عن الحاجة إلى الاهتمام بالحقوق الجماعية كمنظومة فكرية، بغية مواجهة الصراعات

السياسية والقانونية العاصرة، والتي يعود منها إلى الاعتراف بالاختلاف في الامتيازات القومية والثقافية واللغوية في العديد من الدول العربية.

يأتي هذا الكتاب للإسهام في النقاش القائم حول مسألة الحقوق الجماعية في النظرية السياسية، وهو من البؤاكير في السياق الإسرائيلي ويتميز بكونه الأول من نوعه الذي يطرّق أصلاً إلى الفلسطينيين في إسرائيل، كمحور مركزي في تصالهم السياسي لإحقاق حقوقهم في الدولة التي ملأنا أحجفت في حقهم وعمشت دورهم، ولغاضت عن كيوتهم

ويخلص إلى أن ثمة حاجة ماسة ومصداقية لنامة لتشريع الحقوق الجماعية للأقليات الفلسطينية، كإقامة قومية وأصالية، متشقة الخطاب الليبرالي الصهيوني الذي اختلر حقوق الأقلية في مستويها الفردي والعامة فقط

■

دوريات

العربي

لوكيت زورم لسلام
ميدان العربي ٢٠١٦



الحيط

مؤلفة: محب لاسي لشعفة



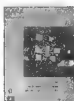
حوليات القدس

القدس: مؤسسة الدراسات القومية



عرايين

أوراق في الثقافة الليبية



يطلع هذا الإصدار المكري الإبداعي المستقل أن يساهم في تأسيس فضاء للتعبير والاختلاف والتمدد وتعميق ثقافة العز والتمسك بالهوية الليبية من بين المبدعين الليبيين على وجه الخصوص، ويثقف عن هذه المعاني عبر دراسات في النص التشكيكي والفكر والرواية وحوارات ذات طابع فكري، وتحت عنوان بهاميل التشكيكي يخلل خليفة الماخري لوحات محمود الحاسي، وفي الدراسات تكتف أعمال سليمان عن الضليلة والقلبية كميدان للتمسك بالهوية الليبية، وتكتف محمد الغني عن جدول الدولة الوطنية في ليبيا، أما الملف فهو عن الجامعة الليبية بالإضافة إلى خصوص شعرية وقصصية ليدعين ليبيين من أجيال مختلفة ومراجعات كتبت صدرت حديثاً وسوار مع الشاعر الأمريكي الليبي الأصل خالد مطاوع محوره العيش في ثقافتين مختلفتين

تعنى هذه الدوريات بتأريخ وثقافة مدينة القدس.

في العدد دراسة لبيتر لا جروكويست وهو باحث قديم بإسرائيل وفلسطين عن جدال الفصل العنصري الإسرائيلي والاهداف التي يتوخاها منه شارون. يكتف ايضاً واصف جوجوريه عن القدس في أعقاب صدور وعد بلفور عام ١٩١٧، ويقدم ركوبا محمد دراسة في نص الحمراني المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة فلسطين، وهو نص يثبت أن الهوية الفلسطينية كانت قائمة قبل ١٠٠ سنة. مالمعد ايضاً دراسة لوليد الخالدي عن كتيبه الخالدية في القدس، وأخرى عن البنية القديمة في القدس تسان خصص وتنجوي زرق، ويكتف يوسف سمند الشاذلي عن مذكرات مع مجمع خاصكي سلطان المعماري، ورويشيل ديفيس، وأبحاث الحاخام لتاريخ ولقري بالاس.

يتابع عدد مارس ملف الأحزاب والانتخابات عبر دراسات في أداء الأحزاب المعارضة والأخوان المسلمين في الانتخابات البرلمانية الأخيرة والموقف الرابع المصري منها وعن حرية التعبير يكتف رئيس التحرير هتس عبد الصالح متعاسي ما أثير حول الرسوم الكاريكاتيرية التي صورت في عدة صحف أوروبية وصنعت إساءة إلى الرسول الكريم. بالعدد ايضاً متابعات للأحداث الثقافية في محور والوطن العربي وحولات في المعارض التشكيلية التي اجتمعت على مدار الشهر، ومقالات نقدية في المسرح والمسرحية والغراما التليفزيونية، وإحاطة خاص بإعادة عرض أملا بإيكاوت للثلاث الرملي على المسرح القومي، إضافة إلى متابعات معدة لأعمال قصصية وروائية صدرت حديثاً وخصوص شعرية وقصصية ونووياب عن إصدارات حديثه

يحاوّر الدكتور سليمان العسكري الشيخ ناصر صماح الاحمد وزير الشؤون الاممية الكويتي في مواجهه العدو كاشفا عن الحوافز الثقافية الى جانب السياسة، هي شخصيته وعنوان عموه هجرة الوصل الجميلة تكتف الشاعرة سعدية مطرح عن جوان خليل جبران. وفي الملف يكتف محمد حافظ دياب عن تآثر جماعة أناس سيمونية على المشروع القموي لمحمد علي، ويكتف الدكتور حامد عمار عن العرب والشاعرة العليمة وعدالله التركمان عن حاجه الحرب الى التحديث السياسي اما الاستطلاع فعن الجزارا وفي الابد ابتاعات شعرية وقصصية ومقال لتكثوكر حاسر عموون، ودراسات في الفن التشكيلي والتمك العربي

حوارات علمي



محمد
حسنين
هيكل

تحققت إمكانيات تكنولوجية عالية بازغة يبرر فيها من يقدر عليها، خصوصاً أولئك الذين يستطيعون الربط الخلاق بين النظرية والتطبيق. إن تلك الحركة شملت بالتوازي تعليم الحقوق وإدارة شئون المجتمعات، حتى استقرت وترسخت فكرة وروح وحكم القانون، وتوالى عصور الانتشار الفكري من الكلمة المطبوعة إلى الصورة المرئية، ومن السماوات المفتوحة إلى المعلومات المتسابق نحو مطالب الرقى والتقدم.

وكذلك راح تدفق الشفافيات المتنوعة بفيض على الجمع الحضارى يملؤه ويحركه وينشط فعله وتفاعلاته

٤. وإذا جرى تشبيه هذه الحركة الإنسانية بواقع ما جرى ويحرى فى الطبيعة ذاتها، فربما أمكن القول إن الشفافيات كانت بمثابة ينبع وجداول وأنهار جرت فيها المياه وتدفقت وهاضت على جوارها الإقليمى، ثم إن هذا الجوار أخذ من هذا الفيض ما كانت مجتمعاته مستعدة لاستعماله لزيادة منافعه وتحقيق

من التاريخ الطويل للإنسانية. فإن الزراعة قد تكون النموذج الأول والأوضح.

عندما توصلت بعض المجتمعات فى الشرق الأدنى إلى تجربة ومعرفة وكشف أسرار الزراعة وأساليبها، فقد تكونت فى هذه المجتمعات ثقافة خصبة. وعندما عرفت مجتمعات أخرى شرقاً وغرباً، وراحت بالاتصال - وجريت واستوعبت - فإن ثقافة الزراعة أصبحت حضارة إنسانية مفتوحة، لا تحتاج إلى صراع ولا إقناع.

فحضارة الزراعة على طول العالم وعرضه، وعلى امتداد التاريخ وتدفقه، تعرفت على بناء البيت والخزن، واستعملت الفأس والحراث، واكتشفت الطنبور والساقية، وحفظت البذور وقوتها، وسمنت الأرض وأزهرتها، وانتقلت همنسة شق القنوات، ومنها إلى وسائل رفع المياه وتخزينها من سد مأرب إلى اليمن إلى سد أسوان العالى فى مصر.

٣. وما فعلته ثقافات، وحضارة، عصر الزراعة فى البلدان والأقاليم وما وراءها تكرر فى مجالات أخرى، وأولها التجارة وبعدها التفكير الحر والتعبير الخلاق بالكلمة واللون والصوت، حتى جاء أكبر المجالات وأخطرها وهو مجال الصناعة، ومجال الاتصال والمواصلات، وبه

خبرات ومعارف وهنؤن، فإننا بنمفس المقدار نستطيع القول بأن الحضارة هى أرفع وأنفع ما وضعت ثقافات الشعوب والأمم والأقاليم فى الجمع العالمى للثقافات المتنوعة، والذى هو محيط الحضارة الإنسانية.

والذى حدث على طول التاريخ أن ما حققته المجتمعات المتعددة من ثقافات متنوعة امتقل بالاختيار المفتوح وبالمطلب الحر - عندما بان نفعه وتأكدت قيمته - إلى الأقاليم المحيطة بموطنه، وهناك تفاعل مع ما وجد، ثم راح ما تجمع فى الأقاليم ينتشر، بثبوت نفعه وصلاحيته، إلى أفق أوسع وأبعد، ومرة ثانية فعل وتفاعل، ثم تحول جميع الثقافات إلى محيط حضارى لا يحتاج إلى إلاح أو إلى سلاح، لأن شراكة الجمع فيه، وحاجة الكل إليه، تجعله ثروة بالمشاع بينهم وادخاراً لطموحاتهم عندما تحركها همهم.

٢. ولهمنى أن المجتمعات الإنسانية كل منها حيث هى - أنتجت ثقافه حوت مجمل خبراتها ومعارفها وفنونها، ثم ما كان صالحاً، مقبلاً، وثاماً من هذه الثقافة، انتقل منها إلى غيرها، أى من البلدان إلى الأقاليم، ومن الأقاليم إلى الدنيا المفتوحة

وإذا حاولنا أن نبحث عن نموذج

فصل المحاربة بإبداء بعض الملاحظات السريعة عن موضوع صراع الحضارات، أو جوارها كما يريد بعض ذوى النوايا الطيبة أو يأملون - فإننى أريد الإشارة إلى تهديد ملخصه أن تاريخ الفعل الإنسانى يعرف ثلاثة مسارات رئيسية:

- ١. مسار الفكر - الثقافة - الحضارة.
 - ٢. مسار الإنتاج - التراكم - الثروة.
 - ٣. مسار السيطرة - الصراع - السلاح.
- ومع أن هناك وصلات ظاهرة وغير ظاهرة بين المسارات الثلاثة فإنه يمكن التعبير عنها، ويمكن التركيز ولو للحظة على أحدها بالتخصيص.

وذلك ما أفعله الآن ومن هذا المنطلق فإننى سوف أقصر ملاحظاتي هنا على المسار الأول وهو موضوع ثار الجدل حوله ومثال - ولا يزال

١. إننى قريب من مدرسة ترجح أنه ليس هناك ما يمكن أن نسميه صراع حضارات، أو حوار حضارات، والسبب أن هناك حضارة إسانية واحدة صبت فيها شعوب وأمم وأقاليم الدنيا، على طول التاريخ أفضل ما توصلت له من رقى وتقدم.

وإذا اعتبرنا - بقصد مزيد من التحديد - أن ثقافه أى مجتمع هى محمل ما تحصل عليه - فى ظروف موقعه، وعلى مسار تاريخه، من

ضفائف «الحوار»

الأمين العام السابق لليونسكو، ومعهم الرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي، وهو صاحب مشروع هكري يتبنى حوار الحضارات. وكان ان دعا راعي المؤتمر أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني الأستاذ هيكل للمشاركة في الحلقة الاحتفالية. وكان ان جرى حوار «او حوارات» حول فكرة المؤتمر وقضاياها، وعماذته، كانت تلك «لورقة» ش كنها هيكل . محددا فيها فكرته. بقصد تبادل الرأي حول رؤية ربما ست لبعض مختلفة في موضوع اختزل مبعكرا في شعار صار هو الأكثر روحا في المندليات الفكرية المختلفة، شمالا وجنوبا. ونحن ندلم في قرن جديد، باعتبارها «وثيقة...، ويأذن من صاحبها... تضع وجهات نظره هذه الورقة أمام قرائها، وتدعو الكتاب وأصحاب الفكر لتبادل الرأي حولها.

من اقرب من الأستاذ هيكل مهتها او إنسانيا، يعرف أنه اعتاد ان يدون أفكاره وخواتمه ووقائع يومه على ورق «يمود» إليه.. «فستيمد» تفاصيل ما كان... وأجواب... وحضوره. ولعل للأفكار الواردة في هذه الورقة، التي ظلتنا في وجهات نظر، كما في جريدة «المري» نشرها، قصة ذات صلة. فقد تصادفت زيارة خاصة قام بها الأستاذ للجامعة القطرية «الدوحة» قبل أسابيع مع انعقاد مؤتمر دولي تحت لافتة «تحالف الحضارات» شاركت فيه نخبة من الشخصيات الدولية المرموقة من بينها «كوهي عنان» الأمين العام للأمم المتحدة، وعمرو موسى، الأمين العام للجامعة العربية، وإحسان أوغلو، الأمين العام للمؤتمر الإسلامي، وعبد الله غول، وزير خارجية تركيا، والقس الجنوب أفريقي والحائز على جائزة نوبل للسلام «ديزموند توتو»، وفريدريكو مايور

مزعولة في موقعها. محكوم عليها بالانزواء والفتنا.

هـ - وإذا أردنا دليلا على شراكة الحضارة في مجال آخر لا يحتمل كثرة الظنون فأمامنا مجال العلم، فاعلم سباق واحد مألته يتابعه وموارد ومصادر متعددة - خطوة موصولة بخطوة موصولة. دون علم وطني يرتفع او جواز سفر يسمح او يحجز. بمعنى أنه ليست هناك مثلا هيرتا او كيمياء او فلك او رياضيات اوروبية صرف. او صينية صرف. او هندية صرف - او عربية إسلامية صرف، وإنما هناك علم واحد صلب فيه الجميع من كل نوع ومن كل نهر ومن كل بحر حتى وصل الفوضى إلى المحيط المشترك الأكبر، وهناك حافظت على عاليتها وفتحها لكل من يرغب ويستطيع - أدوات للاقترب والتنازل وتنظمها شروط متعالية على كل الأجناس ووفق كل الأقاليم.

(اليس) لافنا للظن ان ما جرى في حضارة الزراعة - حضارة العلوم - وحضارة الصناعة من تأثيرات تحولت بسرعة إلى أساليب حياة كل يوم وحتى إلى مذهبها. فعمدا وضع كبير خدم المور ساندويتش الاسكتلندي شريحة لحم بين طبقتين من الخبز اختصارا لوقت

اقصى الممكن من مطالبتها - ثم ان هذا البحر الذي تلاقي فيه الفيض الإنساني لتشققات المحلية والإقليمية اكمل زحمة وانتشلت حتى وصل إلى المحيط المفتوح أمام كل شراع وأمام أي ملاح لديه الجسارة ومعه خريطة ويوصله.

(واليس صحبنا ان الجغرافيا في ام التاريخ وحاضنته ومدرسته وكتابه ومعمله ١٩).

معنى ذلك ان يتابع الثقافات الوطنية التي تندفقت في جداول والمهرق وأنهار، وتلاقت في أقاليمها، وصنعت ما يمكن تسميته بحبار او أحواض حضارية اندفعت كما تفعل البحار حين ترتفع مناسيبها وحين تجد معابرها، إلى المحيط الأعظم الذي يحيط بالفارتات كلها، وذلك فعل طبيعي. يقول للجميع بالجغرافيا إنه عالم واحد، كما يقول للجميع بالتاريخ إنها تجربة مشتركة لا يحق لمطرف ان يحتكر فضاءها، كما لا يجوز لمطرف ان يتنازل عن نصيبه فيها.

(على ان ذلك لم يمنع بعض البحار ان تبقى منطقة على نفسها، وقد تحفل بعضها ضحلا او راكدا في مكانه. كما ان بعضها الآخر بياتما انقلعه عن غيره تحول - مثل البحر الميت - إلى بؤرة ملوحة او مرارة.

فهذا الرجل اليبض - على حد ادعاء كيلنج - مكلف برسالة اقتياد للشعوب السوداء والسبراء ولو بالقيد والسلاسل من صحاري وغابات التخلف إلى شواطئ المحيط الحضاري الإنساني الجامع. وكان القول في زمانه ادعاء تبشيري يتفق مع مناخ عصره. لكن الإمبراطورية الأمريكية عندما جاء عصرها بالعت وتجاوزت بكثير، خصوصا بعد ان تحولت إلى قوة هائلة Hyper Power غداة نشوء النصر المشهود في الحرب الباردة.

وقد خطر لها في هذا السياق ان مطالب السيطرة والصراع والسلاح تسمح لها بادعاء ملكية الحضارة وراثتها على نحو قطعي. ونهايتي (واليس) مصادفة - دون ان يكون بالضرورة مؤامرة - ان حكاية صراع الحضارات - وحكاية نهاية التاريخ - توافق ظهورها مع العنصرية الإمبراطورية في الحرب الباردة. دون تلبه كاف. عندهم كثيرا، وعند غيرهم احيانا، إلى ان وهم القوة لا يعطي اصحابه احكازا، ولا يسلب غيرهم حقا، في الشراكة الإنسانية الأوسع. لان هذه الشراكة في الحصاره أقوى من السلاح ومن الانحياز، حتى إذا اجتمعا معا في

سيداء أثناء رحلة مفاجئة - عرف العالم كله وجبة الساندويتش. ولم يتبق للتاريخ من النبيل الاسكتلندي وكبير خدمه سوى اسمه واصلا إلى العصور الحديثة. حتى دون معرفة باصل الحكاية. وعندما عثر الرحالة الإيطالي ماركو بولو على عجائن المكرونة وعاد بها إلى إيطاليا، تحولت بسرعة إلى فن إيطالي ثم إلى مطبخ عالمي ثم تكرر نفس الشيء مع الوجبات الأمريكية الشهيرة التي في الآن اشهر طعام في العصر الأمريكي).

٦- وإذا اعتمدنا هذه الصور، فنحن امام حضارة إنسانية واحدة شاركت في صنعها وفي فضيها وفي حركتها ثقافات متعمدة السابح والموارد والمصادر، فكلها أعطت وزودت، وكلها اضافت وزادت، وكلها اغنت واغنت، وبالتالي فإنها من العمق إلى السطح شراكة إنسانية حقيقية وكاملة. لكن المحاولات الإمبراطورية للاستيلاء على الحضارة الإنسانية ونسبتها إلى قوة يمينها - ظاهرة عسفية وليست جسدية، فمن قبل ادعت إمبراطوريات أوروبا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أنها تقوم باستعمار آسيا وأفريقيا تحملا لعبه الرجل الأبيض. The white man's burden

حوارات على ضفاف «الحوار»

الحضارات، فهي هذه الثقافات الآسيوية كانوا على يقين من أنهم شركاء بثقافتهم في المحيط الواسع، وبهذا اليقين أدركوا أن وسيلتهم الرئيسية لتحقيق أهليتهم في حق الشراكة، أن يبتوا من وسائل القدرة على الفعل ما يمنع مهانة الظلم، أو استعلاء الاحتكار، أو الاجترار على نفى شراكة الآخرين.

ومن المدهش أن ثقافات الصين والهند والتي كانت الأبعد بالمسافات عن البحار المركزية الأولى للتلاقق الثقافي إلى المنبع وإلى البحر وإلى المحيط، أظهرت تنسكا وثيف بحقها، بينما تخبطت ووهنت ثقافات الشرق الأدنى وهي الأقرب والأكثر إسهاما في الشكل الحضاري المشترك، فهي التي أعطته الأديان السماوية كلها، وبالذات المسيحية، التي نسجم منهم الآن أنها الدعوى الحضارية الأولى لمراكز الفلسفة الراهنة.

(ليس لافتا للنظر مرة ثانية أن مذاق طعام حوض الحضارة الصينية وجد طريقه ليصبح انتشارا عالميا، وأخرج تنوعات مختلفة على مذاقه الأصلي (يابانية ونايالاندية وفيتنامية).

كما أخرج حوض الحضارة الهندي بدوره مذاقه ولكن بأسلوب آخر، فإذا كانت إنجلترا قد احتلت الهند بجيوشها فترين من الزمان، فإن مذاق الهندي يحتل بريطانيا إلى آخر الزمان بمشروب الشاي ومسحوق الكافور).

٩- ومن سوء الحظ أن الثقافة العربية الإسلامية المعاصرة بتأثير ما ترسب فيها من ثوابت وعقائ، وما أصابها من ضعف ووهن، وما لحق أصحابها من عقد بسبب طول مفاسدة غلبة الفاتحين وسيطرة المستبدين - كانت مهياة على نحو ما لمحاولة الإقصاء والاستبعاد من شراكة الحضارة.

وحيث قلنا بصراع الحضارات، فقد اعترفنا بالعزلة.

وحيث دعينا، أو دعونا، للحوار، فقد ذهبنا لما يشبه طلب إيدن للجوء

كماءة الفعل، والقدرة على العمل هنا ليست السلاح، بل لفعل الصلاح، آخر وسائلها، وإنما وسائل القدرة هي بداتها ووسائل العصر.

وقد يكون السياق في هذا الموضوع مناسباً لإشارة نحو ما تستطيع القدرة أن تحققه حتى في مواجهة التحيزات الصارخة، وفيها ما نسميه ازدواجية المعايير في السياسة الدولية.

(قبل سنوات، وحين كان لهذا الإقليم العربي الإسلامي بعض القدرة، فإنه تمكن من استصدار قرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة يعتبر الصهيونية ذوا من أنواع العنصرية، لكنه بعد سنوات، وعندما

Shock & Awe هي مناطق ضعيفة وروعة ناقل التكاليف، كي تظهر هول الحميم الذي اعتدته لن يعمي، وكذلك تحولت أفغانستان وتحول العراق إلى ساحة دم ولهب، ماساتها أنها لا تعرف في معظم الأحيان هدفا واضحا أو خطة إستراتيجية مدروسة (وعلى أي حال فقد جاءت النتائج الواقعة مفاجئة للمطامع والغزوات).

٧. وإذا عدت إلى أي مقولة صراع الحضارات أو حوارها، فربما تكون النقطة الجوهرية أنه يتحتم المتفرقة باستمرار بين شراكة الحضارة وبين صراعات القسوة، فالقوة ميدان تصويب وضرب نار، والحضارة شراكة ومحيط أحوار.

مشروع إمبراطوري يملك أكبر نرساة نووية جنبا إلى جنب مع أوسع شبكة للمعلومات، الإنترنت،

والواقع، أنه عندما خرجت الإمبراطورية الأمريكية غالبية في صراع الحرب الباردة، وكان ذلك قبل مجاعة ١١ سبتمبر ٢٠٠١ بكثير، فإنها رسمت لاستراتيجية زمانها الحديدي عدة خطوط، فهي

٨. تريد أن تحتفظ بتقدمها وتمنع ظهور مناهض خطر عليها، كما حدث مع كل الإمبراطوريات - وذلك نالاستيلاء على الحضارة الإنسانية (نهاية التاريخ)

٩. تريد أن تحفف من مسؤوليتها تجاه العالم التي تنحصر فيضها وجفت منابعها، فهدد بالتحلل أصبحت عبئا على المحيط الحضاري. تريد أن تأخذ منه إلى الأبد بينما مضطواها توقفت من زمن (صراع الحضارات).

١٠. ثم إن الإمبراطورية تريد أن تؤكد سيطرتها الأبدية بإظهار تموقها وخصوصا السلاح، وهكذا وقعت استعراضات التفرغ الأمريكي في كل المباديس ابتداء من استثناء كل أمريكي من أي مساهمة دولية مهما فعل، وإلى تدمير التجارة الأمريكية في كل الأسواق بصرف النظر عن حرية السوق، وإلى استثناء حقوق الملكية العلمية والفنية في كثير مما

كان متاحا في مجمع الحضارة الأكبر قبل أن تظهر الدولة الأمريكية من الأصل - ثم إنها لا تقبل أن تردع نفسها عن تلويث البيئة بملصا على فيود تدمر على غيرها حرصا على كوكب الأرض نفسه، كما أنها تطلب احتكار موارد الطاقة وليس مجرد التهم في استهلاكها - ثم راد أن الإمبراطورية الأمريكية تريد الآن أن تستولى بوضع أيدي على الحضارة الإنسانية بأسرها لتختم طامعها على المحيط بأسرها تاركيدا نهائيا وتفتينا شرعا لتموق أندى (خطوط المحاطين الحد).

١١. وضمن هذه المحاوله لحأت الإمبراطورية إلى حروب رخصية تستغل بطش الصدمة والرعب

اكتشفوا وجربوا

كيف يحركون من

ردود الضمير مما يستثيره

الضعف ولا تسأله

ببه القسوة

حل العجز محل القدرة، سقط ذلك القرار، وكان العرب المسلمون بين الذين صوتوا لإسقاطه، ثم صدى بدلا منه قرار يعتبر مناقشة المحرفة اليهودية سواء في واقعها أو في أبعاد ضحاياها جريمة إنسانية تستوجب العقاب.

ولم يكن القرار الأول مجرد ازدواجية معايير لصلاح طرف، ولا كان القرار الثاني مجرد ازدواجية معايير لصلاح الطرف الآخر، لكنه في الحالتين كان حركة موازين ترجع أو تخف وفق ما يسندنا من إرادة الفعل (قدرة العمل).

ويستلطف النظر أن الثقافات الصينية والهنوكية لم تهرق وقتما غاليا في حكاية صراع أو حوار

وهنا فإن حقائق الحضارة تمنع الاستيلاء عليها لحساب أي طرف، كما ترفض التنازل عن الحق فيها تحت أي وصف.

٨. يتربط على التمسك بالحق الحضاري ورفض أي استدراج إلى الإزاحة أو العزل بمقولات الصراع أو الحوار - لا بد أن يصاحبه إدراك وتصميم يصون هذا الحق عن التورط في صدام أعمى أو في جدال عقيم - وذلك وضع يشبه إلى حد ما وضع من يتمسك بحقه في أرضه.

٩. إذا أراد سندا لهذا الحق بوسائل الصراع، فلا بد له من القدرة تعزز الحق.

١٠. وإذا أراد سندا لهذا الحق ببلاغة الإنقاذ، فإن سحر الكلمة لا يغني عن

من متظلّم إلى متحكّم، ولم ندرك أن الحقوق ملكية أصحابها إذا استطاعوا إثبات جدارتهم بها، وليس تواضع الآخرين للسماح لهم ببعضها، ثم إن كل حوار على الحوار بينهم وبين غيرهم لا نهاية له، خصوصاً إذا وقع، وهو يوشك أن يقع الآن، وانزلت العلاقات بين الأطراف إلى صراعات سياسية تتحوّل بسرعة إلى حروب هويات دينية وعرقية، فعند هذه الدرجة أي كلام يكون بين غرياء أو بين أعداء، عداوة لا تحتمل غير انتصار طرف وهزيمة آخر. وهنا يموت الحوار أو ينتحر مهما قلنا ومهما قلّاوا.

(أليس لافتاً للنظر مرة ثالثة أن الحوض الحضاري لشقافات الشرق الأدنى لم يستطع أن ينشر مذائقاً مميزاً له خارج إقليمه، ولعل ما عنده تعرض لتليق غداً، كما تمعلّت صلته بالحضارة بسبب نوع آخر من التليق الناشئ من تخمة الثغرات المتضاربة التي أصابت المنطقة ولوثتها).

١٠. والغريب أننا حين قبلنا فكرة صراع الحضارات أو حتى حوار الحضارات بالمطلق الذي قدم لنا فإننا سلمنا بالقضية، أي أننا تنازلنا عن المشاركة من أول لحظة، ودخلنا في حوزة الآخرين وعلى جدول أعمالهم.

ربما كان الأولى أن نبدأ حواراً مع النفس نعرف فيه بالغيض من نحن؟ وأين نحن؟ وماذا نريد؟ وكان مثل ذلك الحوار مع النفس كضيق بتأكيده مسائل: أولها، أعود بالحق في شراكة الحضارة دون إقصاء أو استبعاد. وثانيها، الجدارة بهذا الحق من طريق دعمه بقيم العصر وأولها روح الحرية والعدل والقانون، دون العودة إلى الماضي والبحث في كيوف التراث المبهوجة وليس في حداثة الزاهرة عن نسب للتقوقع بعيداً من قيم العصر بدعوى الخصوصية، وهو نوع من الهرب مقصود إذ ليس هناك تصادم بين التزوّج المحلي للثقافات وبين المستشرق في الحضارة

الإنسانية - بل هناك تصافل وتدفق مسابر بالطبيعة لحركة التاريخ. وثالثها، أننا في حاجة إلى فهم ودرس واستيعاب وحوار متواصل مع الدنيا كلها - ولكن في قضايا ومعضلات الرقي والتقدم، فهناك طلبنا وهو أولى من تحرير عريضة لطلب عضوية في ناد لا بد أن يقبل بنا مجلس إدارته (عن طريق قبول التماسنا أو التحفظ عليه بكرات بيضاء أو كرات سوداء)، فنحن هناك في ذلك النادي الحضاري من لحظة تأسيسه وضمن أوائل المؤسسين، لكنها عضوية غير عاملة. خاملة (إذا جاز التعبير).



أنا من مدرسة ترجع أنه ليس هناك ما يمكن أن نسويه صراع حضارات، أو حوار حضارات



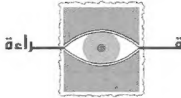
نفسها وتتنازل أكثر وأكثر عن نصيبها في شراكة الحضارة. والمحن أن هناك من اعتدى على المقدسات العربية عملاً - وليس لمسا - حين سيطر على المسجد الأقصى في القدس. وفي نفس الاتجاه فإن ذات الطرف رسم خنزيراً وكتب عليه اسم الرسول الأكرم. وهناك، غيره، قام بتوطيف الدين الإسلامي، قديمه وجديده، في حرب باردة عليه - ساخنة على شباب عرب ومسلم في أفغانستان - ثم أسك في النهاية بمن حاربوا لحسابه ووضعهم وراء القضبان في جوانتانامو، ثم داس بالأقدام على كتابهم الكريم ورمق صفحاته ورمأها في المرحاض أمام

عيون الجميع في العسكرات وخارجها. وفي هذا كله لم يغضب أحد - بل تستر كثيرون. ولكننا مع ذلك رحتا. نحن الذين لم نغضب من الفعل، نشور بالمس كائننا كنا نبحت عن أهداف سهلة رخيصة. حدث ذلك سابقاً في تجربة قريبة - هي رواية «آيات شيطانية» (نتيجة الثورة والغضب - زادت شهرة كاتبها). وتكرر على نطاق أوسع في تجربة أخيرة. هي الرسوم الدماركية. (نتيجة الثورة والغضب، تكرّر نشر الرسوم في عدد من عواصم الدنيا، وكذلك سمع الناس عن رساميهما ونائيريهما لأول مرة في حياتهم.

كان كاتبها - حتى لو كان اسمه سلمان رشدي - يستطيع أن يعتدى على الإسلام، أو كان رسام خطوط لا يكاد الناس يعرفون اسمه في صحيفة مجهولة يستطيع إهانة الرسول الأعز والأكرم - أو كان وزيراً إيطاليا شديد الحمق يستطيع أن يشتم الإسلام لأنه ارتدى قميصاً عليه رسوم بالغة الانحطاط عديمة القيمة!

لكنهم اكتشفوا وجربوا كيف يحركون من ردود الفعل ما يستثيره الضعف ولا تأبه به القوة. وفي المحصلة فإننا نجد انفسنا بالواقع وبسهولة شديدة، محزنة في نفس الوقت، تساعد على تحويل صراعات سياسية إلى حروب هويات حضارية تخرج غاضبة منسحبة من شراكة التقدم الإنساني الجامع والتشامل مع أي استفزاز. يتحول بالإشارة إلى هتنبسة، ويتحول بالفتنة إلى حرب، ويتحول بالحرب إلى قطيعة، ويتحول بالقطيعة إلى حصار للذات. ومن سوء الحظ أن حكومات عربية إسلامية - يوعي أو يغير وعي - تصرفات حيال الفتنة بقدر كبير من قصر النظر في إدارة الأزمات إن لم يكن بقدر كبير من سوء النية بمحاولة استغلال الفتنة للإلهاء والتضييق.

وقد اضيف لاستكمال الرؤية والראي، أن رغبة الاستغلال لم تقتصر على الحكومات، وإنما تعدتها إلى مؤسسات وأفراد، بادعاء أن الترويق الضافي من لفتن يتحقق بالوفود تدبّر والوفود تجيء، والمؤتمرات تُعقد والمؤتمرات تنفض، وبالأوراق تُقرأ ثم بالأوراق تُنسى لكي يجري تدويرها وتعود إلى إنتاج نفسها من جديد. تلك كلها بالخصار وسواس تجمّع بأصحابها إلى حيث لا يريدون ولا يقصرون، فإذا هي عودة من شواوش المحيط الإنساني الواسع وحيويته الخلاقة إلى درب وعرة موحلة تؤدي إلى البحر الميت ووجهه الراكد وأملأه الزناد!!



١٧ مارس

حبوب اللقاح.. وعواصف الخماسين



فيها محكمة النقض.. تشتت كيف كانت وزارة العدل من كان يزور الانتخابات تحت إشرافها، كما تشتت كيف حاول المزور محاكمة المجني عليه. سيف العز وذهبه، إذن، يقول محذري، منكرًا بسطوره جاءت في هذه الصفحة ذاتها (يونيو ٢٠٠٥) تنبيه إلى أن «في مصر الآن، محاولة لنسف صف القضاء.. وهو أمر لو تم لكانت الدولة، ومفهومها ذاته الذي يستند بالتحريف إلى النظام، ومن ثم إلى «مهاجرة القانون وأصحابه، أول الضحايا».. هل هي «الفوضى».. تلوح في أفق قريب أو بعيد؟ رغم أن التعابير «سابقة التحيز»، ورغم جاذبيتها قد لا تكون دائماً دقيقة، جامعة مانعة، إلا أن علماء اللغة يعمرون أن لا وصف يتناقض الموصوف، حتى لو افترضنا شيئاً من المبالغة. كما يعرفون أن «الوصف، قد يكسب، الموصوف، بحكم التكرار والتواتر شيئاً من المعنى، وكثيراً من الأثر على الأرض.

■ ■ ■

في حديثه المهم لجريدة «الدستور» يصف الأستاذ هيكل لحظة مصر الراهنة «باللحظة الحرجة، معتبراً أننا وصلنا لأول مرة إلى حالة توازن بين قوة المجتمع وقوة السلطة.. وهو في سياقها.. توازن قلق.. وخطر. تذكر حديث هيكل وأنا أضع صورة السابح عشر من مارس في مكانها من هذه الصفحة، وأطالع الصراع القلق في متنبات الإنترنت، وأقرأ في الصحف عن مؤثر عرق في القاهرة تحت عنوان: «هل تصبح النوبة جنوب سودان مصرية؟» وعن مؤثر الألبات في جنيف، وأرى من يخرج.. بغض النظر عن الأسباب أو السياق.. متحدياً قواعد عقيدة الألبات، أدى أمر يتعاضد، مدافعاً عن حق المسيحي في الزواج أكثر من مرة. وأذكر تقرير التنمية الإنسانية العربية الذي يحذر من «الخراب الآتي، كنتيجة منطقية للتلازم العضوي بين الفساد والقمع».. هل كان حتمياً أن نصل إلى هنا؟

أرى اصطفاة القضاء شامخاً، واتفق مع المثاليين بأن ١٧ مارس يحمل كثيراً من الآمال.. أو بالأحرى.. الآمال الوحيدة الممكنة. ولكنه ككل أيام الربيع في بلادنا كما نراها حيلى يحويب اللقاح، مسكونة هي أيضاً بعواصف خماسية. ■

أيمن الصياد

■ عصر الجمعة ١٧ مارس ٢٠٠٦ التقط مصور AFP هذه الصورة لقضاة مصر أمام قاعاتهم في وقتهم الاحتجاجية.. وفي مساء اليوم نفسه، سألني محدثي جزءاً من شيوخهم الأجلاء، إن كان هناك من بين من يعتنقهم الأمر من قرا.. الصورة جيداً، ورأى ما يجب أن يراه فيها من طلال قاصمة.. رغم لعان الأوسمة ووميض فلاشات المصورين؟

كان السؤال مهماً.. وكان على بعد خطوات من المشهد/ الصورة اجتماع حاشد للصحفيين في قاعاتهم، محتجين، على عدم الوفاء بوعدهم «رئاسي».. بدأ أنهم حصلوا عليه في ظروف تغيرت، أو اعتقد القائلون على الأمر أنها كذلك.

بعد أن شاهدت.. مع الملايين.. عبر الفضائيات جلسة نادي القضاة يتفادى وقائعها كاملة، وقد ألفتني أن بعضاً من سمات القضاء ومهائمه ربما غاب عن المشهد، بعد أن تسنى لجمهور المشاهدين من «السائلة»، والعاملة أن يقتربوا متخرجين ومراقبين من غرف.. مداولة.. اعتدلتها مظلة دون أصحاب الأوشحة.. وبصمها كان من صخب وصوت عالٍ ليس فيه ما للفناء من وقار صوت يظل هادئاً مهما كان.. منطوق الحكم، باتراً أو قاطعاً.. نيهني محدثي (القاضي الجليل) أن القاعدة الشرعية تقضي بأن من الضرورات ما يبيح المحظورات وأنه لا بد مما وإن منه بد.. كما يقول المناطقة.. مهما كان ذلك صعباً على النفس قاسياً عليها، وأنه ليس من الحكمة أو العدل.. أن ننظر إلى النتائج بمعزل عن مقدماتها، وأن على كل حكم أن يتغير في ظروف الواقعة وملاسلاتها..

بلغ السيل الزبى، يفضل محدثي، في أرشيف الصحف الرسمية تصريحات رسمية، بأن أحكام قضاء صدرت عشية الانتخابات البرلمانية الأخيرة لن يعتد بها.. (هكذا!) رغم قرارات ملزمة للمحكمة الدستورية.. وفي ملفات المحاكم المصرية الآلاف من الأحكام أهدرتها السلطة التنفيذية وامتعت عن تنفيذها أو التفت عليها كما قال أحد القضاة الذين تحدثوا في جلسة ١٧ مارس مشيراً إلى الأحكام المتكررة بقبول الطعن في قرارات الاعتقال.. (هناك من حصل على ١٧ حكماً بالإفراج ولم يزل خلف القضبان).

وفضلاً عن شهادات موقفة لقضاة أريد لهم أن «يحكموا وزوا» في نتائج الانتخابات، هناك في المكتبات كتاب تنبئ القضاة المستشار يحيى الرفاعي يتضمن دراسة، وثائقية، للإشراف القضائي على الانتخابات (صمر عام ٢٠٠٠) ويورد بياناً مفصلاً بوقائع جنائية خطيرة. وما أقرن بها من أحكام المحاكم، بما

خدمة الأرقام المميزة

اختار أرقام حبايبك



وخالو في هولندا



كلم ماما في طنطا

على سعر المكالمة

٢٠%

ووفر

كلم حبايبك كثير.. وما تقلقش عالفواتير



المصرية للاتصالات
Telecom Egypt

الخدمة متاحة بجميع الشبكات
لمزيد من المعلومات اتصل بـ ١١١
www.telecomegypt.com.eg

دار الشروق

